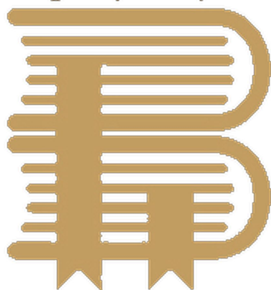
الدكتور عبد الله فياض
استاذ التاريخ الأسلامي المشارك
كلية الآداب - جامعة بغداد
وعميد كلية اصول الدين وكالة

تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

مطبعة اسعد - بغداد - ١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ



الدكتور عبد الله فياض
استاذ التاريخ الاسلامي المشارك
كلية الآداب ـ جامعة بغداد
وعميد كلية اصول الدين وكالة

تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي

ساعدت جامعة بغداد على نشره

رسالة قدمت الى دائرة التاريخ في الجامعة الامريكية في بيروت
وهي من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة

وافقت وزارة الأعلام على طبعه برقم ١٨٨ وبتاريخ ٢٣/٤/١٩٧٢
رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٨٨ سنة ١٩٧٢

مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ

تصـــدير

بقلم الاستاذ محمد توفيق حسين
من اساتذة التاريخ بجامعة بغداد

تبوأت الثقافة العربية الاسلامية مقاما رفيعا في تاريخ الفكر الانساني بحفاظها على التراث البشرى في العلوم والآداب والدين والفلسفة ، وبما اضافته الى هذا التراث من جديد اصيل في المادة والاسلوب ومناهج البحث العلمى . وقد امتازت الثقافة العربية الاسلامية ، فى عصورها الاولى الزاهرة ، باتساعها وشمولها ، وبحرية الضمير أى حرية البحث والتفكير والتعبير . وكان ضمان حرية الضمير ، والغاء التعصب القبلى والعنصرى والدينى ، من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية التي اسهم فيها ابناء مختلف الامم والملل والنحل ، والتي تلاقت فيها تيارات الفكر المختلفة فتفاعلت ، واغنى بعضها بعضا .

وامتازت الثقافة العربية الاسلامية باعتمادها على مناهج علمية محكمة فى البحث والتأليف كانت اساساً وطليعة لمناهج البحث العلمى المعاصرة . يظهر ذلك فى مناهج البحث عند المحدثين والفقهاء والمؤرخين ، وعند كبار علماء المسلمين الذين وضعوا قواعد المنهج العلمي ، بما تقوم عليه تلك القواعد من مشاهدة وملاحظة واستقراء واستنباط وتجربة ، وطبقوها عملياً في مؤلفاتهم ومراصدهم واماكن تجاربهم ، كالجاحظ ، والمقدسى الجغرافي ، وجابر بن حيان ، والرازي ، وابن سينا ، والحسن بن الهيثم ، وابن النفيس ، وابن البيطار ، وكثيرين غيرهم .

وقد امتاز الكثيرون من اكابر علماء العرب والمسلمين بمحبتهم للعلم ، وشغفهم بالمعرفة لذاتها ، وكانوا يطلبون الحق لذات الحق ، ولا يترددون في الاعتراف بالخطأ اذا ظهر لهم وجه الصواب . وكان لهم في المناظرة والجدل مثل عليا يهتدون بها ، وآداب يسيرون عليها ، لم يتوصل العلماء الى ما هو اسمى منها حتى يومنا هذا . وكانوا يربون تلامذتهم على محبة العلم ، والتعمق في البحث والفهم ، والجد في الدرس ، والصبر على ما لا يسهل فهمه بالتصفح السريع والقراءة العجلى .

وكان مدار العلوم الاسلامية على الدين بحكم طبيعة الاحوال في تلك العصور • على أن العلماء لم ينصرفوا كلهم الى العلوم الدينية ، ولم يعكفوا على المعرفة المجردة بمعزل عن الحياة الاجتماعية ، وانما واجه عدد كبير منهم الحياة بكل مشكلاتها ، واجتهدوا في ايجاد الحلول لها • يتمثل ذلك في الفقه الذي كان يساير تطور المجتمع ويضع لكل مشكلة جديدة حلا ، وفي المستشفيات والمراصد والمختبرات العلمية العامة والخاصة ، وفي تطويرهم للصنائع والحرف والفنون المختلفة ، وفي اهتمامهم بالزراعة ونقلهم اصنافا عديدة من النبات وأقلمتها في مناطق مختلفة من البلاد الاسلامية •

ولم يخل التاريخ من فترات ساد فيها الجهال ، وفشا فيها التعصب الديني والمذهبي والعنصري • واضطهد فيها المفكرون الذين اعلنوا مخالفتهم للسائد من الافكار • ولم يكن العلماء كلهم كما وصفنا من محبة العلم لذاته ، والتجرد من المنافع في طلبه ، وتقبل للحقيقة من حيث جاءت بلا عناد ولا غرور • ولكن العبرة في مجمل الصورة لا في تفاصيلها ، وفي القاعدة العامة لا في الشواذ ، وفي الكبار من رجال العلم والدين لا في اشباه العلماء والجهلة المتزيين بزيهم والذين غمرهم التاريخ في ظلامه فاصبحوا نسيا منسيا • والعبرة في عصور الانفتاح العقلي ، والتحرر الفكري ، والتسامح الديني والمذهبي ، وهي عصور طويلة مجيدة ، لا في فترات انغلاق العقل على العقيدة الضيقة ، واستبداد الحكام ، وسيطرة الجهل والهوى والعواطف الضالة على عامة الناس •

وقد انتجت الحضارة العربية الاسلامية نظاماً تربوياً كان من أهم أسس الحركة العلمية الاسلامية ومصدراً غنيا من مصادر حيويتها ونشاطها • وقد هيأ المجتمع ما احتاجه هذا النظام التربوي من المؤسسات التعليمية المختلفة من كتاتيب الاطفال ومدارس الكبار الى المكتبات ودور العلم ، وبيوت الطلبة، وكان هذا النظام التربوي ، بالقياس الى حاجات تلك العصور والى الامكانات المادية والتعليمية المتوافرة ، نظاما متقدما ، وافيا لحاجات المجتمع ومتطلباته •

كانت معظم المدن في العالم الاسلامي مراكز للحركة العلمية ، فلم تخل

واحدة منها من مدرسة ومكتبة وعلماء اشتهروا بفن أو أكثر من فنون العلم والادب . على ان بعض المدن كانت تحتل مركز الصدارة في الحركة العلمية فترة من الزمن ، فيقصدها العلماء والطلاب . وقد تبقى الحركة العلمية مزدهرة فيها مدة طويلة ، وقد تركد فيها بعد حين ، تبعا لتقلبات الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولكن شعلة العلم لم تنطفيء في العالم العربي والاسلامي ، ككل ، منذ عصر الرسول (ص) الى يومنا هذا ، فهي ان خبت في مدينة او قطر توهجت في مدينة اخرى او قطر اخر . واقدم مراكز الحركة العلمية المدينة ومكة وقد اشتهرتا بالتفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وانتجتا الى ذلك فنونا بديعة من غناء وشعر وأدب . وازدهرت الحركة العلمية بعد ذلك في الكوفة والبصرة وقد اشتهرتا بعلوم اللغة والدين والفلسفة والكلام . وكانت الحيرة جارة الكوفة مركزا لدراسة كتب الفلسفة والطب وترجمتها في الجاهلية وصدر الاسلام . وفي منتصف القرن الثاني للهجرة أصبحت بغداد عاصمة الدنيا في العلم . ومن مراكز العلم الاخرى في العراق : واسط والنجف ، والحلة ، والموصل . وازدهرت الحركة العلمية فى ما وراء النهر وايران والشام ومصر والاندلس وصقلية . ومن الاندلس وصقلية شعت العلوم العربية الاسلامية على اوربا فكانت من أهم عوامل انبعاثها الحضاري ونهضتها العلمية الحديثة . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين أصبحت الهند وايران ومواطن من الخليج العربى مراكز مهمة للعلوم العربية والاسلامية .

نشأ التعليم في المسجد نشأة بسيطة ، بساطة المجتمع الاسلامى الاول . وكان الرسول (ص) اول معلم فى الاسلام ، يتلو القرآن على الناس ، ويفسره لهم ، ويبين لهم امور دينهم ودنياهم . وسار الخلفاء الراشدون والائمة المهديون والصحابة والتابعون على هذه السنة الحميدة . وقد حمل العلماء والفقهاء مهمة تعليم الناس وارشادهم حيث امتدت الفتوحات من البلاد . ولم يكن اولئك المعلمون موظفين عند الدولة او يتسلمون عن تعليمهم أجرا وانما كانوا يعلمون طلبا للثواب ، واستجابة لحاجات الناس . وكان المعلم يجلس في زاوية من

المسجد ويلتف حوله الناس في حلقة ، فيعظهم ، او يسألونه هم فيجيب عن اسئلتهم • وقد تكون الاسئلة في موضوع معين ، وقد تتعدد فتشمل موضوعات مختلفة في الشعر والنحو واللغة او في التفسير والفقه والحديث ، او في أي علم من العلوم الاخرى • ومن هنا كان التعليم متصلا اتصالا مباشرا بالمجتمع ، يعبر عن حاجاته ، ويخدمه ، ويضع حلولا لمشكلاته • وكان التعليم حرا ،والمعلم حرا ، يعلم ما يشاء ، وفي اي وقت شاء ، وكانت حرية المعلم في اختيارموضوع درسه ، وحرية المتعلم في اختيار معلمه ، وتحرر العالم والمتعلم والتعليم من هيمنة الدولة من اهم عوامل نشاط الحركة العلمية وازدهارها وتنوعها وابتكارها في القرون الاسلامية الاربعة الاولى • وكان كثير من العلماء والفقهاء ، في تلك العصور المجيدة ، ملتزمين بقضايا الامة ، يدافعون عنها امام الحكام والولاة ، وكثيرا ما كانوا يشاركون الناس في وقوفهم أمام السلطة الجائرة ، متحملين في سبيل ذلك نقمة الحكام واذاهم •

وقد ازداد اقبال الناس على العلم حتى اصبح يعقد في المسجد الواحداكثر من حلقة دراسية • ولم يعد المسجد يحتمل الصلاة والتدريس معا فانشئت أماكن مستقلة للتعليم سميت بدور العلم ثم بالمدارس وكان بعضها ملحقا بالمسجد، وبعضها مستقلا بذاته • وخصص بعضها لتعليم الاطفال وسميت بالكتاتيب •وقد تطورت المدارس واتخذ التعليم فيها شكلا منظما معينا حين أصبحت مؤسسة من مؤسسات الدولة ، او تابعة لجماعة من الناس ، حيث أصبح هدفها نشرالمذهب الذي تعتنقه الدولة القائمة ، او المنشئون للمدرسة من الاهالي •

وقد بدأ انشاء المدرسة ، بمعناها المعروف ، في أواخر القرن الرابع ، ولكنه انتشر واصبح ظاهرة اجتماعية عامة في القرن الخامس وما بعده • فقد انشأ الفاطميون الجامع الازهر في القاهرة سنة ٣٦٠هـ ، وخصص للدراسات والابحاث منذ سنة ٣٧٨هـ • وكان هدف التدريس فيه نشر المذهب الاسماعيلي وانشأ البويهيون في المناطق التي احتلوها من فارس والعراق دور علم لنشر مذهبهم الشيعي • وانشأ السلاجقة المدارس المعروفة بالنظامية ، أشهرهاالمدرسة

النظامية في بغداد التي أسست في سنة ٤٥٧ هـ ١٠٦٥ م ، ومن أشهر أساتذتها الامام الغزالي . وكانت المدارس النظامية واسعة ، حسنة البناء ، متعددة المرافق . وكان هدفها نشر مذهب أهل السنة ، وخاصة المذهب الشافعي . وكانت تدرس فيها الى جانب الفقه الشافعي ، علوم اللغة والادب والعلوم الاسلامية الاخرى . وسار على هذا النهج ، في العهود التالية ، الزنكيون في بلاد الشام ، والايوبيون في مصر والشام ، حيث انشأوا خمسا وعشرين مدرسة . وكذلك صنع المماليك من بعدهم حيث أنشأوا خمسا وأربعين مدرسة . وأخذ أهل كل مذهب ينشئون المدارس لتعليم اولادهم مذهبهم . وقد اتجهت المدرسة الى خدمة العلوم الدينية ، وتأييد مذهب الدولة القائمة ، احيانا ، ان كانت تابعة لها ، أو مذهب المنشئين لها من الاهالي ، هذا في الاعم الاغلب . وأشهر مدارس بغداد هي المدرسة المستنصرية التي انشأها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣١هـ . وكانت اقرب المدارس الاسلامية ، من حيث الشكل ، الى الجامعة بمفهومها الحديث . فقد كانت تدرس فيها المذاهب السنية الاربعة ، ولها مكتبة كبيرة تحوي آلاف المجلدات في مختلف العلوم والمعارف ، وانشىء الى جانبها دار لتعليم الاطفال القرآن الكريم . وانشىء مقابلها ايوان فسيح في صدره ساعات ترشد الناس الى أوقات الصلاة . وقد خصص هذا الايوان للطب ، فكان به جماعة من المشتغلين بالطب ولهم شيخ يعلمهم ويداوي الفقراء من المرضى . وكان للمستنصرية اوقاف ينفق منها على الاساتذة والطلاب ما يسد حوائجهم من الطعام والصابون والنور وأدوات الكتابة ومستلزماتها .

ولم يقتصر التعليم على المساجد والمدارس . فقد كانت الدروس الدينية تقدم في الزوايا والربط الصوفية . وكان بعض العلماء يعلمون في بيوتهم حيث كان يقصدهم الطلاب ليدرسوا علوما معينة . وكانت مجالس المناظرة تعقد في بيوت العلماء والامراء . وظهرت في البلاد الاسلامية دكاكين الوراقين او ما يسمى في وقتنا الحاضر بدور النشر ومكتبات بيع الكتب والقرطاسية . وقد نتج عن اقبال الناس على الكتب ازدهار صناعة الورق التي نقلها العرب من الصين

ومنهم انتقلت الى أوربا فكانت من العوامل الممهدة للنهضة العلمية الحديثة ، وانتشار المعرفة في أوربا • ولم يكن الوراقون مجرد باعة للكتب او ناسخين لها ، وانما كان منهم علماء وأدباء ذوو ثقافة عالية واطلاع واسع على جوانب المعرفة المختلفة كابن النديم مؤلف كتاب الفهرست ، وياقوت الحموي مؤلف معجم البلدان ومعجم الادباء • وكان يجتمع في حوانيت الوراقين العلماء والفلاسفة والادباء فيقرأون الكتب ، وينسخونها ، ويناقشونها ، ويتناظرون في مختلف فنون العلم والمعرفة •

واهتم المسلمون بأنشاء خزائن الكتب اي المكتبات العامة ، وهي المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس ، أو المستقلة كدار الحكمة ودار العلم ببغدادوكانت تعير الكتب للطلاب أو لعامة القراء •

ولم تقتصر الحركة العلمية على المسلمين • فقد كان لابناء الملل الاخرى ، كالصابئة والنصارى ، مراكز علمية يدرس فيها الطلاب لغتهم ودينهم وتراثهم العلمي والادبي • وكانت الكنائس والاديرة والمكتبات الملحقة بها والمكتبات التابعة لها ، من أهم مراكز العلم والترجمة •

لقد أسهم في ارساء قواعد النظام التربوي الاسلامي وتطويره اعداد كبيرة من العلماء من مختلف الطوائف والمذاهب • ومن الفرق التي اهتمت بالتعليم ، وأسهمت في وضع اسسه وتطويره ، الفرقة الشيعية الامامية • ولا يختلف النظام التربوي عند هذه الفرقة ، من حيث الشكل ، عن النظام التربوي الاسلامي العام ، وانما يتفرد عنه ببعض السمات الخصوصية في منهج البحث وفي مواد بعض موضوعات الدرس •

وقد اثرت في توجيه التعليم عند الامامية ، واكسابه شيئا من الاستقلال والملامح الخصوصية ، عوامل عديدة منها : اعتقاد الامامية بعلم أئمتهم المعصومين المحيطين بالعلوم الالاهية • وكان الائمة يعلمون شيعتهم علوم القرآن ، ويروون لهم الاحاديث ، ويحثونهم على تعلم علوم آل البيت وتعليمها • وكانوا يوصون علماء شيعتهم بتعهد اتباعهم وتعليمهم احاديث آل البيت لئلا ينحرفوا عن المذهب

القويم كما يعتقدون • وبعد غيبة الامام المهدي ، في حدود سنة ٢٦٠ هـ ، تولى شيوخ الشيعة الامامية مهمة تعليم علوم آل البيت والعناية بنشرها • وقد لجأ الائمة ، وشيوخ الطائفة من بعدهم ، بحكم الظروف السياسية ، الى التستر وعدم البوح ، في الغالب ، بعلومهم امام من يخالفهم في العقيدة او من له صلة بالسلطان • واتخذوا مؤسسات تعليمية خاصة بهم ، كالكتاتيب ، والمساجد ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب ، ودور العلم وغيرها • وكان للتدريس في المنازل أهمية خاصة عندهم ، ففي هدوء المنزل ، وبعيدا عن رقابة عيون السلطان والمناوئين ، كان الامام او الشيخ ينصرف الى التدريس بحرية واطمئنان •وكان في الدار التي تستعمل للتعليم موضع خاص يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى مسجدا•

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرسون فيها • وكانوا يعقدون فيها الحلقات للدرس والوعظ والمناظرة • وقد نشط التعليم في مساجد عرفت فيما بعد بالعتبات المقدسة ، كمرقد الامام علي بن ابي طالب في النجف ، ومرقد الامام موسى الكاظم في بغداد ، ومرقد الامام علي الرضا في طوس ، ومشهد السيدة بنت موسى الكاظم في قم ، وغيرها • وقد ازدادت اهمية هذه المساجد ، شيئا فشيئا ، خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة وما بعدهما • وكذلك أنشأ الشيعة الامامية مكتبات عامة من أشهرها دار علم سابور ودار علم الشريف الرضي ببغداد • وقد تطورت المدرسة عن نظام التعليم في المساجد ومنازل العلماء ودور العلم • ولكن انشاء المدارس عند الشيعة لم ينتشر الا بعد القرن الخامس •

كان المعلمون اصنافا ادناهم درجة معلمو الصبيان ، وارفعهم منزلة الائمة ومن بعدهم شيوخ الطائفة المعتمدون • ولم يكن المعلمون يعدون اعدادا مهنيا خاصا ، وانما كانوا يتلقون الضروري من العلم عن طريق الدراسة على الشيوخ والاتصال بهم • وقد يسرت الدولة الاسلامية ، بما ازالت من الحدود بين البلاد والامم وبحمايتها طرق التجارة والحج ، رحلة الطلاب في طلب العلم • كانت الرحلة تتم ، غالبا ، في اوقات الحج ، لان الائمة كانوا يقيمون في الحجاز الى

منتصف القرن الثالث ، وبعد ذلك أصبحت وجهة رحلة الطلاب نحو المراكز الدينية الامامية في الكوفة وبغداد والنجف في العراق وقم في ايران •

وكان للشيوخ والطلبة مثل عليا يهتدون بها ، وآداب خاصة في سلوكهم الشخصي والاجتماعي وفي مجالس الدرس الوعظ والمحاضرة • فمن آداب الشيخ الا ينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك • وان يبذل العلم عند وجود المستحق له ، وان يصونه ولا يذله ببذلـه لغير اهله • وان يعمل بعلمه • وان لا يذهب الى مكان المتعلم مهما كبر قدره الا ان تدعو اليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية • وان يؤدب طلابه ، على التدرج ، بالآداب الدينيـة والشيم المرضية ، وان يلين للمتعلمين ويتواضع لهـم ولا يتعاظم عليهـم • وان يكون حريصا على تعليمهم ، باذلا وسعه في تفقيههم وتقريب الفائدة من افهامهم واذهانهم ، وان يفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه ، ولا يبسط الكلام بسطا حتى لا يضعف نشـاط الطـالب عن التفكير • وان يزجرهم من سوء الخلق وارتكاب المحرمات والمكروهات بطريق التعريض ما أمكن ، لا بطريق التصريح ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبـة ويورث الجرأة • ومن آداب الشيخ في مجلسه ان يخرج الى الدرس كامل الاهبة ، مستكملا ما يوجب له الوقار والهيبة ، وان يحسن خلقه مع جلسائـه ، ويعاملهم حسب تقدمهم ومنازلهم في العلم • واذا سئل عن شيء لا يعرفه ، أو عرض في درسه ما لا يعرفه، يجب عليه ان يقول لا اعرفه ، او لا اتحققه، او لا أدري حتى أراجع النظر في ذلك ، ولا يستنكف من ذلك ، فمن علم العالم ان يقول فيما لا يعلم لا أعلم • ومن آداب الطالب ان يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط وحالة الشباب • وان يقطع ما يقدر عليـه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة من تمام الطلب وكمال الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل، وان يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه ليلا ونهارا • وان يعتقد في شيخه انه الاب الحقيقي والوالد الروحاني وانه اعظم من الوالد الجسماني • وان يحضر المجلس قبـل حضور الشيخ ، حاملا أدوات الـكتابة ، مستعدا لتلقي الدرس

بسكينة ووقار . سلام ورحمة على شيوخ الامامية الاجلاء الذين سجلوا لنا هذه الأداب الرائعة ، والمثل العليا في سلوك المعلم والمتعلم . وجدير باساتذتنا وطلبة العلم عندنا أن يهتدوا بهديها ، ويسيروا على نورها ، ويطبقوها في حياتهم قولا وفعلا .

وتعددت أساليب التدريس وطرقه باختلاف استعداد الشيوخ وكفاءتهم وظروفهم . ومن أعم هذه الطرق شيوعا السماع من المعلم حيث كان الطلبة يحضرون مجلس الشيخ في اوقات معينة ، فيحدثهم من حفظه او من كتاب ، او يملي عليهم الدرس املاء . وكان الدرس أو المحاضرة يسمى مجلسا او املاء . ومن أشهر الامالي التي وصلتنا من شيوخ الامامية : أمالي الشيخ الصدوق ، وامالي الشيخ المفيد ، وامالي الشريف المرتضى وامالي الطوسي . ومن طرق التدريس الاخرى القراءة على الشيخ أو العرض ، وذلك بان يقرأ الطالب في كتاب ، او من حفظه ، والشيخ يستمع اليه ، أو أن يستمع الطالب الى من يقرأ في حضور الشيخ . وطريقة الاجازة في نقل الحديث وتحمله وهي ان يأذن الشيخ للطالب ، شفاها او تحريرا ، برواية كتاب معين ،اجمالا أوتفصيلا.

والظاهر ان منهج التعليم لم يكن مقسما الى مواضيع معينة كالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك من العلوم الشرعية ، وانما كان الطلبة يدرسون كتبا معينة موروثة عن الائمة ، أو ألفها شيوخ موثوقون تلقوها عن الائمة مباشرة أو مواسطة . وكان الطالب يدرس ، في الغالب ، موضوعات شتى في العلوم الدينية واللغوية وغيرها . وكن عدد الاصول التي تبحث في العلوم الشرعية حتى نهاية عصر الائمة في منتصف القرن الثالث اربعمئة أصل . ثم حلت محلها اربعة كتب أصبحت هي الاصول المعتمدة وهي : كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) وكتاب تهذيب الاحكام وكتاب الاستبصار فيما اختلف من الاخبار لشيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) .

هذه الصورة الموجزة عن أساليب التربية عند الامامية لا تختلف في

ملامحها الجوهرية عن الاساليب التربوية عند المسلمين عموما • ولا عجب في ذلك فهي جميعا نتاج الاسلام الواحد ، وثمرة الحضارة العربيــة الاسلاميـة الواحدة • وانما تنفرد التربية الشيعية بمادة بعض الموضوعات التي تقدم للطلبة • لقد كان هـدف التربية الاسـلامية ، عموما ، تحقيق التربية الدينية ، واعـداد الطالب ليكون مستقيم السلوك في الدنيا ، مهيئاً لنيل السعادة في الآخرة • وقـد سار علماء الامامية على هذا المنهاج فاهتموا بالاعـداد للحياة الآخـرة اهتـماما عظيما ، وعدوا العلوم الشرعية أساس كل معرفة • يقول الامام الصادق : « وجدت علوم الناس كلها في اربع خلال : اولها أن تعرف ربك ، والثانية أن تعرف ما صنع بك ، والثالثة ان تعرف ما أراد منك ، والرابعة ان تعرف مـما يخرجك من دينك » •

تقوم خصوصية التعليم عند الشيعة الامامية على التركيز على علـوم آل البيت • ومن أهم خصائص منهج البحث عندهم عدم الاخذ ، الا في حالات نادرة ، بحجية الخبر الذي لا يكون في سنده واحد من أئمتهم • وقدتكامل الفقه خلال القرون الخمسة الاولى ، وامتازت عملية استنباط الاحكام الشرعيـة من الاصول ومن أدلتها التفصيلية بالحيوية والنشاط بفضل حرية الباحثين من الفقهاء في الاجتهاد والتأويل • لقد كان للشيوخ الحرية الواسعة في الاجتهـاد ضمن اطار المبادىء العامة والعناصر المشتركة لادلة الاحكام الشرعية • وكان تكامل الفقه الشيعي سببا ونتيجة لتكامل خصائص الطائفة الشيعية العقدية والاجتماعية •

وقد استمر نمو الفقه بعد القرن الخامس ، ولكنه كان ، في الغالب ، نموا في الكم ، وفي الامور الفرعية بخاصة • ولعل من عوامل ذلك استقـرار أسس المذهب فلم يبق مجال لاضافة جديد اليهـا • ولم يحدث في الحيـاة الاجتماعية والاقتصادية ما يستدعي تغييرا جوهريا • ثم ان نشوء المدارس ، وان ساعد على نشر العلم بين اعداد كبيرة من الطلبة ، فقد كان عامـل محافظة على التقاليد الموروثة ، وتكرار لآراء العلماء السالفين • وقد انحصر دور العقل ، في الغالب ، في التأكد من صحة نقل الحديث بفحص سنده والتأكد من سلامة متنه من التصحيف حسب الطرق التي استقرت عندهم في نقد الحديث ، دون ان

يتعدى ذلك الى نقد محتواه . كان النظام التربوي الاسلامي في القرون الاربعة الاولى ، عموما ، حرا يقوم على مجهود الافراد ، ولم تكن هناك مؤسسات رسمية ، او طائفية ، تسيطر عليه . وكان الشيوخ ، في تلك العصور ، يسعون لفهم الدين ، وتفسيره ، وتوضيحه للناس . ولكن بعد ان تكاملت المذاهب ، وانشئت المدارس ، اصبح هدف التربية حفظ التراث ، وصيانته ، وتنظيمه ، وشرحه والتعليق عليه . على أن العصور المتأخرة لم تخل من علماء افذاذ جددوا وابتكروا واجتهدوا .

امتازت التربية والتعليم في القرون الاربعة الاولى من التاريخ الاسلامي ، كما أسلفنا ، بالابتكار والاصالة والحيوية والشغف بالبحث والتساؤل . ومن هنا أهمية كتاب « تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الامام الصادق والشيخ الطوسي » لصديقنا الكريم الاستاذ الدكتور عبدالله الفياض . لقد تناول الدكتور الفياض نظام التربية عند الامامية وهو في طور التكون والتطور ، وفي دور الاصالة المبدعة الغنية . فهذا العصر ، الذي كرس له المؤلف هذا الكتاب ، من أخصب عصور العلم في الاسلام واعظمها حيوية وازدهارا . وقد نبغ فيها من الائمة وشيوخ الفكر الامامي كثيرون كالامام الصادق والشيخ الصدوق والمفيد والشريفين الرضي والمرتضى والطوسي . وفي هذا العصر الفت الاصول الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية . ولم تقتصر جهود الامامية ، في هذا العصر ، على العلوم الدينية ، وانما اسهموا في الثقافة الاسلامية عامة فنبغ منهم الاعلام المشهورون في الشعر واللغة والادب والفلسفة والكلام والعلوم الرياضية والطبيعية .

عرّف المؤلف الشيعة الامامية ، واوضح نشأتها وتكونها ، واوجز عقائدها الاساسية ، والم بتاريخ ائمتها الاثني عشر . وقد قصر بحثه على الفرقة الامامية ، مستبعدا فرق الشيعة الفرعية الاخرى كالسبائية والكيسانية والزيدية والاسماعيلية ، وبذلك اتاح لنفسه مجال التعمق بدراسة موضوعه ، والاحاطة بتفاصيله ، والغوص الى دقائقه . وقد تناول العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية ، وبحث في مراكز التعليم وامكنته ، وفصل القول في المعلمين على

اختلاف اصنافهم ودرجاتهم ، والطلبة في مراحل دراستهم المختلفة ، وأساليب التعليم ومناهجه ، وفي مصادر تمويل التعليم والانفاق عليه •

ولم تكن طريق المؤلف معبدة سهلة • فلم يؤلف القدماء من علمائنا الا القليل من الرسائل الخاصة بالموضوع وقد ضاع معظم هذا القليل • وما كتب في العصر الحديث ، على قلته وعلى تفاوت مستوى التدقيق العلمي فيه ، عام لا يفيد الباحثين عن الدقائق والتفاصيل • وقد رجع المؤلف الى اكثر من ثلاثين ومئة مصدر اولي ومرجع ثانوي بين موضوع او مترجم او في لغته الاجنبية ، فقرأها قراءة تمحيص وتدقيق ، وجمع ما فيها من معلومات عن التربية • ولم يكن امام المؤلف من الكتب الخاصة بموضوع التربية عند الشيعة سوى رسالتين صغيرتين تعودان الى عصور متاخرة عن الفترة التي تناولها بالبحث وهما : « آداب المتعلمين » لمؤلف مجهول • و « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » للشيخ زين الدين العاملي المتوفي سنة ٩٦٥هـ • ولكن المؤلف بما بذله من جهد صبور في البحث والتقصي تمكن من ان يؤلف من المعلومات المتناثرة في المصادر والمراجع صورة واضحة المعالم والسمات لهذا الموضوع الخطير • وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا القيم مناهج البحث التاريخي المعتمدة في تقصي الوقائع ، والربط بينها ، وتفسيرها • وكتب نتائج بحثه بلغة سليمة ، وعبارة واضحة ، واسلوب رصين • وحرص المؤلف على تقصي دقائق الموضوع وتوضيح الظروف التي احاطت بنشأته وتطوره جعل من كتابه اكثر من كتاب في التربية عند الامامية • فهو يقدم ، بالاضافة الى ذلك ، صورة وافية للاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الاسلامي في عصوره الاولى ، وفي العراق بخاصة ، الى خلاصات وافية عن سير ائمة الفرقة الامامية وكبار شيوخها ومعلميها ومؤلفيها • وكتاب الدكتور عبدالله الفياض ، في رأيي ، أول كتاب يؤرخ للتربية عند الشيعة الامامية بحسب المنهج التاريخي العلمي ، ومن أهم الكتب في تاريخ التربية عند المسلمين عموما • وهو يستحق من المعنيين بالحركة العلمية العربية الاسلامية عموما ، وبالتربية الاسلامية خصوصا ، كل تقدير واكبار •

بغداد ١٩٧٢/٦/١٧ محمد توفيق حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الكتاب* الذي اضع بين يدي القارىء كان حصيلة عمل شاق امتد لسنوات عديدة • وكان الهدف من اعداد هذه الدراسة بحث النظام التربوي عند فرع من جماعة اسلامية كبيرة عرفت في البداية بشيعة علي بن ابي طالب (ع) • واختص فرع شيعي ، من بين جماعات الشيعة المختلفة ، بالتمسك بالنص على خلافة علي (ع) وقال بتعيينه من قبل النبي (ص) للأمامة والخلافة • واطلق على الشيعة المذكورين ، بعد ان تكونت الفرق الأسلامية في القرن الثاني للهجرة ، اسم « الترابية » نسبة الى أبي تراب كنية علي بن ابي طالب (ع) ، ثم « الجعفرية » نسبة الى الامام جعفر الصادق (ع) ، وبعد حصول غيبة الامام الثاني عشر في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة سمي الشيعة الذين تناولهم البحث بـ « الأمامية » أو الاثني عشرية كما سنفصل ذلك بعد قليل •

ولما كان اولئك الشيعة يتمسكون بالنص والتعيين بالخلافة والامامة قبل الغيبة وبعدها ، وانهم سموا في كتب التاريخ والفرق بالأمامية أو الاثني عشرية بعد تلك الغيبة ، آثرنا ان نسميهم في الفترة السابقة للغيبة بـ «اسلاف الأمامية» • وذلك ان اولئك وهؤلاء كانوا جماعة واحدة يجمعها القول بالنص والتعيين وان اختلفت تسميتهما في فترتين مختلفتين •

ويترتب على ماسبق يكون عنوان الأطروحة التي نقدمها للقارىء « تاريخ

(*) ان هذا الكتاب اطروحة قدمها المؤلف للجامعة الامريكية ببيروت في عام ١٩٦٦ ونال بها شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة المذكورة •

التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الأمام الصادق والشيخ الطوسي.

وقبل ان اعرض المصادر التي اعتمدتها لهذه الرسالة ، أود ان احدد الملامح العامة للشيعة اسلاف الامامية ولخلفائهم الامامية الذين خصصت رسالتي لبحث التربية عندهم .

ان شيعة علي بن ابي طالب (ع) قديمون في التاريخ الاسلامي اذ يرجع كثير من المحدثين والمؤرخين ظهورهم الى عهد النبي (ص) ولم تكن شيعة علي في بادىء الامر فرقة دينية ذات عقائد معينة بل كانوا مجرد انصار وموالين . ثم تحولوا مع الزمن الى فرق تمسكت احداها ، وهي ماتعنينا هنا ، بالنص على خلافة علي (ع) وتعيينه من قبل النبي (ص) للأمامة والخلافة .

ولكي يطلع القارىء على تطور شيعة علي ، ثم تحولها مع مر الزمن الى مجموعة من الفرق والجماعات الفرعية امثال الكيسانية ، والزيدية ، والجعفرية (اسلاف الامامية) ثم الامامية نحيله الى طائفة من الكتب التي تناولت الموضوع[1] .

---

(١) الاشعري ، سعد بن عبدالله ، المقالات والفرق (طهران ، ١٩٦٣) ، ابن رستم ، الطبري ، محمد بن جرير ، المسترشد في امامة علي (ع) (النجف ، لا . ت) الاشعري ، علي بن اسماعيل ، مقالات الاسلاميين (القاهرة ، ١٩٥٠) ، الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم ، الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٥٦) ، النوبختي ، الحسن بن موسى ، فرق الشيعة (استانبول ، ١٩٣١) ، العكبري ، الشيخ المفيد ، الارشاد (اصفهان ، ١٣٦٤) ، المرتضى الشريف ، تنزيه الانبياء ، (النجف ، ١٩٦٠) ، ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، مناقب آل ابي طالب (النجف ، ١٩٥٦) ، فلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة ـ تر : عبدالرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٥٨) الفياض ، عبدالله ، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة ، (بغداد ، ١٩٧٠) .

Vloten, G.V, Recherches sur la Domination arabe, le Chiitisme et les Croyances Messianiques sous le Khalifat des Omaydes, Amsterdam, 1894.

Guillaume, A., Islam, Edinburgh, 1954.

Donaldson, D., M., The Shi' te Religion, London, 1933.

Mez, A., The Renaissnace of Islam, London, 1933.

أما الامامية واسلافهم من الشيعة الذين يتناول هذا الكتاب بحث النظام التربوي عندهم ، فهم الشيعة الذين كانوا الرواد الاول للتشيع وواضعي بذرته في عهد الرسول (ص) ، كما كانوا اشهر بناة الفكر الشيعي وكان هؤلاء ، ومازالوا ، في عصرنا ، العمود الفقري للشيعة • وتمسك اولئك الشيعة منذ بداية ظهورهم بتأييد علي (ع) كما التزموا بالنص على امامته ، وقالوا بوصية النبي (ص) له (ع) بالامامة والخلافة • وبقيت تلك الجماعة الشيعية تسير على المنهاج الاول الذي وضعه النبي (ص) وتمسك بوصيته بعد ان تفرقت بالشيعة السبل وتقطعت بينهم الاسباب • وانفصلت منهم مع الزمن فرق الغلاة التي وصفت بالمروق عن الاسلام ، امثال الكيسانية والخطابية والهاشمية وغيرها ، ثم انبثقت عنهم الفرق الشيعية غير الامامية كالزيدية والاسماعيلية وفروعهما •

واستمر الشيعة الذين قالوا بالنص والتعيين على تبني سلسلة من الائمة عرفوا فيما بعد بالائمة الاثنى عشر المعصومين أولهم علي بن ابي طالب (ع) وآخرهم الامام الحجة الغائب (ع) • وكون الشيعة القائلون بالنص ، والذين اطلقت عليهم في اعلاه اسم اسلاف الامامية ، فرقة شيعية في القرن الثاني للهجرة اطلقت عليها حينذاك اسماء مختلفة : منها « الترابية » نسبة الى ابي تراب كنية علي بن ابي طالب (ع) ومنها « الجعفرية » نسبة الى الامام جعفر الصادق (ع) ، ومنها الرافضة وهو الاسم الذي اطلقه عليهم خصومهم •

وبعد ان حصلت الغيبة بعد منتصف القرن الثالث للهجرة بقليل ، سميت الفرقة الشيعية المذكورة بـ « الامامية » أو الاثنى عشرية • ويترتب على ذلك ان الشيعة القائلين بالنص والتعيين هم ما اقترحنا تسميتهم ، قبل حصول الغيبة بأسلاف الامامية وسمواهم انفسهم بالامامية بعد حصول تلك الغيبة • وتعتقد الفرقة المذكورة من الشيعة بأمامة أثنى عشر أماما أولهم علي (ع) وآخرهم الامام الغائب الحجة (ع) حسب التسلسل المعروف عندهم •

وقد تناولنا ، بكتابنا الموسوم بـ « تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة[٢] ،

---

(٢) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٧٠م •

تاريخ الشيعة منذ نشأتهم فينا تشعبهم مع مر الزمن الى فرق فرعية[٣] واوضحنا تمسك الشيعة اسلاف الامامية وخلفائهم الامامية بفكرة النص والتعين بالخلافة والامامة[٤] واخيرا تطرقنا الى بحث القضايا ذات العلاقة بعقائد الشيعة الامامية من عصمة وغيبة[٥] وغيرهما .

وللامامية الاثني عشرية عقائد أساسية أهمها :

اولا ـ الامامة :

يعتقد الامامية أن الامامة اصل من اصول المذهب وان الاعتقاد بها ضرورة من ضرورات ذلك المذهب . وقد ناقشنا موضوع الامامة في كتابنا سالف الذكر[٦] واليك ملخصا لما فصلناه هناك : يسوق الامامية أدلة من الكتاب والسنة والعقل لاثبات الامامة .

فالشيخ الطوسي عند تفسيره قوله تعالى مخاطبا ابراهيم (ع) ﴿ اني جاعلك للناس أماما ...﴾[٧] . يقول « واستدل اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لايكون الا معصوما من القبائح ، لأن الله تعالى نفى ان ينال عهده ـ الذى هو الامامة ـ ظالم ، ومن ليس بمعصوم ظالم أما لنفسه أو لغيره »[٨] . وقد أورد الكليني طائفة من الاحاديث لاثبات الامامة أحدها عن الامام الرضا (ع) جاء فيه « ... ان الامامة منزلة الانبياء وارث الاوصياء ... »[٩] .

والامامة ، حسب عقيدة الشيعة الامامية ، محصورة في ولد الحسين . وعندما سئل الامام جعفر الصادق (ع) عن تفسير قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية في عقبه » قال « يعني بذلك الامامة ، جعلها في عقب الحسين الى يوم القيامة »[١٠] .

---

(٣) تاريخ الامامية صص ٧٣ ـ ٨٥ .

(٤) أيضا ، صص ١٣١ ـ ١٣٦ .

(٥) أيضا ، صص ١٥٤ ـ ١٦٥ .

(٦) الفياض ، عبدالله ، تاريخ الامامية ، ص ١٣١ .

(٧) البقرة ، آية ، ١٢٤ .

(٨) التبيان في تفسير القرآن ، ج ١ ، (النجف ، ١٩٥٧) ، ص ٤٤٦ـ٩ .

(٩) الكليني ، الكافي ، ج ١ (طهران ، ١٣٧٧) ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(١٠) القمي، الشيخ الصدوق، الخصال (طهران، ١٣٧٧) ص١٩٩ـ٢٠٠.

ثانيا ـ الغيبة :

يعتقد الشيعة بغيبة الامام الثاني عشر محمد المهدى (ع)[١١] . ويبين الشيخ الصدوق العلة في حدوث الغيبة . قال الصدوق ان الصادق (ع) روى ان رسول الله (ص) قال « لابد للغلام من غيبة . فقيل له ولم يا رسول الله قال يخاف القتل »[١٢] . وقد عالج عدد من الكتاب غيبة المهدي[١٣] .

ثالثا ـ العصمة :

يعتقد الشيعة الامامية بعصمة ائمتهم الاثني عشر من الخطأ والخطيئة والنسيان . ويرى الامامية ان الامام كالنبي (ص) يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا . قال الامام علي بن الحسين (ع) « ان الامام منـا لا يكون الا معصوما . وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها ولذلك لايكون الا منصوصا . فقيل له ـ ما معنى المعصوم ؟ « قال هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة »[١٤] . ويعتقد الشيعة الامامية أن العصمة أمر ضروري لان الائمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي (ص) . ويرون ان الدليل الذي اقتضانا ان نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا ان نعتقد بعصمة الائمة بلا فرق[١٥] .

ولعقيدة العصمة أهمية كبيرة عند الامامية ، ويعود ذلك للأسباب الآتية:

---

(١١) للامام الحجة المنتظر ابن الامام الحسن العسكري عليهما السلام غيبتان ، صغرى ، وهي من عام ٢٦٠ الى ٣٢٩هـ . والغيبة الكبرى حصلت بعد سنة ٣٢٩هـ وهي مستمرة الى يومنا هذا حسب اعتقاد الشيعة الامامية .

(١٢) القمي ، الشيخ الصدوق ، علل الشرائع (النجف ، ١٩٦٣) ص٢٤٣ .

(١٣) النعماني ، الغيبة ؛ المسعودي الوصية ، الكسروي ، احمد التشيع والشيعة (طهران ، ١٣٤٦) ؛ دخيل ، محمد علي الامام المهدي عليه السلام (النجف ، لا . ت) .

(١٤) القمي ، محمد بن علي ، عيون اخبار الرضا ، ج١ (طهران١٣١٨) ص ٥١ .

(١٥) المظفر ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

اولاً - أراد الامامية في تبني العصمة حصر القدسية بأئمتهم الاثني عشر المعصومين دون غيرهم بما في ذلك غير المعصومين من بني علي (ع) وبني هاشم .

ثانيا - ان اعتقاد الامامية بعصمة الائمة جعل الاحاديث التي تروى عنهم ملزمة دون ان يشترطوا ايصال سندها الى النبي (ص) كما هي الحال غالبا عند أهل السنة .

ويرى الامامية ان ما يصح عندهم من أحاديث الائمة هي بمثابة أحاديث النبي (ص) لان الامام المعصوم لا يروى الا عن امام معصوم ، وهذا الاخير روى عن النبي (ص) مباشرة . ولكولدزيهر (Goldziher) رأى حول نظرة الشيعة الامامية لصحة الاخبار التي تصدر عن المعصوم يقول فيه « ومن تعاليم الشيعة ان الاقوال والروايات التي ترجع الى رواية اكيدة عن الائمة ، هي اقوى في الاثبات والتيقن من الادراك المباشر للحواس ، وذلك لعصمة من روى عنهم وتنزههم عن الخطأ ، وهذه الاقوال اهل لان تهب المرء يقينا صحيحا مطلقا أصح من ذلك اليقين المكتسب بطريق الحواس المعرضة للوهم والخداع[16] .

ومن الجدير بالذكر ان الامامية لا تسلم بصحة كتاب عدا كتاب الله ، فما ورد من حديث في أي كتاب من كتب الحديث تجوز مناقشته سندا ومتنا .

أما التقية فان الامامية لا يعدونها من العقائد الأساسية وينزلونها منزلة الفروع . وبالرغم من ذلك فأن طائفة من الاحاديث وردت بشأن الالتزام بها . روى ان الامام الصادق قال « تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له »[17] . وروى الامام موسى الكاظم حديثا عن النبي (ص) أشار فيه الى ان طاعة السلطان للتقية واجبة [18] .

ويقول الطوسي «والتقية عندنا واجبة عند الخوف على النفس » وقد روى رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها ، وبعد مناقشة طائفة من الاخبار يخلص

---

(١٦) العقيدة والشريعة ، ص ١٨٩ .
(١٧) القمي ، عيون اخبار الرضا ، ج ١ ، ص ١٤ .
(١٨) ايضا ، ص ٤٥ .

الطوسي الى القول ان « التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة • وظاهر أخبارنا يدل انها واجبة وخلافها خطأ[١٩] • ويرى الشيخ محمد رضا المظفر أن « للتقية أحكاما من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية • وليست هي واجبة على كل حال ، بل قد يجوز او يجب خلافها في بعض الأحوال ، كما اذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام ، وجهاد في سبيله ••• وقد تحرم التقية في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة ، أو رواجا لباطل ، أو فسادا في الدين ، أو ضررا بالغا على المسلمين بأضلالهم او افشاء الظلم والجور فيهم »[٢٠] • وقد ساعدت التقية الشيعة على العيش في مجتمعات تناصبهم العداء غالبا • ومن الجدير بالذكر ان الفرق بين الشيعة وغيرهم في خصوص التقية ان الشيعة تنص على لزوم الاخذ بالتقية وتلتزم به في حدود معقولة ، بينما غيرهم لا ينص على التقية ولكنهم يلتزمون بها •

وقد وردت تفصيلات عن عقائد الشيعة في كتاب الشيخ المظفر الذي سبقت الاشارة اليه •

أما الفروق الاساسية بين الامامية واسلافهم من الشيعة وبين سواهم من الفرق الشيعية الاخرى فيمكن ان نجملها بما يأتي :

اولا ـ اعتقاد الامامية واسلافهم بان الأمامة محصورة في عترة النبي(ص) •

وتتكون العترة المذكورة عدا علي (ع) ، من الحسن والحسين وتسعة من ابناء الحسين • وقد نص النبي (ص) ، حسب اعتقاد الامامية واسلافهم من قبل ، على عدد الائمة وسماهم بأسمائهم في حديث اللوح المعروف[٢١] • ويكون تسعة من أئمة الشيعة الامامية الأثني عشر من ولد الحسين حسب الحديث الذي رواه الطبرسي[٢٢] • كما أشرنا الى ذلك قبل قليل • يقول المفيد ، في معرض

(١٩) التبيان ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ •
(٢٠) عقائد الشيعة ، ص ٦٤ •
(٢١) المفيد ، الارشاد ، ص ٢٣٧ ـ ٨ •
(٢٢) الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ٤٣ •

تفنيده لأمامة محمد بن الحنفية امام الكيسانية ، يجب « ثبوت الامامة ... في العترة خاصة بالنظر والخبر من النبى (ص) وفساد قول من ادعاها لمحمد بن الحنفية (ر) بتعريه من النص عليه بها فثبت انها في علي بن الحسين عليهما السلام اذ لا مدعاً له الامامة من العترة سوى محمد (ر) وخروجه عنها بما ذكرناه» ثم يقول المفيد ايضا «نص رسول الله (ص) بالامامة عليه [على بن الحسين] فيما روي من حديث اللوح الذى رواه جابر عن النبى (ص) ... (٢٣) ».

ويترتب على ماسبق ان الشيعة الكيسانية يختلفون عن الشيعة الأمامية واسلافهم، فضلا عن اعتقادهم « بأن الدين طاعة رجل »[٢٤] ، بأنهم تبنوا سلسلة من الائمة لم ينص عليها النبي(ص) ، حسب اعتقاد الأمامية ، وانهم اخرجوا الأمامة من ابناء فاطمة الى محمد بن الحنفية .

ويختلف الشيعة الزيدية عن الشيعة الامامية واسلافهم في تعين سلسلة الائمة المنصوص عليهم فالزيدية « ساقوا الامامة في اولاد فاطمة ، ولم يجوزوا ثبوت الأمامة في غيرهم ، ... الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم ، زاهد، شجاع ، سخي ، خرج بالأمامة أماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن أو من اولاد الحسين[٢٥] . والزيدية الذين تخلوا عن العقيدة القائلة بحصر الأمامة في ابناء الحسين(ع) ، فقدوا شرطا أساسيا من شروط الأمامة ، حسب مقاييس الأمامية ، وهو حصر الامامة في ولد الحسين دون غيرهم من ابناء علي(ع).

ويختلف الشيعة الاسماعيلية عن الشيعة الامامية في تعين سلسلة الائمة المنصوص عليهم . فالاسماعيلية ساقوا الأمامة بعد جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل ولم يعترفوا بأمامة موسى الكاظم الذى يعده الامامية الامام الحق بعد أبيه الصادق (ع) . ونتيجة لذلك اصبحت الاسماعيلية فرقة شيعية متميزة عن فرقة الشيعة الامامية . قال ابن الاثير ، في معرض كلامه على مقتل الصالح بن رزيك سنة ٥٥٦هـ « وكان الصالح أماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين »[٢٦] .

---

(٢٣) الارشاد ، ص ٢٣٧ — ٨ .

(٢٤) الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

(٢٥) ايضا ، ص ٣٠٢ .

(٢٦) الكامل ، ج ١١ ، ص ١١١ .

ثانيا ـ الاختلاف في عدد الائمة :

يعتقد الشيعة الامامية واسلافهم باثنى عشر اماما آخرهم الامام المهدي صاحب الزمان(ع) • قال الامام الصادق (ع) « الائمة بعد نبينا (ص) اثنا عشر نجباء من نقص منهم واحدا أو زاد فيهم واحدا خرج من دين الله ، ولم يكن من ولايتنا على شيء»[٢٧] • وينفرد الشيعة الامامية عن بقية الفرق الشيعية الاخرى بالاعتقاد بالعدد المذكور • قال القمي ان أبا علي احمد بن الفضل قبض على الحافظ الفاطمي « واستقل بالامر •• واظهر مذهب الامامية وتمسك بالائمة الاثنى عشر(ع) ورفض الحافظ وأهل بيته ، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان ، الامام المنتظر ، صاحب الزمان »[٢٨] •

ثالثا ـ اختلافات في قضايا تفصيلية متعددة بين فرقة الشيعة الامامية من جهة والفرق الشيعية الاخرى من جهة ثانية •

ومن بين القضايا المذكورة قضية النص والتعيين ، وقضية الاعتقاد في الامام المهدي وغيبته • وقد تكفلت كتب الفرق والحديث ايراد تفصيلات عن المواضيع المذكورة[٢٩] •

وقبل الكلام عن المصادر لابد من الاشارة الى قضية ذات أهمية وهي ان النظام التربوى عند الشيعة الامامية واسلافهم ، الذى نحن بصدد البحث فيه ، يعد جزءا من نظام تربوى اسلامي عام تبناه المسلمون كافة بما فيهم الشيعة • ويعود ذلك الى ان النظام المذكور استمد مقوماته الاصلية ومفاهيمه الرئيسة من منابع اسلامية عامة يستوى في احترامها والاقتباس منها جميع المسلمين على اختلاف

---

(٢٧) المفيد ، الاختصاص (طهران ، ١٣٧٩) ، ص ٢٣٣ ••

(٢٨) القمي ، عباس ، الكنى والالقاب ، ج ٢ ، (النجف ، ١٩٥٦) ، ص ٤٢٥ •

(٢٩) النعماني ، المصدر السابق ، المسعودى ، المصدر السابق ، النوبختي ، المصدر السابق ، الشهرستاني ، المصدر السابق ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، الاستبصار ٣ اجزاء • (لكنهو ، ١٣٠٧) ، الطوسي ، تهذيب الاحكام • عشرة اجزاء • (النجف ، ١٩٥٩) • الفياض ، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة •

مللهم ونحلهم . ففكرة التوحيد ، مثلا ، تحتل الصدارة في النظام الفكرى عند المسلمين كافة . وتلي فكرة التوحيد مسألة الاعتراف بالانبياء والرسل ودورهم في نقل الرسالة الالهية الى المؤمنين بكافة دون التفريق بين مسلم شيعي أو مسلم من أهل السنة .

ويعتقد المسلمون على اختلاف مللهم ونحلهم ان الكتب السماوية ، التي كان القرآن الكريم آخرها واكملها ، تضمنت تلك الرسالة الالهية . ويترتب على ذلك ان تعليم العلوم الدينية ، سواء عند أهل السنة أو عند الشيعة الامامية ، هو بالدرجة الاولى نقل الرسالة الالهية التي احتواها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتكفلا بتوضيحها للمؤمنين .

ولا يختلف المسلمون جميعهم على كل ما سبق بل ان اختلافهم يكاد ينحصر في وسائل نقل تلك الرسالة الربانية . فالشيعة الامامية ، مثلا ، يرون ان ائمتهم المعصومين هم خير واسطة لنقل تلك الرسالةوشرحها بأمانة وضبط لا يمكن ان يرتقي الشك اليها . أما أهل السنة والحديث فلا يرون ضرورة حصر وسيلة نقل الرسالة الالهية بالمعصومين لانهم لايقرون عصمة الائمة . ويترتب على ما سبق ان ايصال الرسالة المذكورة للمؤمنين هو الهدف الرئيسى الذي يعمل على تحقيقه المهتمون في شؤون التربية والتعليم من المسلمين سواء كانوا من الشيعة الأمامية او من اهل السنة . ونتيجة لذلك نجد الحديث النبوي المشهور « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يرويه ويتبناه في الوقت نفسه علماء السنة وعلماء الشيعة .

يضاف الى ذلك ان الناظر في الكتب التربوية عند الشيعة الامامية والكتب التربوية عند أهل السنة يخرج بنتيجة هي ان المقومات الاساسية للتربية الاسلامية لدى جميع فرق المسلمين واحدة . وحسبك ان تقرأ كتاب ابن جماعة الموسوم بـ «التذكرة»(٣٠) ، وكتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد »(٣١) ، لتجد ان الفروق في نظام التربية ، كما يعرضه ابن جماعة

---

(٣٠) طبع الكتاب المذكور في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٣هـ .
(٣١) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٩٦٢م .

السني ، ونظام التربية ، كما يعرضه الشهيد الثاني الشيعي الأمامي ، تكاد تكون ضئيلة وتنحصر ، غالبا ، في التفصيلات دون المبادىء الاساسية •

وكان الشيوخ من كلتا الطائفتين يتحرجون ، في الغالب الاعم ، من اخذ اجرة على تعليم العلوم الدينية لانهم يرون ان تعليم تلك العلوم هو بمثابة واجب ديني يقوم به المؤمن تجاه اخيه المؤمن قربى الى الله تعالى ، وان الاجر الذي يناله الصالحون من الله في الحياة الاخرة هو خير من الأجر المادي الذي يناله الفرد من الناس في الحياة الدنيا • ونتيجة لذلك نظر كثير من فقهاء السنة والشيعة للتعليم على انه من اوكد فروض الكفايات(٣٢) •

يضاف الى وحدة المصادر التي تستقي منها التربية الاسلامية مفاهيمها العامة ، فأن النظام التربوي عند الشيعة الامامية وعند غيرهم من المسلمين تأثر بمؤثرات ثقافية واجتماعية وسياسية تكاد تكون متشابهة خاصة في الفترة التي هي موضوع بحثنا • فاللغة العربية ، في الفترة المشار اليها ، كانت اهم لغة ثقافية لجميع المسلمين نظرا لكونها لغة القرآن الكريم من جهة ، ولانها لغة الخلافة الاموية والعباسية من جهة اخرى • وكادت الوحدة الثقافية بين المسلمين تكون محفوظة رغم الانشطارات السياسية المحلية التي تعرضت لها الخلافة • وكان المسلم شيعيا او سنيا ، ينتقل من قطر اسلامي الى آخر ، خلال الفترة التي نبحثها ، فيجد اخوانه المسلمين يعبدون الرب الذي يعبد ، ويقرأون القرآن الذي يقدس ويتعلمون في المساجد ، وبعدها في دور العلم التي كان يتعلم فيها في بلاده الام • وكانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد التي عرفها الطلبة من السنة والشيعة على السواء • يضاف الى ذلك ان فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، الذي يستوي في تقديسه السنة والشيعة ، كانت من العوامل الموحدة فكريا واجتماعيا لجميع المسلمين •

ونخلص من كل ما سبق بنتيجة وهي ان التربية عند الشيعة الامامية واسلافهم هي فرع من نظام تربوي عام وهو التربية عند المسلمين •

---

(٣٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج١ (القاهرة ، ١٩٣٩) ص١٢ـ١٥ والشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٥٩ •

على ان هناك بعض الخصايص لكل من الفرقتين راجعة الى تاريخها وعقائدها الخاصة ، ولذلك عمدنا في الفصل الأول من هذه الرسالة الى استخلاص العوامل الموجهة للتربية عند الشيعة الامامية واسلافهم •

وبعد ما قدمت ، انتقل للبحث عن المصادر التي اعتمدتها لهذه الرسالة • لقد استعملت مصادر متعددة ومتنوعة ولكنها جميعاً كانت ذات صلة غير مباشرة ، الا ما نـدر ، بموضوع التربية عند الامامية واسـلافهم في الفترة التي تناولهـا بحثي • وكنت في كثير من الاحيان اقرأ الكتاب المتعـدد الاجزاء دون ان افوز بطائل ، او انني اعثر على معلومات ضئيلـة وردت بصورة عرضيـة بين ابحاث الكتاب المذكور • وقد يـكون مرد ذلك الى أن كثـيرا ممن كتبـوا عن الفترة المذكورة وجهوا عنايتهم الى التاريخ والعلوم الدينية ولم يولوا موضوع التربية ما يستحقه من الاهتـمام • ولم اعثر على كتب مستقلة في موضـوع التربية عند الأمامية سوى رسالتين صغيرتين تعودان الى عصور متأخرة عن الفترة التي تناولتها بالبحث • وكان الكتاب المجهول المؤلف[٣٣] والموسوم بـ « آداب المتعلمين» احدى الرسالتين المذكورتين • واعتمدت نسختين من الكتاب المذكور احداهما مطبوعة والاخرى مخطوطة • اما المطبوعة فانها طبعت ضمن مجموعـة عرفت بـ «جامع المقدمات » ، وطبعت على نفقة المكتبة العلمية الاسلامية بمطبعة «خورشيد » بأيران سنة ١٣٦٦هـ • وتضم هذه المجموعة اربع عشرة رسالة من بينها رسالة « آداب المتعلمين » سالفة الذكر • اما النسخة المخطوطة فقد صورتها عن نسخة محفوظة بخزانة الحـاج محمـد على النجف آبـادي في النجف الاشرف ، وهي مذيلة باسم ناسخها غنام الحاج سالم الحويزي ، الذي يقول انه انتها بنفسه ولنفسه • ولما كانت النسختان ، المخطوطة والمطبوعـة ، خاليتين من اسم المؤلف المفترض وهو نصير الدين الطوسي ، وان المخطوطة تحوى عبارة «الفهاء[٣٤] ، اتجهت الى الشك في نسبة الكتاب المذكور الى الطوسي • وقد اخبرت الشيخ اغا بزرك ، في

(٣٣) ذكر الشيخ اغا بزرك الطهراني في كتاب الذريعة المطبوع في النجف سنة ١٩٣٦ (ج ١ ، ص ٢٨) ان مؤلف آداب المتعلمين «هو نصيرالدين الطوسي» •

(٣٤) وردت العبارة المذكورة في الصفحة الثامنة أي في نهاية المخطوط •

مقابلة شخصية بوجهة نظري فقال انه لم يجزم بنسبة الكتاب الى الطوسي ، وانه في ضوء الملاحظات التي ابديتها اصبح يميل الى ان المؤلف ربما كان الحويزي نفسه .

وبعد المقارنة بين المخطوط والمطبوع وجدت اختلافات طفيفة بينهما .

أما الرسالة الثانية فهي « منية المريد في آداب المفيد والمستفيد » للشيخ زين الدين العاملي المعروف بالشهيد الثاني (ت-٩٦٥ هـ) . وقد استعملت من الكتاب المذكور طبعتين احداهما مطبوعة في ايران سنة ١٣١٧هـ ، والاخرى في النجف الاشرف سنة ١٣٦٩هـ . واستفدت من الرسالتين المذكورتين فوائد محدودة جداً .

أما المجموعة الثانية من مصادر بحثي فهي كتب الرجال ، وخاصة رجال الكشي والنجاشي والطوسي والحلي . وقد وردت المعلومات المتعلقة بالتربية عند الامامية واسلافهم بصورة عرضية ومقتضبة في هذا النوع من الكتب ، ولكنها ثمينة ومفيدة كما يظهر لك في مواضعه من هذه الدراسة . وتظهر فائدة كتب الرجال بوضوح في الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب . وسأخص رجال النجاشي بشيء من التفصيل لأهميته . يعد رجال النجاشي ، على رأي اغا بزرك (الذريعة - ١٠ : ١٥٥) عمدة الاصول الاربعة الرجالية . وهو نظير « الكافي » بين كتب الامامية الاربعة في الحديث . ويصف بزرك النجاشي بـ « العالم النقاد البصير » ويعده افضل من خط في علم الرجال . وانه لايقاس بسواه .

وكتاب النجاشي مرتب على الحروف الهجائية . ويمتاز الكتاب المذكور عن معظم الكتب الرجالية التي سبقته مثل رجال الكشي ، أو التي عاصرته مثل رجال الطوسي ، أو التي تلته مثل رجال العلامة الحلي ، بأيراد معلومات متقنة ومفصلة نسبيا عمن يترجم لهم . واهتم النجاشي بذكر سنة وفاة الكثيرين ممن ترجم لهم ، كما يورد معلومات مفيدة عن الامكنة التي رحلوا اليها أو درسوا أو دَرَّسوا فيها . وبهذا يختلف عن رجال الطوسي مثلا ، الذي يكتفي كاتبه ، في أغلب الاحيان ، بذكر اسم المترجم وانه من اصحاب الأمام الفلاني .

وعندما يريد النجاشي تعديل أحد رجال الحديث يصفه بأنه « ثقة ، صدوق ، عظيم القدر ، خبير بأمور اصحابنا ، عين من عيون الطائفة ، عليم ببواطن انساب اصحابنا » الى آخر ماهنالك من عبارات تنم عن تعديل رواة الحديث ، أما اذا

اراد تجريح احد الرجال قال : « هو غال ، كذاب ، فاسد المذهب ، في كتبه تخليط ، يروى عن الضعفاء ، لم يعاصر من روى عنه ، الى آخر ماهنالك من العبارات التي يستدل منها على التجريح .

أما المجموعة الثالثة من مصادر هذه الرسالة فهي كتب الحديث . وقد استندت في اعدادى لهذه الرسالة على طائفة كبيرة من الاحاديث وصنت بأنها صادرة عن النبي (ص) والائمة المعصومين (ع) دون الاعتراف بتأريخية جزء كبير منها . وكان اهتمامي بالاحاديث المذكورة منصبا لا على تاريخيتها ، بل على كون فرقة الشيعة الامامية واسلافهم من قبل كانت تتبنى تلك الاحاديث وتعدها معبرة عن عقيدتها . والذى اراه انه لايمكن الجزم بتاريخية الكثير من الحديث سواء ما اعتمد عليه أهل السنة أو ما اعتمد عليه الامامية واسلافهم من الشيعة . وبالرغم من ذلك فالحديث ان عجز ، احيانا ، عن الوقوف بمصاف مصادر التاريخ الموثوقة فأنه ، دون شك ، يمثل آراء رواته ونزعاتهم .

وتأتي كتب « الكافي » للكليني ، و « كتاب من لايحضره الفقيه » للصدوق ، و « الاستبصار » و « تهذيب الاحكام » للطوسي في الطليعة . وتعد الكتب الاربعة المذكورة من أهم كتب الحديث عند الشيعة الامامية .

ويعد كتاب الكافي للكليني أهم كتب الحديث عند الامامية . ويقول النجاشي ان محمد بن يعقوب الكليني كان « أوثق الناس في الحديث واثبتهم »(٣٥) . ويصف الشيخ اغا بزرك(٣٦) كتاب الكافي بأنه أجل كتب الاصول عند الشيعة وبلغت عدة احاديث الكافي ١٦١٩٩ حديثا ، وقيل ان فيه ما يزيد على ما في الصحاح الست عند أهل السنة متوناً واسانيد .

ولكتب الحديث المذكورة أهمية كبيرة في توضيح عقائد الامامية . وقد اوردت تفصيلات عن كتب الحديث عند الامامية في كتابي الموسوم بـ « الاجازات العلمية عند المسلمين »(٣٧) .

---

(٣٥) الرجال (طهران ، لا . ت) ص ٢٩٢ .

(٣٦) الطهراني ، اغا بزرك ، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال (طهران ، ١٩٥٩) ص ٣٧٦ .

(٣٧) طبع الكتاب المذكور ببغداد ، ١٩٦٧ .

أما المجموعة الرابعة من مصادر بحثي فهي كتب التاريخ ، والفرق ، والامالي • واعتمدت على كتاب « فرق الشيعة » للنوبختي لانه أقدم كتب الفرق عند الشيعة الامامية ، كما أعلم ، ولان مؤلفه من ذوي الاختصاص • يضاف الى ماسبق ان النوبختي وصف بانه « أمامي حسن الاعتقاد »(٣٨) • وقد دعاني جميع ماذكرت عن النوبختي الى اعتماد كتابه في اقتراح تاريخ تقريبي لظهور فرقة « الامامية » •

أما كتب الامالي فقد اعتمدت كثيرا على امالي الصدوق ، من بينها ، خاصة في الفصل الثاني من هذه الرسالة • وقد ذكرت في الفصل المذكور تفصيلات عن مجالس الصدوق أو جلساته التدريسية التي ضمنها اماليه • وكانت مجالسه تعني الدروس ، كما اسلفت ، لا امكنة التدريس وهو المعنى الثاني لعبارة « مجالس »• وامتازت مجالس الصدوق ، كما انبت اثناء البحث ، بذكر تواريخ القائها والامكنة التي القيت فيها احيانا •

أما كتب التاريخ فكانت فائدتي منها محدودة جـدا وذلك لعدم اهتمام المؤرخين ، الا مانذر ، بايراد معلومات عن التربية عند الشيعة الامامية •

أما المراجع الثانوية فقد استعملت طائفة منهـا كمـا يظهر لك من ثبت المصادر • وكانت المراجع ذات صلة غير مباشـرة في موضوع الرسالة سـوى رسالتين جامعيتين ، احداهما الرسالة الموسومة بـ « التربية عند العرب »(٣٩) للدكتور خليل طوطح • أما الثانية فهي الكتاب الموسـوم بـ « تاريخ التربيـة الاسلامية »(٤٠) للدكتور احمد شلبي • وكانت رسالة طوطح مقتضبة تناولت ، في الغالب ، الآراء التربوية عند العرب ولم تبحث في قضايا التعليم عندهم بصورة تفصيلية • أما رسالة شلبي فقد تناولت قضايا التربية والتعليم عند المسلمين بأسهاب ، ولكن مؤلفها يتصف بقلة التدقيق احيانا • ومن الامثلة على ذلك انه حين يقارن بين أهل السنة والشيعة يقول :

اولا ـ يرى الشيعة طهارة الخمر • ثانيا ـ لايجيزون القصر في الصلاة

(٣٨) النجاشي ، الرجال ، ص ٥٠ •

(٣٩) طبع الكتاب المذكور في القدس دون ذكر تاريخ الطبع •

(٤٠) طبع الكتاب المذكور ببيروت سنة ١٩٥٤ •

للمسافر الا اذا كان مسافرا الى مكة أو المدينة أو الكوفة أو كربلاء • ثالثا ــ لا يبحثون عن هلال رمضان ولا عن هلال شوال ، ودائما يبدأون رمضان قبل أهل السنة بيوم أو يومين ، ورمضان عندهم كامل دائما [٤١] • أما فيما يتعلق بطهارة الخمر عند الشيعة ، كما يزعم شلبي ، فأن الشيخ الطوسي يروى ان الامام الصادق (ع) قال « اذا سقط في البئر شيء صغير فمات فانزح منه دلاء • قال فأن وقع فيها جنب فانزح منها سبع دلاء ، فأن مات فيها ••• أو صب فيها خمر فلينزح الماء كله » • وقال الطوسي عند بحثه عن تطهير الماء من النجاسات ، فأن وقع فيها [البئر] خمر وهو الشراب المسكر من أي الاصناف كان نزح جميع مافيها من الماء ان كان قليلا •••[٤٢] • أما فيما يخص تحريم الخمر فروى الصدوق ان الصادق قال « لاتجالسوا شراب الخمر فان اللعنة اذا نزلت عمت من في المجلس »[٤٣] •

أما المزاعم الاخرى التي اوردها الدكتور شلبي فلا صحة لها ، ورغبة في تجنب الاطالة اغفلنا ذكر المصادر التي تفندها •

وقد قسمت هذه الرسالة ، فضلا عن المقدمة ، الى ستة فصول • تناولت في الفصل الأول منها العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية • وبحثت في الفصل الثاني أمكنة التعليم عند الشيعة الامامية • أما الفصل الثالث فقد خصص للبحث عن المعلمين على اختلاف اصنافهم • كما تناول الفصل الرابع البحث عن الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم • وتناولت في الفصل الخامس البحث عن اساليب التعليم والمناهج • وكان الفصل السادس عن تمويل التعليم •

وبعدما قدمت أود ان أشير الى ان هناك فجوات في بحثي لم تسعفني المصادر التي اطلعت عليها في سدها • ومن هذه الفجوات قضية اسهام المرأة في التعليم ونصيبها من التعلم • وذكر البرقي اسماء النساء اللواتي روين عن الائمة (ع)[٤٤] •

---

(٤١) شلبي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٢ •

(٤٢) تهذيب الاحكام ، ج ١ ، ص ٢٤٠ •

(٤٣) من لا يحضره الفقيه ، ج ٤ (النجف ، ١٣٧٨) ص ٤٠ ــ ١ •

٤٤ ــ الرجال (طهران ، ١٣٤٢) ص ٦١ــ٢ •

كما اورد الشيخ الطوسي اسماء عدد قليل من النساء المحدثات في رجاله[٤٥] • ولكن هاتين الاشارتين وغيرهما من الاشارات العابرة لاتمكن الباحث من اعطاء فكرة واضحة عن التعليم النسوي عند الامامية واسلافهم من الشيعة •

ومن الفجوات التي لم تسعفني المصادر في سدها هي قضية الامتحانات التي يجريها المعلمون للصبيان ، أو الشيوخ للطلبة • ولم استطع خلال تتبعي للمصادر في الفترة التي تناولها بحثي المذكور ، على نظام امتحانات جماعية أو فردية تجرى في فترات معينة كما هي الحال عندنا اليوم • وقد عثرت بهذا الخصوص ، على اشارة أو اشارتين ذكرتهما اثناء البحث ، ولكنهما لايساعدان الباحث على اعطاء فكرة عن الامتحانات في تلك الفترة •

وان صعب علـي حل معضلة أو أكثر ، لجهل أو خطأ ، ارجو ان ينبهني القارىء الكريم الى ذلك وله من الله القدير أحسن الجزاء ، ومني عظيم الشكر والامتنان • وأود ان اصارح القارىء الكريم بأني لا أدعي الكمال لبحثي هذا ، ولكن الذي يريح ضميري هو انني لم ادخر وسعا في توضيح مشكلاته الكثيرة ، واني لم أفر أمام صعوبة ، رغم ان صعوبات بحثي هذا لاتقف عند حـد ، وان بعضها ، رغم محاولاتي الكثيرة بقيت دون حل •

وحاولت ، جهد الطاقة ان أكون موضوعيا ضمن الاطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثقى بالعقيدة كموضوعي • واترك للقارىء الحرية في قبول أو رفض الاطار الذي تصورته لموضوعية بحثي • وارجـو ممن يخالفني من القـراء ان يتذكر ، قبل اصدار حكمه على بحثي هذا ، انني اقدم له موضوعا تصارعت في جنباته حقائق التاريخ مع نزوات الكتاب المنبعثة عن التعصب على الشيعة أولهم • وظهر لي ، اثناء البحث ، ان المتعصبين للشيعة كانوا قلة اذا ما قيسوا بالمتعصبين عليهم • ولا غرابة في ذلك لان الشيعة ، كما ابنت في مطاوي البحث ، رفعوا علم المعارضة ، في أغلب فترات تاريخهم ، للسلطان لذا صب الحكام ، الا ماندر منهم ، جام غضبهم عليهم ، فأعملوا السيف في رقابهم ، واورثوا الخراب في

---

٤٥ ـ الرجال (النجف ، ١٩٦١) ص ٦٦ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١٤٢، ٣٤١، ٣٦٦، ٤٠٩ ، ٤٢٧ ، ٥٢١ •

مؤسساتهم ، واشاعوا التشويه في عقائدهم •

وقد اجريت في رسالتي هذه قبل تقديمها للطبع تغييرات تناولت حذف طائفة من المعلومات التفصيلية لم أر ضرورة لبقائها ، كما تناولت اضافة معلومات قليلة عثرت عليها مؤخراً ، وبذا اصبحت مسؤوليتي عن كل محتويات الرسالة كاملة •

وقبل ان اختم اتوجه بالشكر الجزيل الى حضرات الاساتذة اعضاء اللجنة المشرفة على هذه الرسالة • وهم الدكاترة ــ نقولا زياده ، ونبيه فارس ، ومحمود زايد ، واحسان عباس ، ومتي عقراوي ، ويوسف ابش ، وقسطنطين زريق • وقد صرف أولئك الافاضل كثيرا من وقتهم وجهدهم في سبيل اخراج هذا المجهود بشكله اللائق •

واخص بالذكر شيخي واستاذي الدكتور قسطنطين زريق ، أحد اساتذة دائرة التاريخ بالجامعة الاميركية ببيروت ، الذي لبى رغبتي فأشرف على هذا البحث • وقد بذل من وقته وجهده الخالصين للعلم الشيء الكثير بقصد اغناء هذه الرسالة وتركيز معلوماتها والحرص على اصالتها •

ومن الوفاء ان اتقدم بشكري للشيوخ والاساتذة الذين اسهموا بمشورتهم وتوجيههم ، ومن بينهم الشيخ محسن الطهراني المعروف باقا بزرك ، الذي زودني بمعلومات ومصادر عن الاجازة • والدكتور كامل مصطفى الشيبي الذي قرأ بعض فصول هذه الرسالة وقدم اقتراحات مفيدة • ولا أنسى افضال القائمين على مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ، ومكتبة جامع الشيخ الخلاني العامة ببغداد ، الذين زودوني بكثير من مصادر هذه الرسالة • واختم صحيفة شكري بذكر الدكتور حسين محفوظ الذي زودني بصور لطائفة من الاجازات التي لم استطع الاستفادة منها في هذا الكتاب لتأخر زمنها •

ويسرني ان اتقدم بالشكر للاستاذ محمد توفيق حسين أحد اساتذة دائرة التاريخ بجامعة بغداد الذي تفضل بكتابة مقدمة لهذه الرسالة •

كما اشكر جامعة بغداد التي قدمت لي منحة مالية لطبع هذا الكتاب •

وختاما أرجو من الله القدير ان يوفق طلبة العلم ، وان يجعلني من بينهم ، لحل مشكلات عالمنا الذي نعيش فيه حلا بعيدا عن التعصب والغرور •

الفصل الاول

العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عنـد الامامية واسـلافهم من الشـيعة

هناك عوامل أثرت في توجيه التعليم عند الامامية واسلافهم واكسبته ميزات خاصة به يمكن ان نجملها بما يلي :

اولا ـ اعتقاد الامامية واسلافهم في علم ائمتهم ورسالة الائمة في تبليغه لشيعتهم ٠

يعتقد الامامية ان الامامة منصب يختاره الله كما يختار النبوة ، ويأمر النبي (ص) ان يدل على الامام ويامر باتباعه ٠ قال النبي (ص) « معاشر الناس اني ادعها امامة ووراثة في عقبي الى يوم القيامة ، وقد بلغت ما أمرت تبليغه حجة على كل حاضر ، وغائب ، وعلى كل أحد شهد أو لم يشهد ، ولد أو لم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد الى يوم القيامة ٠٠٠»[1] ٠ وقلد النبي (ص) عليا الامامة في عهده بأمر من الله ٠ قال النبي (ص) ان « الله ٠٠٠ هو مولاكم والهكم ، ثم من دونه محمد وليكم القائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم بأمر ربكم ، ثم الامامة في ذريتي من ولده الى يوم تلقون الله ٠٠٠»[2] ٠ وقلد النبي (ص) عليا ، فضلا عن ذلك ، امرة المؤمنين ٠ قال بريده « أمرنا النبي (ص) ان نسلم على علي بامرة المؤمنين »[3] ٠ ويعتقد الامامية ان تسلم الخلفاء الثلاثة الأول الحكم بعد النبي (ص) لا يعني انقطاع امامة علي[4] ٠ وان الخلفاء المذكورين اغتصبوا الخلافة من أمير المؤمنين على دون حق[5] ٠

ويعتقد الامامية واسلافهم ان ائمتهم كانوا محيطين بالعلوم الألهية ٠ قال جعفر بن محمد (ع) « ان الله علم نبيه التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله (ص) عليا (ع) قال ـ وعلمنا والله ٠٠٠»[6] ٠ ويعتقد الامامية ان الامام عليا اعلم الناس

(١) الطبرسي ، المصدر السابق ، ص٣٨ ٠
(٢) ايضا ، ص٣٦ ٠
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الامالي ـ حجر ـ (ايران، ١٣١٣) ص٢١١ ٠
(٤) المسعودي ، الوصية ، ص١١٨ـ٢٠ ٠
(٥) الكليني ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٤٥ ٠
(٦) ايضا ، ج٧ ، ص٤٤٢ ٠

بالقرآن واكثرهم تعليما له • روى الكليني ان منصور بن حازم سمع الصادق يقول: «••••ان عليا(ع) كان قيم القرآن••• وان ماقال في القرآن فهو حق ••••»[٧] •

ويستند الامامية فيما يستندون فى اعتقادهم بان عليا محيط بعلوم القرآن كلهـا على روايات منها ـ قال الامام علي « كنت ادخل على رسول الله كل يوم دخلة ، فيخليني فيها ادور معه حيث ما دار ، وقد علم اصحاب رسول الله انه لم يصنع ذلك بأحد غيرى ••• وكنت اذا سألته اجابني واذا سكت وفنيت مسائلى ابتدأنى، فما نزلت على رسول الله آية من القرآن الا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلهـا ، وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخهـا ، ومحكمها ومتشابههـا ، وخاصها وعامها ، ودعا الله ان يعلمني فهمها وحفظها ،»[٨] • وقـال علي ايضا « سلوني قبل ان تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لـو سألتموني عن آية في ليل نزلت أو فى نهار انزلت مكيها ، ومدنيهـا ، سفريهـا وحضريهـا ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، وتأويلها ، وتنزيلها ، لاخبرتكم به»[٩] •

ويعتقد الامامية واسلافهم ان عليا (ع) لم يكن واسع المعرفة في علوم القرآن حسب ، بل كان واسع الاطلاع في الحديث ايضا • وقد كتب علي عن رسول الله (ص) حديثا كثيرا ضمنه فى صحف[١٠] توارثها الائمة من بعده •

ويعتقد الشيعة الامامية واسلافهم ان كتب الامام علي (ع) كانت تنتقل الى

---

(٧) ايضا ، ج١ ، ص١٦٨ـ٩ •

(٨) القمى ، الخصال ، ص١٢٣ •

(٩) المفيد ، الاختصاص ، ص٢٣٦ •

(١٠) كانت احدى الصحف المذكورة تسمى « الجفر » ويصـفه الكليني (الكافى ، ٨٥ـ٦) بانه « وعاء من آدم فيه علم النبيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل ••• » وهناك صحيفة ثانية تسمى « مصحف فاطمة » وحجمه يزيد على حجم القرآن بثلاث مرات على رواية الكليني السابقة • ويقصد بالمصحف هنا كتاب الحديث لان الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى انزله الله اليه [النبي] للاعجاز والتحدى ولتعليم الاحكام ••• وانه لا نقص فيـه ، ولا تحريف ، ولا زيادة وعلى هذا اجماعهم • (كاشف الغطاء ، المصدر السابق ، ص ١٠٦) •

ائمتهم يتوارثها ، الخلف عن السلف . وذات مرة قيل لزيد بن علي ان الصادق « لم يترك شيئا مما سألناه الا اجابنا بما يقع . فتبسم زيد ثم قال ــ أما والله لئن قلت هذا فأن كتب علي عنده دوننا »[11] .

ومن الجدير بالذكر انه ليس للصحف المذكورة أهمية في الوقت الحاضر، فهي لم تصل الينا اولا ، كما انها لم تكن من بين كتب الحديث الامامية الاربعة[12] التي هي بمثابة الصحاح الستة عند أهل السنة . ويظهر انها لم تكن موجودة عند غير الائمة . وكل ما عثرنا عليه في هذا الصدد ، ان افراداً من اسلاف الامامية رأوا بعض الصحف المذكورة عند الائمة وقرأوا فيها ، ومن بين من رأوها محمد بن مسلم تلميذ الباقر والصادق (ع)[13] . كما ان الائمة كانوا يقولون ، احيانا ، انهم استقوا الحديث الفلاني من كتب علي(ع) التي يتوارثونها صاغرا عن كابر[14] .

ويعتقد الامامية ان احاطة الائمة بالعلوم الالهية لم تكن مقتصرة على علي (ع) بل ان الائمة المعصومين جميعهم يستوون في ذلك . قال الطوسي « واعلم ان

---

(11) ابن شهراشوب ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٧٤ .

(12) ان الكتب المذكورة هي : ١ ــ كتاب « الكافي » للكليني المشتمل على الاصول والفروع والروضة . وقد جمع فيه مؤلفه ستة عشر ألف وتسع وتسعين حديثا مسنده فيها عن طريق أهل البيت ، وتزيد احاديثه على مافي الصحاح الستة ٢ ــ كتاب « من لايحضره الفقيه » للشيخ الصدوق القمي ٣ ــ كتاب « التهذيب » لشيخ الطائفة الشيخ الطوسي ٤ ــ « الاستبصار » للطوسي ايضا . ومن الجدير بالذكر ان طائفة من الاحاديث الواردة بتلك الكتب يتطرق الشك اليها ، لذا لا يعد ورود الحديث في واحد أو اكثر من تلك الكتب دليل على وثاقته . ونتيجة لذلك دأب علماء الشيعة الامامية على عدم الاعتراف بحجية الاحاديث التى تضمنتها المجموعات المذكورة دون بحث في وثاقة رواتها ، وفحص دقيق لمتونها ، ولا يتمتع بالحجية المطلقة من بين الادلة الشرعية الاصلية ، عند الشيعة الامامية الا القرآن الكريم ، فعلماء الشيعة والحالة هذه يخضعون للمناقشة والبحث كل حديث يريدون الاحتجاج به ، خاصة تلك التى يبنون عليها حكما شرعيا .

(13) الكليني ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١١٢ .

(14) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ (القاهرة ، لا.ت) ص١١٤ .

الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بأن تفسير القرآن لايجوز الا بالاثر الصحيح عن النبي(ص) ، وعن الائمة عليهم السلام ، الذين قولهم حجة كقول النبي(ص) ....»[15] . ويظهر من الحديث السابق ان قول الائمة حجة في أهم قضية عند المسلمين وهي تفسير القرآن ، وانه لايجوز تفسير القرآن الا بالاثر الصحيح عن النبي (ص) وعنهم (ع) . روى الكليني ان ابا جعفر (ع) قال ـ ان « رسول لله (ص) باب لله الذي لايؤتي الا منه ، وسبيله الذى من سلكه وصل الى الله عز وجل ، وكذلك كان أمير المؤمنين[16](ع) من بعده وجرى للائمة (ع) واحدا بعد واحد ... امناء الله على ما أهبط من علم ، أو عذر ، أو نذر ، والحجة البالغة على من في الارض ...»[17] . ويظهر من الحديث السابق ان الامامية يعتقدون بأن كل ماانزل الله من علم ، أو عذر ، أو نذر ، يعرفه الائمة (ع) . روى الكليني ان الامام الرضا (ع) قال « ان الانبياء والائمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان »[18] . قال الصادق « وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة فانه لم يهلك منا عالم قط الا خلفه من اهله من علم علمه وما شاء الله»[19] .

وكان الائمة يعدون تعليم مايحيطون به من العلوم الالهية بمثابة تبليغ للرسالة التى عهد الله تبليغها للنبى محمد (ص) ، والنبى بدوره عهد اليهم ، بكونهم مبلغين عنه ، اتمام تلك الرسالة . قال الامام الباقر لجابر بن يزيد «ياجابر لو كنا نحدثكم برأينا وهو انا لكنا من الهالكين ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم ....»[20] . روى المفيد ان جعفر

---

(١٥) التبيان ، ج١ ، ص٤ .

(١٦) اذا ذكر الامامية واسلافهم عبارة « أمير المؤمنين » مجردة انصرفت الى علي(ع) .

(١٧) الكافي ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(١٨) الكليني ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

(١٩) الكليني ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٢٠) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٦ .

بن محمد (ع) قال « من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه ...»[٢١].

ويقوم نشاط الائمة في حقل التعليم دليلا على اهتمامهم في تعليم علوم آل البيت لشيعتهم. قال محمد بن مسلم « سمعت من ابي جعفر (ع) ثلاثين ألف حديث، ثم لقيت جعفرا ابنه فسمعت منه ستة عشر الف حديث أو قال مسألة...»[٢٢]. وقال الشيخ المفيد في معرض كلامه عن الصادق (ع) « كان انبههم [اخوته] ذكرا، واعظمهم قدرا، واجلهم في الخاصة والعامة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سرت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن احد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي احد منهم من أهل الآثار ونقلة الاخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن ابي عبدالله (ع) فان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا اربعة الاف رجل من اصحابه »[٢٣].

وقد حث الائمة شيعتهم على تعلم وتعليم علوم آل البيت، فروى احدهم انه سمع الرضا (ع) يقول « رحم الله عبدا احيى أمرنا . فقلت له كيف يحيي أمركم قال . يتعلم علومنا ويعلمها الناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا»[٢٤].

كما حثوا علماء شيعتهم على تعهد أتباع مذهبهم وتعليمهم لئلا يتسلط عليهم ابليس وشيعته والنواصب . قال الامام الصادق « علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته يمنعونهم من الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن ان يتسلط عليهم ابليس وشيعته والنواصب، الا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم... الف الف مرة لانه يدفع عن اديان محبينا وذلك يدفع عن ابدانهم. وقال موسى بن جعفر « فقيه واحد ينقذ يتيما من ايتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج اليه، أشد على ابليس من الف عابد ... »[٢٥].

وقد دأب علماء الامامية واسلافهم على رواية الحديث عن الائمة وعن

---

(٢١) الامالي، ص ١ .
(٢٢) الكشي، الرجال، ص ١٥٠ .
(٢٣) المفيد، الارشاد، ص ٢٤٩ .
(٢٤) القمي، معاني الاخبار (طهران، ١٣٧٦)، ص ١٨٠ .
(٢٥) الطبرسي، المصدر السابق، ص ٤ـ٥ .

الشيعة • وبعد غيبة المهدي (ع) تولى شيوخ الشيعة الامامية مهمة تعليم علوم آل البيت والعناية بنشرها •

وكان أهل السنة بما فيهم السلطان لا ينظرون بعين الرضا الى درس علوم آل البيت وتدريسها • قال الطبرسي نادى « منادي معاوية ان قد برئت الذمة ممن يروي حديثا من مناقب علي وفضل أهل بيته »[٢٦] • وذات مرة كان الحسين بن احمد المعروف بابن القادسي « يملي في جامع المنصور مدة فانتقل الى براثا فأملى فيه ، وكانت الرافضة تجتمع هناك ، فقال لهم ان قد منعني النواصب ان اروي في جامع المنصور فضائل أهل البيت »[٢٧] • روى ياقوت ان ابراهيم بن سعيد بن الطيب عاد الى واسط « فجلس صدرا يقرىء الناس في الجامع ، ونزل الزيدية من واسط ، وهناك تكون الرافضة والعلويون فنسب الى مذهبهم ، ومقت على ذلك وجفاه الناس ••• »[٢٨] •

ثانيا ــ العامل السياسي •

ابتعد الائمة بعد مقتل الحسين سنة ٦١هـ عن السياسة ، ما عدا فترة قصيرة أتصل بها الرضا بالمأمون حين ولاه العهد • واستمر الائمة على اعتزال السياسة حتى غيبة الامام الثاني عشر في حدود ٢٦٠هـ • وانصرف اولئك الائمة خلال الفترة المذكورة الى الوعظ والتدريس • روى سعيد بن المسيب « ان القراء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين (ع) فخرج وخرجنا معه الف

---

(٢٦) الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ •

(٢٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، (القاهرة ، ١٩٣١) ص ٣٠ •

(٢٨) معجم الادباء ، ج١ ، (القاهرة ، ١٩٢٣) ص ٦١ • يبدو ان كلمة « الزيدية » الواردة في النص مصحفة عن الزبيدية • قال المقدسي (احسن التقاسيم ، ١٣٤) في معرض كلامه عن المسافات بين بغداد وواسط « ثم الى ترمانة مرحلة ، ثم الى واسط مرحلة ، ثم اذا شئت فخذ من الحدادية الى الزبيدية مرحلة ثم الى واسط بريدين ••• » • ويبدو من هذا ان المدينة الواقعة على مقربة من واسط هي الزبيدية لا الزيدية كما ضبطها مرغوليوث ناشر كتاب معجم الادباء لياقوت الذي ورد فيه النص •

راكب »[٢٩] • وعدّ الشافعي علي بن الحسين افقه أهل المدينة[٣٠] •

وذات مرة قال عطاء عن الامام الباقر «ما رأيت العلماء عند احد اصغر منهم عند ابي جعفر • لقد رأيت الحكم عنده كأنه عصفور مغلوب • ويعني بالحكم ، الحكم بن عينه وكان عالما نبيلا جليلا في زمانه »[٣١] • وللشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رأي يؤيد فيه الاقوال السابقة عن علي بن الحسين ويقول فيه «انظر الى بني علي وعلى رأسهم الامام زين العابدين عليه السلام فانه بعد شهادة ابيه انقطع عن الدنيا وأهلها ، وتخلص للعبادة ، وتربية الاخلاق ، وتهذيب النفس ....»[٣٢] •

وبعد علي زين العابدين تولى الامامة ابنه محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق اللذان عزفا عن السياسة ، وانصرفا للتعليم وبسط قواعد المذهب الجعفري كما سنوضح ذلك في الفصول القادمة •

وحاول ائمة الشيعة الامامية ان يهادنوا السلطان فاظهروا اعترافهم ، تقية ، بسلطته الزمنية • قال الامام موسى الكاظم « انا حين ندعي ولاء جميع الخلائق لنا نعني ولاء الدين ، وهؤلاء الجهال يظنون ولاء الملك »[٣٣] • وروى الامام نفسه حديثا عن النبي (ص) اشار فيه الى ان طاعة السلطان للتقية واجبة[٣٤] •

ومن الجدير بالذكر ان مهادنة الائمة للسلطان لا تعني تخليهم عن اعتقادهم بأن الخلفاء الثلاثة الاول من الراشدين ، وبأن الامويين والعباسيين كانوا غاصبين لحقهم

---

(٢٩) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، ج١٢ (طهران ، ١٣١٥) ص ٨٣ •

(٣٠) الجاحظ ، الرسائل ـ باعتناء السندوبي ـ (القاهرة ، ١٩٣٣) ص ١٠٦ •

(٣١) ابن الجوزي ، سبط ، تذكرة خواص الامة في معرفة الائمة (ايران ، ١٢٨٧) ص ١٩ •

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ـ٧ •

(٣٣) ابن طاووس ، علي بن موسى ، فرج المهموم (النجف ، ١٣٦٨) ص ١٠٩ •

(٣٤) القمي ، محمد بن علي ، عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص ١٤ •

في حكم العالم الاسلامي . وترتب على ذلك ان الائمة المعصومين وقفوا موقفا سياسيا معاديا للحكم القائم حينذاك ولكنهم تعمدوا عدم الدعوة علنا للموقف المذكور ، ولم يبيحوا لشيعتهم الخروج على السلطان بالسيف ، وتركوا تلك المهمة للوقت المناسب وهو ظهور الامام القائم صاحب الزمان (ع) . قال الامام علي بن الحسين « والله لايخرج واحد منا قبل خروج القائم (ع) الا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل ان يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به »[٣٥] . وقال احدهم للامام الصادق « قلت له ان القتال مع غير الامام المفترض طاعته حرام مثل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، فقلت لي نعم . هو كذلك . فقال ابو عبدالله (ع) هو كذلك هو كذلك »[٣٦] . روى الطبرسي ان زيد بن علي بعث الى محمد بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق فأتاه . فقال زيد لمؤمن الطاق « يا ابا جعفر ما تقول ان طرقك طارق منا اتخرج معه؟ قال قلت له — ان كان ابوك او اخوك خرجت معه . فقال لي فأنا اريد ان اخرج واجاهد هؤلاء القوم فأخرج معي . قال . قلت لاافعل...قال. فقال لي اترغب بنفسك عني . قال . فقلت له انما هي نفس واحدة . فان كان لله في الارض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك »[٣٧] .

وقد وقف الائمة (ع) موقفا محايدا من النزاعات المسلحة التي حدثت بين خصوم الشيعة والعلويين من غير المعصومين كنزاع الامويين مع زيد بن علي ، ونزاع بني العباس مع بني أمية عند قيام الدولة العباسية . وبعد ان دخلت جيوش العباسيين الكوفة ارسل ابو سلمة الخلال رسالة للامام الصادق (ع) يدعوه للحضور وتسلم الحكم في الكوفة فامتنع الامام عن الحضور قائلا — « وما انا وابو سلمة ؟ وابو سلمة شيعة لغيري »[٣٨] . وعندما حدثت وقعة فخ بين العباسيين وجماعة من بني الحسن امتنع الامام موسى الكاظم (ع) عن الاشتراك في الحرب وقال للحسين

(٣٥) الكافي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢٦٤ .
(٣٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٧٠ .
(٣٧) الطبرسي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ـ٥ .
(٣٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٦٩ .

صاحب فخ « احب ان تجعلني في سعة وحل عن تخلفي عنك...»[٣٩] . ويقول الشهرستاني ان الامام الصادق « دخل العراق واقام بها مدة ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع احدا في الخلافة قط ...»[٤٠] .

ويظهر ان السلطات المتعاقبة لم تقتنع بما ابداه الائمة المعصومون من رغبة وعزم في الامتناع عن الخروج على السلطان بالسيف ، ودأبت على توجيه ضغط شديد على الائمة وشيعتهم ، في اكثر الادوار التي يتناولها موضوع هذه الرسالة ، استهدف الحد من انتشار حركة التشيع التي رأت فيها تلك السلطات خطراً على كيانها السياسي وربما على عقيدتها الدينية كما حددتها ورسمت خطوطها العامة . ويقول فون كرونا باوم في هذا الصدد « لقد وجدت الحكومة السنية نفسها مضطرة الى تحطيم الحركة الشيعية لا لانها خطرة من الناحية السياسية فقط ـ ويظهر ذلك من كثرة عدد الخارجين على الخلافة من آل علي ـ بل لان اعتقاد الشيعة بعصمة ائمتهم في الامور العقائدية والخلقية قد يؤدي ، وقد أدى فعلا في حالة بعض الغلاة من الشيعة ، الى تحطيم جوهر الاسلام ، وهو الاعتقاد بان محمدا هو خاتم الانبياء وان رسالته هي الرسالة التي لا رسالة بعدها »[٤١] .

ومن امثلة الاضطهاد الذي تعرض له الائمة المعصومون وشيعتهم ان أبا جعفر المنصور عندما قدم للحج في سنة سبع واربعين ومائة احضر جعفر بن محمد فلما دخل عليه جعفر قال « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني وتبغي الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم اقتلك »[٤٢] . وحدث ان قدم احدهم وصية للخليفة المهدي جاء فيها « والقاسم

---

(٣٩) الاصفهاني ، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين (بيروت ، ١٩٦١) ص ٣٢٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٣٣٤ـ٥ .

(٤١) Grunebaum, G.E.,Von, Medievial Islam, Chicago, 1956, P. 188.

(٤٢) التنوخي ، المحسن بن علي ، الفرج بعد الشدة ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ، ص ٧٠ .

ابن مجاشع يشهد بذلك ، ويشهد ان محمداً عبده ورسوله (ص) وان علي ابن ابي طالب وصي رسول الله (ص) ..... فلما بلغ المهدي هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها »[٤٣] . وروى الطوسي ان الرشيد قد كرب «قبر الحسين (ع) وأمر ان تقطع السدرة التي فيه ....»[٤٤] . وعندما بلغ المتوكل «... ان أهل السواد يجتمعون بارض نينوى لزيارة قبر الحسين (ع) فيصير الى قبره منهم خلق كثير ، فانفذ قائدا من قواده فخرج القائد الى الطف وعمل بما أمر وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فثار أهل السواد واجتمعوا عليه وقالوا لو قتلتنا عن آخرنا لما امسك من بقي منا عن زيارته ... »[٤٥] . ويقول المسعودي ، عند كلامه على خلافة المنتصر ، « وكان آل ابي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة ، وخوف على دمائهم قد منعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين ...»[٤٦] . وذات مرة وشى ابراهيم بن سعدان بأبي العيناء لدى المتوكل وقال له انه رافضي فقال المتوكل لأبي العيناء « بلغني انك رافضي » فنفى ابو العيناء تلك التهمة خوفا من غضب السلطان [٤٧] . روى ابن داود الحلي ان محمد بن عمر البزاز كان قد حبس بعد وفاة الرضا (ع) سنة ٢٠٣ هـ « ونهب ماله وذهبت كتبه وكان يحفظ اربعين جلدا فلذلك ارسل احاديثه . وكان قد سعي به انه يعرف اسماء الشيعة ومواضعهم ، فأمره السلطان بتسميتهم فأبى فضرب ضربا عظيما ... وقيل انه أدى مائة وعشرين ألف درهم حتى خلص ، وكان مولا ... »[٤٨]

---

(٤٣) الطبري ، المصدر ذاته ، ج٦ ، ص ٣٩٧ .

(٤٤) الامالي ، ص ٢٠٦ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤٦) مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٨٢ .

(٤٧) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص ١٥٣ .

(٤٨) الرجال ، ص ٢٨٨ .

ولم ينفرد السلطان بمضايقة الشيعة ، بل ان طائفة من علماء أهــل السنة اسهمت في تايد اجراءات السلطان في هذا الصدد والاسهام فيها • وقد صــنف محمد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) ، الذي كان شديدا على الامامية الى حد ان الشيخ المفيد لدى رؤيته يقول لاصحابه قد جاءكم الشيطان، كتبا « في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة »[49] • وذات مرة رغب السلطان ان يلعن المبتدعين فتطوع ابن فورك فأيده في لعن المبتدعة • قال ابن الجوزي انه في سنة ٤٦٠هـ طلب الناس ان يقرأ عليهم الاعتقاد القادري والقائمي « وفيه قال السلطان وعلى الرافضة لعنة الله وكلهم كفار • قال ومن لايكفرهم فهو كافر••• ونهض ابن فورك قائما فلعن المبتدعة »[50] •

وكان رد الفعل من جانب الائمة والامامية واسلافهم معا ان لجأوا الى التستر وعدم البوح ، في الغالب ، بعلومهم امام من يخالفهم في العقيدة ، وامام مـن له صلة بالسلطان • روى ابن ابي حازم انه كان عند جعفر الصادق لما زاره سفيان الثوري في منزله فقال له جعفر ـ « يا سفيان انك رجل يطلبك السلطان وتحضر عنده وانا اتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود »[51] • قــال زرارة سألت الباقر (ع) عن مسألة فقال اذا كان الغد فالقني حتى اقرئكه في كتاب « فاتيته من الغد بعد الظهر وكانت ساعتي التي كنت اخلو به فيها بين الظهر والعصر ، وكنت أكره ان اسأله الا خاليا خشية ان يفتيني من أجل من يحضره بالتقية ••••»[52] •

ورغبة في تجنب اثم العمل تحت راية سلطان غاصب من جهة ، ومقاومــة لذلك السلطان بصورة سلمية من جهة اخرى ، نصح الائمة شيعتهم بأن لا يلوا عملا للسلطان ما وسعهم ذلك • وذات مرة قال احد موالي الصادق ، الذي كان من كتاب بني أمية ، له « جعلت فداك اني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالا كثيرا واغمضت في مطالبه ؟ قال ابو عبدالله (ع) لولا ان بني امية

---

(٤٩) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٣ ، (حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٨) ص٠٧
(٥٠) المنتظم ، ج٨ ، (حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٨) ص ٢٤٩ •
(٥١) الكليني ، المصدر السابق ، ج٧ ، ٩٤ •
(٥٢) ايضا ، ج٥ ، ص ١٠٦ •

وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئا الا ما وقع في أيديهم ، فقال الفتى جعلت فداك فهل لي من مخرج منه ؟٠٠ قال له فأخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم٠٠٠ وانا اضمن لك على الله الجنة ٠ قال فأطرق الفتى٠٠٠ ثم قال ـ قد فعلت ٠٠٠ »[٥٣] ٠ روى مؤلف امامي مجهول ان رسول الله (ص) قال ـ « من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله في احدى ثلاثة اشياء ، أما ان ٠٠ أو يبتليه بخدمة سلطان ٠٠٠ »[٥٤] ٠ وروى ان عليا (ع) قال « من جلس على بساط السلطان فلابد ان يتكلم بهوى السلطان ، ولابد لصاحب الهوى من النار»[٥٥]٠ وسواء قال الرسول (ص) وعلي (ع) هذين الحديثين أم لم يقولاهما فأنهما يمثلان رأي من رواهما من الامامية عن خدمة السلطان حينذاك ٠

ويبدو ان الخلفاء حينذاك لم يكونوا ، من جانبهم يتسامحون مع من يلي لهم عملا اذا عرف عنه التشيع والانقطاع لآل البيت ٠ وكان علي بن يقطين من كبار موظفي البلاط العباسي في عهد المنصور والمهدي ، وكان « يحمل الاموال الى جعفر بن محمد والالطاف ٠ ونم خبره الى المنصور والمهدي فصرف الله عنه كيدهما »[٥٦] ٠

ويبدو ان الخلفاء ايضا لم يكونوا يعزفون عن توظيف الامامي لاسباب مذهبية حسب، بل ان دراسته لعلوم آل البيت قد لا تؤهله لشغل وظائف الخلافة٠ قال الخوانساري انه نقل النص التالي من كتاب « منهاج الكرامة »[٥٧] للعلامة

---

(٥٣) الكليني ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠٦ ٠

(٥٤) آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ٦ ٠

(٥٥) الديلمي ، محمد ، ارشاد القلوب ، ج١ (بيروت ، ١٣٨١)،ص٢٠٢

(٥٦) ابن النديم ، لفهرست ، ص ٣١٤ ٠

(٥٧) يقول محمد علي روضاتي ناشر كتاب الخوانساري المذكور انه وجد النص الذي نقلناه في المتن في نسخة خطية (ورقة ٢٢آ) لمنهاج الكرامة للحلي ٠ كما ان النص نفسه موجود في (٥٣) من منهاج الكرامة المطبوع بهامش كتاب الالفين للحلي ٠ ونظرا لعدم وجود النسخة المطبوعة والمخطوطة لمنهاج الكرامة اعتمدنا على النقل غير المباشر من كتاب الخوانساري ٠

الحلي (ت ـ ٧٢٦هـ) . « قال العلامة (ر) في « منهاج الكرامة » وما اظن احدا وقف على هذه المذاهب فأختار غير مذهب الامامية باطنا وان كان في الظاهر يصير الى غيره طلبا للدنيا ، حيث وضعت لهم المدارس والربط والاوقاف حتى يستمر لبني العباس الدعوة ، ويشيد للعامة اعتقاد مذاهبهم ، وكثيرا ما رأينا من تزين في الباطن بمذهب الامامية ويمنعه من أظهاره حب الدنيا وطلب الرياسة ، وقد رأيت بعض ائمة الحنابلة يقول: اني على مذهب الامامية : فقلت له لم تدرس على مذهب الحنابلة ؟ فقال : ليس في مذهبكم الصلات والمشاهرات ...»(٥٨) .
ويقول الجاحظ « وقد تجد الرجل يطلب الاثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاما ، وهو لا يعد فقيها ، ولا يجعل قاضيا ، فما هو الا ان ينظر في كتب ابي حنيفة ، واشباه ابي حنيفة ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة او سنتين حتى تمر ببابه فتظن أنه من بعض العمال ، وبالحرا لا يمر عليه من الايام الا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الامصار أو بلد من البلدان »(٥٩) .

ويبدو من نصي الحلي والجاحظ ، رغم غموض ثانيهما ، ان الخلفاء كانوا يعدون دراسة فقه أهل السنة من الامور المؤهلة للعمل في دواوين الخلافة . ويترتب على ذلك ان الامامي الذي لا يدرس فقه أهل السنة ، لاسباب مذهبية في الغالب ، لا يجد مجالا واسعا للعمل في الدواوين المذكورة .

وبالرغم من ذلك يجب ان تقبل مضامين الاخبار المتعلقة بحرية عمل الامامية واسلافهم في دواوين الخلافة بنطاق محدود . ويؤيد ما ذهبت اليه ان نفرا من الامامية شغلوا مراكز تعليمية في دواوين الخلافة . ومن الامثلة على ذلك ان ابا الأسود الدؤلي كان مؤدبا لاولاد زياد بن ابيه(٦٠) . وان شريكا كان يؤدب اولاد الخليفة المهدي(٦١) .

---

(٥٨) الخوانساري محمد باقر ، روضات الجنات ، ج١ (اصفهان ، ١٣٨٢) ص٦ (الهامش) .
(٥٩) الحيوان ، ج١ (القاهرة ، ١٩٣٨) ص٨٧ .
(٦٠) الخوانساري ، المصدر السابق ، ص٥٠ .
(٦١) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٩٨ .

يضاف الى ذلك ان الائمة لم يؤكدوا على كراهية العمل في دواوين الخلافة في جميع الحالات بل تركوا الطريق مفتوحا لمن يجد عملا في تلك الدواوين من الامامية • قال زياد ابن ابي سلمة ، دخلت على ابي الحسن موسى (ع) فقال لي يا زياد انك لتعمل عمل السلطان ؟ قال • قلت • أجل • قال لي ولم ؟ قلت ـ انا رجل لي مروة وعلي عيال ، وليس وراء ظهري شيء • فقال لي • يا زياد لئن اسقط من جالق[٦٢] •••احب الي من ان اتولى لاحد منهم عملا أو اطأ بساط احدهم الا لماذا ؟ قلت لا ادري ••• فقال الا لتفريج كربة عن مؤمن ، او فك اسره ، أو قضاء دينه ••• يا زياد فان وليت شيئا من اعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة ••• »[٦٣] •

ونتيجة لتردد الامامية في العمل بدواوين السلطات القائمة حينذاك ، وكون تلك السلطات كانت لا تنظر بعين الرضا لانتشار علوم آل البيت، وصعوبة انخراط الطالب الامامي في سلك المؤسسات التعليمية السنية ، لعزوف علماء السنة عن تعليم علوم آل البيت ، عملوا على اتخاذ مؤسسات تعليمية ، لاسيما تلك التي تهتم بتعليم العلوم، خاصة بهم ، واتخذ التعليم عندهم صفة غير رسمية يقوم به المعلمون والمتعلمون في أماكن معينة ، من بينها منازل العلماء ، قربة الى الله • ومن نتائج العامل السياسي ، فضلا عما سبق ، ان التعليم عند الامامية كان قائما ، في الغالب ، على العلاقات الشخصية بين الطالب وشيخه •

ثالثا ـ وجود موارد مالية لدى الائمة أو نوابهم •

كان الائمة ونوابهم بعد غيبة المهدي (ع) يتسلمون الحقوق الشرعية من الشيعة الامامية واسلافهم وينفقون منها على التعليم • وكان الخمس أهم تلك الحقوق • روى الشيخ الطوسي ان رجلا من تجار فارس كان من بعض موالي ابي الحسن الرضا (ع) كتب اليه يسأله الاذن في الخمس • فكتب اليه الامام الرضا ـ « بسم الله ••• ان الله واسع كريم ••• لم يحل مال الا من وجه احله

(٦٢) الجبل المرتفع •

(٦٣) الكليني ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١١٠ •

الله . ان الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا ، وما نفك ونشتري من اعراضنا ممن نخاف سطوته فلا تزووه عنا ولا تحرموا انفسكم دعائنا ما قدرتم عليه فان اخراجه مفتاح رزقكم ... »[٦٤] .

وكان الائمة يستوفون من شيعتهم الزكاة بالاضافة الى الخمس . روى الطوسي ان احدهم كان مع الامام ابي جعفر الثاني في سنة ٢٢٦هـ فقال الامام « ان موالي ... واحببت ان اطهرهم وازكيهم في عامي هذا من الخمس... ولم اوجب ذلك عليهم في كل عام ولا اوجب عليهم الا الزكاة التي فرضها الله عليهم.. فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام ... »[٦٥] .

ويظهر ان قضية ذات خطر اثيرت امام الائمة وهي هل ان الزكاة تعطى مرتين ، مرة للامام ومرة للسلطان . قال الطوسي ان احدهم قال « سمعت ابا عبدالله يقول ان اصحاب ابي اتوه فسألوه عما يأخذ السلطان فرق لهم وانه ليعلم ان الزكاة لا تحل الا لاهلها فأمرهم ان يحتسبوا به . فجاز ذلك والله فقلت اى ابه انهم ان سمعوا ذلك اذا لم يزك احد . فقال اى بني حق احب الله انيظهره».

واورد الطوسي اخبارا يظهر منها وجوب دفع الزكاة مرتين . وبعد ان ناقش الطوسي الاخبار السالفة خلص الى نتيجة وهي ان الافضل دفع الزكاة مرتين[٦٦] .

وكانت موارد الائمة المالية لا تتكون من الخمس والزكاة والفوائد والغنائم وحسب ، بل كان عدد من اسلاف الامامية يوصون بأموالهم كلها او بجزء منها للامام بعد وفاتهم . روى الطوسي ان محمد بن عبدوس قال « اوصى رجل بتركته ... لأبي محمد (ع) ... ». وقال ايضا ان احدهم اوصى بجميع تركته لابي الحسن (ع) . وقال ايضا ان احدهم اوصى بجزء من تركته لابي الحسن(ع) فارسلت اليه « فورد الجواب بقبضها والدعاء للميت »[٦٧] .

---

(٦٤) الطوسي ، الاستبصار ، ج٢ ، ص٣٤ .
(٦٥) ايضا ، ج٢ ، ص١٦ .
(٦٦) ايضا ، ج٢ ، ص١٦ .
(٦٧) الطوسي ، الاستبصار ، ج٣ ، ص ٢٥٩ ـ ٦٠ .

وكان الائمة يتسلمون وارد اوقاف الشيعة الامامية . قال احدهم «كنت عند ابي جعفر الثاني (ع) اذ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم فقال يا سيدي اجعلني من عشرة الاف درهم في حل فانني انفقتها فقال له انت في حل . فلما خرج صالح قال ابو جعفر (ع) يثب على اموال آل محمد وايتامهم ومساكينهم وفقرائهم وابناء سبيلهم ...»[٦٨] . وكان للعلويين اوقاف بمناطق مختلفة . وعندما ولي المنتصر الخلافة بعد المتوكل «اطلق اوقاف آل ابي طالب»[٦٩] . وكانت للعلويين اوقاف بمدينة قم . ويظهر انها كانت مهمة الى حد استوجب معه ان يعين لها وكيل خاص . وكان من وكلاء الوقف سنة ٣٧٨هـ احمد بن اسحاق الاشعري[٧٠] .

ويبدو مما سبق ان موارد الائمة المالية كانت كبيرة لان الحقوق الشرعية خاصة كانت بمثابة الضرائب الدائمة . ويؤيد ذلك ما قاله المنصور مرة للامام الصادق (ع) «انت الذي يجبى اليك الخراج»[٧١] وما قاله الرشيد للامام موسى (ع) من انه يجبى اليه الخراج[٧٢] .

وكان الائمة ينفقون بعض مواردهم المذكورة على التعليم . ومما يؤيد ذلك ان الكشي اورد ثلاثة حالات كان الامام الصادق وصل فيها طلبة معوزين بمبالغ نقدية[٧٣] . وسنورد تفصيلات عن الحالات المذكورة عند كلامنا عن تمويل التعليم عند الامامية في الفصل السادس من هذه الرسالة . يضاف الى ما سبق ان ما ورد في رسالة الامام الرضا السابقة الذكر والتي قال فيها «ان الخمس عوننا على ديننا ... وعلى موالينا» . يمكن صرفه الى ان شطرا من

---

(٦٨) ايضا ، ج٢ ، ص٣٤ .

(٦٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٦٢ .

(٧٠) القمي ، حسن بن محمد ، تاريخ قم – بالفارسية – (طهران ، ١٣٥٣) ص ٢١١ .

(٧١) الحلي ، الحسن بن يوسف ، سعدية الحلي ، ضمن مجموعة الرضاعيات والخراجيات – (طهران ، ١٣١٥) ص٣٤ .

(٧٢) القمي ، الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ص٤٧ .

(٧٣) الرجال ، ص ١٨٤ ، ٣١٥ ، ١٦٢ .

الاموال التي بحوزة الامام يصرف على المشتغلين بالتعليم والتعلم . وربما قصد الامام هنا بالموالي المعوزين من الشيعة ، سواء كانوا من الطلبة او الشيوخ أو من غيرهم . وأميل الى ان كلمة « الدين » الواردة في النص تشمل فيما تشمل الانفاق على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية ودرسها .

يضاف الى ذلك ان وجود اوقاف عند اسلاف الامامية في عصر الائمة يبيح لنا ان نستنتج ان قسما من وارد تلك الاوقاف يصرف على الطلبه والشيوخ لأن الاصل في الأوقاف ان تكون لاغراض دينيـة ، ولا شـك في ان درس العلوم الدينية وتدريسها ـ وهي اهم الموضوعات التي تدرس في تلك الفترة ـ يعد ان من بين تلك الاغراض . ومما يؤيد ذلك ان درس العلوم المذكورة وتدريسها يعدان من فروض الكفاية عند المسلمين بما فيهـم الامامية واسـلافهم . ثم ان الأوقاف الامامية التي حبست لاغراض تعليمية في العهـد البويهي حين اصبحت الاحوال السياسية ملائمة لوجود تلك الاوقاف يمكن ان تعد تقليدا لسنة سابقـة كان يعمل بها في عهد الائمة (ع) .

وكان معظم شيوخ الامامية وطلبتهم ، فضلا عما سبق ، تواقين للقاء ائمتهم واخذ معالم دينهم عنهم مباشرة . وكان كثير من هؤلاء يؤم المدينـة حيث قضى معظم الائمة اوقاتهم ويبقى بعضهم هناك سنوات عديدة ، فلا شك ، والحالة هذه ، ان جماعة منهم تحتاج الى نفقات فمن أين تأتي تلك النفقات اذا لم ينفقها الامام من الحقوق الشرعية التي ترد من شيعته ؟ وذات مرة قال أحـد الوافدين عـلى الامام الباقر (ع) « ما لقينا أبا جعفر الا وحمل الينا النفقة والكسوة فقال هـذه معدة لكم قبل ان تلقوني »[٧٤] . وقد سبق ان بينا ان الذين رووا عن الامـام الصادق كانوا اربعة آلاف رجل ، واذا قـدرنا ان حوالى النصـف منهـم كان يحتاج الى نفقات خلال مكثه في المدينة لغرض لقاء الامام ، رأينا كثرة المبالـغ اللازمة لمعاونة اولئك الطلبة . ويبدو ان الصادق (ع) كان ينفق على المعوزين من

(٧٤) ابن شهراشوب ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٣٧ .

هؤلاء من الحقوق الشرعية ، لانه لم يعرف عنه انه كان ذا املاك خاصة واسعة يستطيع سد النفقات المذكورة منها كما انه لم يتلق اموالا بصورة منتظمة من بيت المال لاختلاف الخلفاء معه بالرأي من جهة ، وخوفا من ازدياد نفوذه من جهة اخرى ٠

وبعد ان استعرضت العوامل المؤثرة في توجيه التعليم عند الامامية واسلافهم أود أن أشير الى ان الامامية واسلافهم ، كما سنرى في الفصول القادمة ، امتازوا بنشاط علمي وتعليمي كبيرين خلال الفترة التي تناولها بحثنا ٠ فاستطاعوا خلال الفترة المذكورة ان يركزوا قواعد مذهبهم ويبسطوا غوامض مسائله ٠ وربما كان من نتيجة العوامل المذكورة مجتمعة ان تبلور النشاط التعليمي عندهم ٠ ونظرة في كتاب « الفهرست » للطوسي وكتابي « الرجال » للكشي والنجاشي ، تساعد القارىء على الوقوف على طائفة من مؤلفاتهم في الفترة موضوع البحث ٠ ومن الجدير بالذكر ان كتب الحديث الاربعة الامامية التي سبقت الاشارة اليها الفت جميعها خلال الفترة المذكورة ٠ ونبغ بين الامامية خلال الفترة ذاتها ، فضلا عن الائمة (ع) ، معلمون ومفكرون كفاة امثال الشيخ الصدوق القمي والشيخ المفيد والشريفين الرضي والمرتضى وشيخ الطائفة الطوسي ٠

ولم يقتصر الامامية على حقل الدراسات الدينية والمذهبية بل انهم اسهموا ، بالرغم من صغر عددهم وقلة امكاناتهم المادية [٧٥] ، اسهاما كبيرا في بناء الثقافة الاسلامية ٠ فعلم النحو مثلا ينسب تأسيسه كثير من الكتاب الى الامام علي والى تلميذه ابي الاسود الدؤلي ٠ قال ابو حيان التوحيدي « ان علي بن ابي طالب عليه السلام سمع قارئا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك فتقدم الى ابي الاسود الدؤلي حتى وضع للناس اصلا ومثالا وقياسا بعد ان فتق له حاشيته ومهد

---

(٧٥) لم ينفق على المؤسسات التعليمية عند الشيعة الامامية في الفترة التي تناولها البحث من بيت المال ، ماعدا الفترة البويهية ٠ وكانت نفقات التعليم عندهم تسدد من مصادر أهلية في الغالب من الحقوق الشرعية التي يدفعها الامامية للائمة ولنوابهم من بعدهم ، أو من الاوقاف الامامية ٠

له مهاده وضرب له قواعده »[76] • ويرى الديلمي ان أهل العلم كافة ينسبون الى علي (ع)[77] • وبالرغم مما في الرأي المذكور من مبالغـــة فانـه لا يخلو من صحة • وقال السيد المرتضى « أعلم ان اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه • وخطبه فأنها تتضمن من ذلـك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميـع ما اسهب المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعه ، انما هو تفصيل لتلك الجمـل وشرح لتلك الاصول • وروى عن الائمة من ابنائه عليهم السلام من ذلك مالا يحاط به كثرة ••• »[78] •

وقد يكون من المفيد ان نضرب امثلة من المبرزين منهم في حقول المعرفة في الفترة التي تناولها بحثنـا • ففي الادب كثير عـزة[79] (ت ١٠٥ هـ) ، الفرزدق (ت ـ ١١٠ هـ) ، الكميت بن زيد الاسدي (ت ـ ١٢٦ هـ) ، السيد الحميري (ت ـ ١٧٩ هـ) ، الحسن بن هانى (ت ـ ١٩٦ هـ) ، ابو تمام الطائي (ت ـ ٢٣١ هـ) ، دعبل الخزاعي (ت ـ ٢٤٦ هـ) ، الصاحب بن عباد (ت ـ ٣٢٦ هـ) ، الناشىء الصغير (ت ـ ٣٦٦ هـ) ، ابو فراس الحمداني (ت ـ ٣٧٥ هـ) ، الحسين بن الحجاج (ت ـ ٣٩١ هـ) ، الشريف الرضي (ت ـ ٤٠٦ هـ) ، ابن التعاويذى (ت ـ ٤٢٨ هـ) ، مهيار الديلمي (ت ـ ٤٢٨ هـ) •

وفي حقل الفلسفة ـ ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى[80] (ت ـ

---

(٧٦) التوحيدى ، ابو حيان « البصائر والذخائر ، ج١ (بغداد ، ١٩٥٤) ص ١٧٥ •

(٧٧) الديلمي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧ـ٨ •

(٧٨) الامالى ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٤) ، ص ١٤٨ •

(٧٩) يرى بعض الكتاب انه من الشيعة الكيسانية •

(٨٠) اورد الشيخ عبدالواحد الانصارى في كتابه الموســوم بـ « أثر الشيعة الجعفرية في تطوير الحركة الفكرية ببغداد ومنهم فيلسوف العــرب الكندى » المطبوع ببغداد سنة ١٩٦٢ ، معلومات عن تشيع الكندى • ويظهر ان تشيع الكندي موضع نظر لذا لانستطيع تأييد راى الشيخ الانصارى أو رفضه•

٢٤٦ هـ) ، وابو نصر محمد بن طرخان الفارابي (ت ـ ٣٣٩ هـ) ، والشيخ الرئيس ابن سينا (ت ـ ٤٢٨ هـ)[٨١] .

اما في حقلي الحديث والفقه فسنورد اثناء البحث اسماء عدد كبير من العلماء الذين برزوا في الحقلين المذكورين .

ولعل الاطلاع على كتابي « الذريعة الى تصانيف الشيعة »[٨٢] للشيخ آغا بزرك الطهراني ، و « تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام »[٨٣] للسيد حسن الصدر يساعد القارىء على أخذ فكرة عن نشاط الامامية الفكري خلال العصور المختلفة بما فيها العصر الذي تناوله بحثنا . وكان لابتعاد الامامية واسلافهم عن الاشتغال بالسياسة ، كما اسلفنا ، وعزوف الكثيرين منهم عن الاشتغال في دواوين الخلافة، وابعاد الخلفاء لهم عن العمل في تلك الدواوين ، واعتقادهم في ان التعليم والتعلم من اعمال العبادة ، أثر في انصراف الغالبية العظمى من مفكريهم الى الانتاج الفكري العام .

أما نشاطهم في حقل التعليم ، وهو ما يهمنا في هذا البحث ، فسيكون موضوع بحثنا في الفصول القادمة .

---

(٨١) يقول السيد حسن الصدر (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، ص ٣٨٣) ان تشيع ابن سينا لايعروه شك . وموقفنا من تشيع ابن سينا يشبه موقفنا من تشيع الكندي الذي اشرنا اليه قبل قليل .

(٨٢) طبعت اجزاؤه في اماكن مختلفة .

(٨٣) طبع ببغداد سنة ١٩٥١ .

الفصل الثـــاني

امكنة التعليم عند الامامية واسلافهم من الشيعة

اولا - امكنة التعليم الاولي :

يبدو انه من الصعب ان نرسم خطا فاصلا بين مؤسسات التعليم الاولى عند الامامية وعند غيرهم من المسلمين • وبالرغم من ان الكتاب هو المؤسسة الرئيسية للتعليم الاولى ، كما سنبين بعد قليل ، وجد الامامية ان كثيرا من الكتاتيب العامة التي كانت على الاغلب سنية ، لاتتوفر فيها جميع الصفات الضرورية لتربية صبيانهم • وربما تأثرت طائفة من معلمى الكتاتيب المذكورة ، كما يظهر ، بقرار الخليفة معاوية الرامي الى تعليم الصبيان في الكتاتيب فضائله بعد ان تعلموا فضائل الخليفة عثمان (ر) • وورد عن الطبرسي ان معاوية كتب الى عماله قائلا « ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر ، فادعوا الناس الى الرواية في معاوية وفضله وسوابقه ، فان ذلك احب الينا واقر لأعيننا ، وادحض لحجة أهل هذا البيت ، واشد عليهم • فقرأ كل أمير وقاض كتابه على الناس ، فأخذ الروايات في فضل معاوية على المنبر في كل كورة ومسجد زورا • والقوا ذلك الى معلمي الكتاتيب فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن »[1] • وروى ان طائفة اخرى من اولئك المعلمين كانت تمنع تعلم الاشعار التى عملها الروافض فى مدح أهل البيت فى الكتاتيب التى يعلمون فيها [2] • ونتيجة لذلك اصبحت تلك الطائفة من الكتاتيب لاتصلح لتعليم اولاد الأمامية لان معلميها يعلمون فضائل عثمان ومعاوية دون فضائل أهل البيت • وقد نصح الائمة مواليهم بوجوب تجنب الامكنة التي يهمل فيها ذكر أهل البيت • قال الامام الصادق « ثلاثة مجالس يمقتها الله ويرسل نقمته عليها ••• ولا تجالسوهم مجلسا ••• ومجلسا ذكر اعدائنا فيه جديد وذكرنا فيه رث ، ومجلسا فيه من يصد عنا وانت

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٠ •

(٢) الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة (القاهرة،١٩٤٦)ص١٠٥ •

تعلم [٣] » • وقال جابر الانصاري ينصح قومه « يا معاشر الانصار ادبوا اولادكم على حب علي فمن أبى فلينظر في شأن أمه » [٤] • ويظهر ان الاعراض عن ذكر فضائل الائمة ما كان مقتصرا على العهد الاموي بل كان معمولا به في العهد العباسي ايضا • روى الصدوق ان محمد بن ابي العوج الرازي قال سمعت أبي يقول « حدثني من سمع الرضا (ع) يقول ـ الحمد لله الذي حفظ منا ما ضيع الناس ورفع منا ما وضعوه حتى لقد لعنا على منابر الكفر ثمانين عاما ، وكتمت فضائلنا وبذلت الاموال في الكذب علينا ، والله تعالى يأبى لنا الا ان يعلي ذكرنا ويبين فضائلنا ••• » [٥] •

المكتب او الكتاب مؤسسة للتعليم الاولي :

المكتب على قول الفيروز ابادي ، موضع التعليم ويقول ان قول الجوهري الكتاب والمكتب واحد غلط [٦] • أما ابن منظور فيقول المكتب موضع الكتاب • والمكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب • والجمع الكتاتيب والمكاتب • قال المبرد ـ المكتب موضع التعليم ، والمكتب المعلم ، والكتاب الصبيان • قال ـ ومن جعل الموضع الكتاب فقد اخطأ [٧] •

وقال البستاني ـ الكتاب جمع الكاتب وموضع التعليم • والجمع كتاتيب والمكتب موضع التعليم وجمعها مكاتب [٨] •

أما في الاصطلاح فالمكتب والكتاب يطلقان على الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان • روى المفيد ان سن علي بن ابي طالب اربع عشرة سنة حين « كان يختلف الى الكتاب في مكة » [٩] • وعندما احتاجت أم سليم ، احدى صديقات أم

---

(٣) الكليني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٦ •
(٤) الكشي ، الرجال ، ص ٤٥ •
(٥) الصدوق ، القمي ، عيون اخبار الرضا ، ج٢ (طهران ، ١٣٨٠) ص ١٦٤ •
(٦) القاموس المحيط ، مادة « كتب » ١ـ١٢١ •
(٧) لسان العرب ، مادة « كتب » ١٠ـ٦٩٩ •
(٨) محيط المحيط ، مادة « كتب » ٢ـ١٧٩ •
(٩) المفيد ، الفصول ، ج٢ (النجف ، لا•ت) ص٦٦ •

سلمة زوجة الرسول (ص) ، الى من يعاونها على نفش الصوف ارسلت « الى معلم الكتاب ابعث الى غلمانا ينفشون صوفا ولا تبعث الي حرا »[١٠] • روى ابن عبد ربه ان عبدالله بن صفوان لام عبدالله بن جعفر بن ابي طالب على حضور المتاعب فقال له عبدالله ــ « وانت ابا صفوان ، صرت حجة لصبياننا اذا لمناهم فـي ترك المكتب »[١١] • وبعد ان اطلق عبيد الله بن زياد عمير بن عامر الهمداني الشيعي من السجن قال عمير « اني لا اعود لتعليم الصبيان ولا اجلس في مكتب »[١٢] • وقال احدهم « ذهب بي ابي الى مجلسه من المكتب وانا صغير »[١٣] • واستعمل ابو نواس كلمة « مكتب » بمثابة محل لتعليم الصبيان ثم بين ان صبيا كان في ذلك المكتب يكتب في اللوح فيخط ابا جاد ويمحوه بفاه[١٤] •

ويبدو مما سبق ان اللغويين اتفقوا على ان المكتب من مواضع التعليم ولكنهم اختلفوا بشأن الكتاب فجعله بعضهم من مواضع التعليم وعده مرادفا للمكتب ، بينما البعض الآخر عبر بالكتاب عن الصبية المتعلمين في المـكتب وعـد استعمال الكتاب بمثابة موضع للتعليم خطأ •

على اننا لو رجعنا الى الاستعمال الاصطلاحي لكلمتي مكتب وكتاب لوجدنا ان كلتيهما مستعملتان بمثابة موضع للتعليم الأولى • ويطلق كولد زيهر العبارة الانكليزية « Elementary School » على الكتاب أو المكتب ويعدهمـا مؤسسة واحدة اعدت للتعليم الاولي[١٥] • ويؤيد طيباوى كولد زيهر في ان الكتاب

---

(١٠) البخارى ، الصحيح ، ج٤ (القاهرة ، ١٩٣٢م) ص١٣١ •
(١١) العقد الفريد ، ج٢ (القاهرة ، ١٩١٣م) ص١٥٢ •
(١٢) الامام ، محمد عبـــدالله ، قرة العين في اخــــذ ثار الحسـين (بغداد ، ١٩٥٧م) ص٤٠ •
(١٣) السهمي ، حمزة بن يوسف ، تاريـخ جرجان (حيـــدر آباد ، ١٩٥٠م) ص ١٩٥ •
(١٤) الديوان (القاهرة ، ١٣٢٢هـ) ص٤٠١ •
(١٥) Goldziher, « Education », E.R.E. , V . P . 198.

والمكتب مؤسسة واحدة هدفها تربية الصبيان في مرحلة التعليم الاولى[١٦] .

وبعد ان يترك الصبية المكتب ينصرفون الى تعلم العلوم . قال ياقوت ان عبدالغفار الفارسي قال ورد علي بن فضال نيسابور « واختلفت اليه فوجدته بحرا في علمه ... فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه بكرة وعشية»[١٧] .

ويظهر ان الحاجة الى مؤسسات للتعليم الأولى قد ظهـرت بصورة مبكرة في العالم الاسلامي . وذلك لأن متطلبات الدعوة الجديدة كانت تستلزم نشر التعليم بما فيه التعليم الاولى . ثم ان الرسول (ص) شجع المسلمين على التعلم والتعليم . قال معاذ « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ـ ما من رجل علم ولده القرآن الا توج الله به يوم القيامة تاج الملك وكسى حلتين لم ير الناس مثلهما »[١٨] . وظهر اهتمام الرسول (ص) بالتعليم في عهد مبكر فأرسل مصعب بن عمير مع من بايعه بالعقبة الاولى وامره ان يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ... فكان يسمى المقرىء بالمدينة »[١٩] .

ولمعرفة اوجه الشبه والاختلاف بين الكتاب والمكتب ، اقول لقد ظهر من الأمثلة التي اوردتها عند البحث عن معنى الكتاب والمكتب ، قبل قليل ، ان الكتاب والمكتب مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولى . يضـاف الى ذلك ان اقتـران كليهما ، كما يظهر من الأمثلة التالية ، بتعليم الصبيان يقوم دليلا على تشابههما في الوظيفة . روى ان طفلا لابن العميد قال شعرا فى ابيه وهو فى مكتبه[٢٠] . قال محمد بن عبدالله السلامي (ت ـ ٣٩٤) « الشعر وهو ابن عشر سنين فمن ما قاله ـ في المكتب قوله ... »[٢١] . ان الأمثلة السابقة تبين اقتران المكتب

(١٦) Tibawi , A.L. , « Muslim Education in the Golden Age of the Caliphate » , Islamic Culture , Vol.28 , 1954, P. 432 .

(١٧) معجم الادباء ، ٥ـ٢٩١ .

(١٨) الطبري ، التفسير ، ج١ (القاهرة ، ١٣٧٤) ص١٢١ .

(١٩) ابن هشام ، السيرة ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٣٦) ص٧٦ .

(٢٠) الثعالبي ، عبدالملك ، يتيمة الدهر ، ج٣ (دمشق ، ١٢٨٥)ص٢٧ .

(٢١) ايضا ، ج٢ ، ص ١٥٧ـ٨ .

بتعليم الصبيان ، واليك امثله تبين استعمال الكتاب للغرض نفسه • حدث مرة ان جابر الانصاري وجد الطفل نجل الامام زيد العابدين يتعلم فـي « كتاب يقع في بعض طرف المدينة »[٢٢] • وكان لعبدالله بن عباس طفل يختلف الى الكتاب وله عشر سنين[٢٣] • وعندما مر احد الشيعة بعلي ابن الامام محمد الجواد وجده في كتابه وعمره سبع سنين او اقل[٢٤] • وكتب بديع الزمان الهمذاني الى احد اصدقائه هازلاً « فاما ابن العميـد فأحسن العيد ببابك ، والمهلبي صبـي كتابك •••»[٢٥] وقال الحسن بـن احمـد بن الحجـاج لرئيس اختلف ابنه الى الكتاب ـ

اقعدت في الكتاب من لم يكن يضـره انك لا تقصـده[٢٦]

روى التنوخي عن رجل كان في بداية حياته مملوكا انه قـال « كنت سبيت في وقت كذا ••• وكان سني اذ ذاك عشر سنين أو نحـوها فحملت الى قزوين فأتفق ان هذا الشيخ كان بها فاشتراني وحملني الى قم واسلمني مع ابنه في كتاب واجراني مجراه في حسن التربية ••• »[٢٧] •

ونستنتج عن كل ما سبق ان الكتاب والمكتب لفظان للدلالة على مؤسسة واحدة خاصة بالتعليم الاولي • ومما يؤكد كون الكتاب أو المكتب مؤسسة للتعليم الأولي، فضلا عما سبق ، هو ان مواد منهج الكتاب والمكتب، كما سنرى عند بحثنا للمناهج في الفصل الخامس من هذه الرسالة ، تتكون من تعلم الخط والقـرآن الكريم ومبادىء الحساب والرسائل وغير ذلك من المواد التي تدرس في مرحلة التعليم الاولي عادة •

وقد وردت اشارة الى ان المساجد قد تتخذ بمثابة أمكنة لتعليم الصبيان •

---

(٢٢) المفيد ، الاختصاص ، ص٦٢ •
(٢٣) ابن طاووس ، علي بن موسى ، فرج المهموم ، ص١١٠ •
(٢٤) المسعودي ، الوصية ، ص ١٩ـ٢٠ •
(٢٥) الرسائل (القسطنطينية ، ١٢٩٨) ص٢٢٣ •
(٢٦) الثعالبي ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٦٥ •
(٢٧) التنوخي ، المحسن ، جامع التواريخ ، ج٨ (دمشـق ، ١٩٣٠) ص ١٥٤ •

وذات مرة رأى خلف الاحمر « الكميت بن زيد يعلم الصبيان في مسجد الكوفة »[28] . وبالرغم من الاشارة المذكورة وغيرها يبدو ان المسجد لم يتخذ بمثابة موضع اعتيادي لتعليم الصبيان . وقد نهى الامام الصادق (ع) من اتخاذ المسجد للغرض المذكور . قال الصادق « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » . وقال الشيخ الصدوق القمي ينبغي « ان تجنب المساجد انشاد الشعر فيها، وجلوس المعلم للتأديب فيها ... »[29] . ويظهر ان منع تعليم الصبيان في المسجد كان موضع رعاية من الامامية ، وذلك ان محمدا نجل الامام زين العابدين تعلم « في كتاب يقع في بعض طرق المدينة »[30] . يضاف الى ذلك ان الاصل في المسجد ان يكون محلا للصلاة فمن المستبعد ان يتساهل القائمون عليه في قبول جماعة من الصبيان تكون أصواتهم مصدر ازعاج وقلق للمصلين .

وبعدما أسلفت عن أمكنة التعليم الاولي اقول انه لا يمكننا ان نجزم بوجود كتاتيب خاصة بالشيعة متميزة عن تلك التي تخص السنة . ومن الادلة على التقارب الموجود بين نظامي التعليم الاولي عند الشيعة والسنة ان الاختلاف بين مواد مناهج الكتاتيب الشيعية[31] والسنية[32] لم يكن أساسيا كما هي الحال في تعليم العلوم . ويبدو أن الفارق الرئيسي بين نظامي التعليم الاولي عند الطائفتين يظهر في القضايا ذات الصلة بالعقائد كالاهتمام بذكر فضائل أئمة الشيعة في الكتاتيب الشيعية ، بينما تغفل تلك الفضائل ، ويؤكد على فضائل من يكن لهم السنة مزيد الاحترام ، أمثال الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ، في كتاتيب السنة . أما القضايا ذات الصبغة الفنية ، وتلك التي لها علاقة بالمعلومات التي يتعلمها الطفل لكي تساعده على اكمال المرحلة الأولية للتعليم ، فالفروق

---

(28) الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغاني ، ج15 (بيروت ، 1956) ص 260 .

(29) القمي ، من لا يحضره الفقيه ، ج1 ، ص154 .

(30) الكليني ، المصدر ذاته ، ص191 .

(31) ابن طاووس ، كشف المحجة لثمرة المهجة (النجف ، 1950) ص 136 .

(32) الشيزري ، المصدر السابق ، ص105 .

فيها قليلة عند الطائفتين . ومما يعزز الاستنتاج المذكور ان المسلمين على اختلاف طوائفهم لا يختلفون في نظرتهم المنطوية على التبجيل للقرآن الكريم . وخاصة فيما يتعلق بتعلمه وحفظه ، كليا أو جزئيا ، بصورة تلقينية ، وهو ما يطلب من الصبيان ان يقوموا به في مرحلة التعليم الاولي . أما الاختلاف في تفسير الكتاب الكريم فيترك ، في الغالب ، لمرحلة تعليم العلوم . ثم ان اللغة العربية وما يتصل بها من خط ونحو ، فانها ، بحكم كونها لغة الدين الحنيف ، وبحكم كونها أهم لغة للثقافة الاسلامية نظرا لاحتلال العلوم الدينية مركز الصدارة في مناهج التربية في الفترة موضوع البحث ، كانت أهم لغة ، وربما أول لغة يتعلمها الصبي المسلم حينذاك بغض النظر عن الطائفة التي ينتمي اليها .

وبالرغم من كل ما سبق يبدو ان الامامية لكي يتجنبوا انم سماع صبيانهم فضائل عثمان وبني امية وغيرهم ممن يكونون موضع أحترام عند أهل السنة ، دون فضائل أهل البيت الذين فرض الله طاعتهم ، كما يعتقد الامامية ، ورغبة في تهيئة تربية صالحة لأولادهم يتحقق فيها الغرضان التعليمي والتربوي ، ابتعدوا ما وسعهم ذلك عن الكتاتيب السنية التي يتعصب معلموها لمذاهبهم . ويظهر انهم سلكوا لتحقيق الغاية المذكورة طرقا عدة اهمها ـ اولا ـ لجأ كثير من خاصتهم الى تعليم اولادهم على يد مؤدبين خاصين . فالامام الصادق أوكل تعليم اولاده لمؤدب[٣٣] . وكان ابو داود سهل بن محمد الشاعر « مؤدب سيف الدولة بن حمدان »[٣٤] . وكان محمد بن الحسين الذي عرف فيما بعد بالشريف الرضي قد احضر « الى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو وقعد يوما معه في الحلقة فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم ... »[٣٥] .

---

(٣٣) البهائي ، محمد بن الحسين ، الفصول (النجف ، ١٣٧٨) ص٤٤١ .
(٣٤) الخونساري ، محمد باقر ، روضات الجنات (طهران ، ١٣٦٧) ص ٣٢٥ .
(٣٥) البحراني ، يوسف ، الكشكول ، ج١ (النجف ، ١٩٦١) ص٣١٤ .

ثانيا ـ يبدو ان هناك كتاتيب لا يتعصب معلموها لمذهب معين ، ولعل وجود أحد ابناء الائمة المعصومين بين طلابها يقوم دليلا على ذلك ، لانه من المستبعد ان يرتاد ابن الامام كتابا يتعرض معلمه الى النيل من امامة آبائه . ولاشك ان الكتاتيب التي لا يتعصب معلموها لمذهب معين تصلح لتعليم صبيان الشيعة . ومن أمثلة الكتاتيب المذكورة ما رواه الكليني ان جابر الانصاري زار محمد بن الامام زين العابدين فوجده يتعلم بكتاب في المدينة[٣٦] . وعندما مر أحد الشيعة في احدى المناطق وجد عليا ابن الامام محمد الجواد « في كتابه وعمره سبع سنين أو اقل »[٣٧] .

ثالثا ـ وردت اشارات الى كتاتيب كان معلموها من الشيعة . وكان من بين اولئك المعلمين عمير بن عامر الهمداني الذي كان معلم كتاب في الكوفة[٣٨] . وكان الكميت بن زيد الشاعر الشيعي المعروف يمتهن تعليم الصبيان في الكوفة[٣٩] .

أما الامامية واسلافهم الذين لم يستطيعوا ، لعوامل خاصة ، أو عامة ، ان يوفروا لصبيانهم الجو التربوي الامثل ، فيبدو أنهم خضعوا للامر الواقع وارسلوا اولادهم للكتاتيب السنية متذرعين بمبدأ التقية .

ثانيا ـ امكنة تعليم العلوم(٤٠) :

١ ـ المسجد :

توطئة :

المسجد في اللغة هو البيت الذي يسجد فيه . قال الزجاج كل موضع نتعبد فيه فهو مسجد[٤١] . ولم تقتصر وظيفة المسجد على العبادة بل كان من

---

(٣٦) المصدر السابق ، ص١٩١ .
(٣٧) المسعودي ، الوصية ، ص ١٩ـ٢٠ .
(٣٨) الامام ، محمد عبدالله ، المصدر ذاته ، ص٤٠ .
(٣٩) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٢٦٠ .
(٤٠) يقصد بالعلوم هنا العلوم الدينية واللغوية والمواضيع الثقافية العامة .
(٤١) تاج العروس مادة « سجد » ٢ـ٣٧١ .

وظائفه التعليم ايضا ، وذلك انه اتخذ بمثابة موضع لتعليم العلوم • وكان الرسول (ص) يعلم اصحابه في المسجد • وذات مرة قال ابي بن كعب « رحت الى المسجد فسمعت رجلا ، يقرا ، فقلت من اقراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم »[42] • وقال صفوان بن عسال « اتيت النبي (ص) وهو في المسجد ••• فقلت يا رسول الله اني جئت اطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم »[43] •

ويقول طيباوى ان المسجد كان مؤسسة « من بين اغراضها درس العلوم الدينية وتدريسها • وكان المسجد يتخذ ، احيانا ، بمثابة موضع للدراسات العالية في اللغة والمواضيع الثقافية العامة »[44] • ومن الجدير بالذكر اننا اطلقنا في هذه الرسالة عبارة « العلوم » على المواضيع التي عددها طيباوى في نصه السابق •

واتخذ الشيعة الامامية واسلافهم من قبل المسجد بمثابة موضع لتعليم العلوم • وكان علي بن الحسين (ع) « يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ، ويرغبهم في اعمال الاخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله (ص) وحفظ عنه وكتب »[45] • قال ثوير بن فاختة « سمعت علي بن الحسين (ع) يحدث في مسجد رسول الله (ص) »[46] • وكان الامام محمد الباقر (ت ١١٤ او ١١٩هـ) من بين الائمة الذين علموا في المسجد • روى المجلسي ان الامام الباقر « كان جالسا في المسجد النبوى فجلس اليه ابو حنيفة ليسأله عن مسائل »[47] • وكان الامام الصادق (ت ١٤٨هـ) من بين الائمة الذين علموا بالمسجد • روى المفيد « ان ابن ابي العوجاء وابن طالوت ••• في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وابو عبدالله جعفر بن محمد (ع)

---

(٤٢) الطبرى ، التفسير ، ج١ ، ص٣٢ •
(٤٣) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص١٠ •
(٤٤) Tibawi, Op.Cit, Vol, 28, p. 426 :
(٤٥) الكليني ، الروضة (مخطوط) من خزانة كاظم آل نوح في الكاظمية • ورقة ٢٨٠ •
(٤٦) الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص١٠٤ •
(٤٧) بحار الانوار ، ج١١ ، ص١٠٢ •

فيه اذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عـــن المسائـــل بالحجج والبينات ... »[48] وذات مرة شوهد الامام الصادق في مسجد الكوفة بين خلق كثير من الشيعة يعظهم[49] .

دأب الائمة وعلماء شيعتهم على تعليم الشيعة في المساجد . ومن شـــيوخ الشيعة الذين تولوا التعليم في المسجد ابان بن تغلب الجريري . قال الباقر (ع) لابان « اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فأني احب ان يرى في شـــيعتي مثلك »[50] . وكان عبدالله العبدي « قارئا يقرىء في مسجد الكوفة ، له كتاب يرويه عدة من اصحابنا »[51] . روى الصدوق ان علي بن العباس قال « حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان وحدثنا علي بن احمد بن عبدالله البرقي وعلي بن عيسى المجاور في مسجد الكوفة ... »[52] . روى احـــدهم قال « حدثنا ابو محمد بن ابي محمد عبدالغني بن سعيد ... املاء من حفظـــه في المسجد الحرام في ذي الحجة سنة ثمان وثلثمائة ... »[53] . وذات مـــرة قال الفضل بن شاذان « كنت في قطيعة الربيع في مسجد الربيـــع اقرأ عـــلى مقرىء »[54] . روى علي بن الحسين بن الحجاج عن التلعكبري وقال « سمعت منه بالكوفة في الجامع سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ... »[55] . قال الطوســـي « حدثنا ابو الفتح محمد بن ابي الفوارس الحافظ املاء في مسجد الرصـــافة جانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة احدى عشر واربعمائة »[56] .

---

(٤٨) الارشاد ، ص ٢٦٣ .
(٤٩) الكشي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .
(٥٠) النجاشي ، المصدر السابق ، ص ٨ .
(٥١) النجاشي ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
(٥٢) عيون الاخبار ، ج٢ ، ص ٨٨ .
(٥٣) الطوسي ، الامالي ، ص ١٩٦ .
(٥٤) الحلي ، الرجال ، ص ٢٠ .
(٥٥) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٨٣ .
(٥٦) الامالي ، ص ١٩٢ .

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرسون فيهم طلبتهم. روى النجاشي ان جعفر بن بشير الوشاء كان من زهاد الشيعة وعبادهم « وله مسجد بالكوفة باق في بجيلة الى اليوم ... ومات جعفر (رض) ... سنة ثماني ومائتين ... روى عن الثقات ورووا عنه ... »[٥٧] . قال الطوسي « اخبرنا احمد بن محمد بن هارون بن الصلت الاهوازي سماعا منه في مسجده بشارع دار الرقيق ببغداد في سلخ ربيع الأول من سنة تسع واربعمائة ... »[٥٨] . قال المفيد (ت ٤١٣هـ) « سألني ابو الحسن علي بن نصر الشاهد بعكبرا في مسجده وانا متوجه الى سر من رأى ... »[٥٩] .

ويبدو ان اختصاص طائفة من شيوخ الامامية بمساجد معينة يدرسون فيها علومهم يعود الى رغبتهم في الابتعاد عن المساجد العامة التي لم تتوفر لهم الحرية الكاملة في كثير منها .

وبعدما أسلفت عن التعليم في المساجد عند الامامية اقول ـ ان المساجد العامة في الفترة موضوع البحث ، لم تتخذ بمثابة مكان رئيسي للتعليم عندهم . ويعود ذلك الى عدم توفر الحرية التامة للامامية ، في معظم فترات تاريخهم ، لان يعلموا علوم آل البيت في المساجد العامة خاصة تلك التي تشتد عليها الرقابة من أهل السنة[٦٠] . ومن الادلة على فقدان حرية التعليم للامامية ولاسلافهم من الشيعة ، ان طائفة من شيوخهم اذا تيسر لهم التعليم بالمساجد العامة كانوا يلجأون ، أحيانا ، خوفا من السلطان ومن علماء أهل السنة ، الى التورية واستعمال الكنى لاخفاء اسماء الائمة المعصومين الذين يروون عنهم ، والذين يعدون حديثهم اوثق أنواع الاحاديث لانها كما يعتقدون ، بمثابة الاحاديث الصادرة عن النبي (ص) كما سبق ان بينا في الفصل الأول من هذه الرسالة . واليك رواية الكشي

---

(٥٧) الرجال ، ص ٩٢ .
(٥٨) الامالي ، ص ٢١١ .
(٥٩) الفصول ، ج٢ ، ص ١٢٤ .
(٦٠) الخطيب ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص ٣٠ .

الثانية التي تؤيد ما ذهبت اليه • « قال نصر بن الصباح ـ ابراهيم يروى عن ابي الحسن موسى وعن الرضا وعن ابي جعفر محمد بن علي عليهم السلام ••• وقد كان يذكر في الاحاديث التي يرويها عن ابي عبدالله (ع) في مسجد الكوفة ، وكان يجلس فيه ويقول ـ اخبرني ابو اسحاق كذا ـ يعني بابي اسحاق ابا عبدالله (ع) ـ كما كان غيره يقول ـ حدثني الصادق وسمعت الصادق ، وحدثني العالم وسمعت العالم (ع) وقال العالم ، وحدثني الشيخ وقال الشيخ ، وحدثني ابو عبدالله وقال ابو عبدالله[61] ، وحدثني جعفر بن محمد وقال جعفر بن محمد[62] ، وكان في مسجد الكوفة خلق كثير من أهل الكوفة من اصحابنا فكل واحد منهم يكني عن ابي عبدالله (ع) باسم فبعضهم يسميه باسمه ويكنيه بكنيته (ع) »[63] •

وقد يلجأ شيوخ الشيعة اذا ما ارادوا الرواية عن الائمة الى مزج احاديثهم بأحاديث غيرهم رغبة في تجنب التصريح بالاحاديث المذكورة • وقد أيد الامام الصادق (ع) الاجراء المذكور كما يظهر من الرواية التالية • روى الكشي ان الامام الصادق قال لمعاذ بن مسلم الفراء النحوى ـ « بلغني انك تقعد في الجامع فتفتي الناس • قال ـ قلت نعم ••• كنت اقعد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء فاذا علمته بالخلاف لكم اخبرته بما يقولون ، ويجيء الرجل اعرفه بحبكم ومودتكم فأخبره بما جاء عنكم ، ويجيء الرجل لا اعرفه فأقول جاء عن فلان كذا ، فأدخل قولكم فيما بين ذلك قال ـ فقال لي ـ اصنع كذا ••• »[64] •

ولاشك ان تأييد الصادق (ع) لعمل الفراء يجعله سنة يحسن اتباعها من غير الفراء من الامامية واسلافهم من الشيعة •

(٦١و٦٢) لا يذكر الشيعة اسم الامام او كنيته دون ان يصحبوا ذلك بعبارة « عليه السلام » أو غير ذلك مما يدل على التقديس • وتركت هنا لغرض اخفاء اسم المقصود •

(٦٣) الكشي ، الرجال ، ص ٣٧٨ـ٩ •

(٦٤) الكشي ، الرجال ، ص ١٦٤ •

المسجد وحلقات الدرس .

كانت الحلقات تعقد للدرس والمناظرة والوعظ . وكان الشيعة يعقدون الحلقات في المساجد لتحقيق الاغراض المذكورة . قال النبي (ص) « بادروا الى رياض الجنة ، قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر »[٦٥] . وقد اورد الكاشاني الحديث المذكور بصورة اكثر تفصيلا . « قال النبي (ص) اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . فقالوا يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال . حلق الذكر . فان لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فاذا اتوا عليهم حفوا بهم . قال بعض العلماء حلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف يشترى ، ويبيع ، ويصلي ويصوم ، وينكح ، ويطلق ، واشباه ذلك»[٦٦] ويظهر ان المسلمين الاوائل كانوا يجتمعون حول الرسول (ص) على شكل حلقة في المسجد فيعلمهم القرآن ويفقههم في الدين . وذات مرة جاء ثلاثة نفر الى المسجد فوقفوا على رسول الله «فأما احدهم فرأى فرجة فـي الحلقة فجلس فيها »[٦٧] .

ومن الامثلة على اتباع الامامية واسلافهم من قبل لنظـام الحلق فـي التدريس ما رواه النجاشي عن ابان بن تغلب الجريري الذى كان « قاريا من وجوه القراء ، فقيها ، لغويا ، سمع من العرب وحكى عنهم ... وكان ابان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق ... »[٦٨] . وذات مرة قال ابو الفيض للصادق كنت اجلس في حلق شيعتكم بالكوفة [٦٩] .

---

(٦٥) القمي ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص ٢٦٩ .
(٦٦) الكاشاني ، محسن الفيض ، المحجة البيضاء فـي تهذيب الاحياء ، ج١ (طهران ، ١٣٣٩) ص ٢٣ .
(٦٧) البخارى ، الصحيح ، باب فضل العلم .
(٦٨) الرجال ، ص ٨-٩ .
(٦٩) الكشي ، الرجال ، ص ٩٠ .
(٧٠) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٢٧٥ .

وكان نظام التدريس في الحلق تقليدا اسلاميا عاما فكان معروفا ، فضلا عن الامامية واسلافهم ، عند أهل السنة وعند الشيعة الاسماعيلية • روى الربيع « ان البويطي وابن عبدالحكم تنازعا الحلقة في مرض الشافعي، فاخبر بذلك فقال الحلقة للبويطي »[70] وكان لعبدالغفار الحصيني حلقة يعقدها بجامع واسط[71] •

وكان الاسماعيلية يتبعون طريقة الحلق في التدريس بمساجدهم • روى المقريزي ان أول مسجد أسس بالقاهرة كان في سنة ٣٥٩هـ في عهد المعز لدين الله • وفي سنة ٣٧٨هـ سأل العزيز بالله الوزير ابن كلس في صلة رزق جماعة الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم ، وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى ان تصلى العصر »[72] •

ومن الجدير بالذكر ان الشيعة الامامية ان فقدوا الحرية الكاملة في تعليم علومهم بالمساجد التي للسلطان أو لعلماء أهل السنة نوع من الرقابة عليها ، فانهم تمتعوا بحرية نسبية في تعليم علومهم بمساجد عرفت بالعتبات الشريفة كانت خاصة بهم لان فيها مراقد ائمتهم • واخذت أهمية المساجد المذكورة تزداد شيئا فشيئا خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة • وأهم تلك المساجد مرقد الامام علي بن ابي طالب في النجف ومرقد الامام الكاظم ، ويسمى حينذاك بالمشهد ، ببغداد ، ومرقد اخت الامام الرضا (ع) في قم • وتعرف اليوم بمعصومة • ويعتقد الامامية ان السكن والتدريس في المراقد المذكورة من الامور المستحبة دينيا[73] • وحتى جثث موتاهم يجلبونها من أماكن تبعد الاف الاميال لدفنها حول مرقد الامام علي (ع) بالنجف رغبة في الحصول على شفاعة الامام علي (ع) عند الله لتخفيف ذنوب المذنبين من هؤلاء • قال ابو الاحوص البصري،

---

(٧١) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص ١٥٥ •

(٧٢) الخطط ، ج٤ ، (القاهرة ، ١٢٧٠) ص ٤٩ •

(٧٣) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص ٥٧٩ ؛ ابن قولوية ، جعفر بن محمد ، كامل الزيارات (النجف ، ١٣٥٦هـ) ص ٢٧٣ •

الذي كان من جملة متكلمي الامامية ، انه لقي ابا الحسن بن موسى النوبختي « واخذ عنه واجتمع معه في الحاير[٧٤] على ساكنه السلام وقد كان ورد للزيارة »[٧٥] . روى المفيد ان احدهم قال « حدثنا محمد بن معقل قال ـ حدثنا ابي عن عبدالله بن جعفر الحميري عند قبر الحسين في الحائر سنة ثمان وتسعين ومائتين »[٧٦] . روى ابن طاووس ان محمد بن جعفر قال « دخلت على ابي طاهر محمد بن هلال وفي اصبعي خاتم فيروزج فأستحسنه ابو طاهر واخرج الي دفترا كان فيه هذا الحديث فأملى منه علي ، حدثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي شيخ أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين (ع) »[٧٧] .

وكان لمشهد علي (ع) في النجف[٧٨] أهمية تفوق أهمية بقية المشاهد الشريفة عند الامامية . قال الصادق (ع) ـ « ما من مؤمن يموت في شرق الارض وغربها الا وحشر الله جل وعلا روحه الى وادي السلام . قيل اين وادي السلام ؟ قال بين وادي النجف والكوفة »[٧٩] .

وبنى الخليفة هارون الرشيد بناء على قبر علي (ع) بأربعة ابواب . وفي عهد عضد الدولة اقيمت على قبر علي عمارة جليلة حسنة[٨٠] . وعندما زار عضد الدولة كربلاء والنجف سنة ٣٧١هـ فرق دراهم على « الناس على اختلاف طبقاتهم » وعندما وصل المشهد الغروي (النجف) زار الحرم وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم واحد وعشرين درهما ، وكان عدد

---

(٧٤) قبر الحسين (ع) بكربلاء .
(٧٥) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص ٩١ .
(٧٦) الاختصاص ، ص ٢١٠ .
(٧٧) فرحة الغرى (النجف ، ١٣٥٨) ص ٨٧ .
(٧٨) ان لمدينة النجف قدسية خاصة عند الشيعة ، لان مرقد الامام علي (ع) فيها . لا يهمنا ان نبحث هنا التطورات التي جرت على مرقد الامام والنكبات التي حلت بسكانه في الفترة موضوعة البحث . وقد وردت تفصيلات عن كل ذلك في كتاب ابن طاووس المشار اليه اعلاه .
(٧٩) الديلمي ، محمد ، ارشاد القلوب ، ج٢ ، ص ٢٣١ .
(٨٠) ابن طاووس ، فرحة الغرى ، ص ١٢٢ .

العلويين الفا وسبعماية اسم وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة الف درهم ، وعلى المترددين خمسمائة الف درهم ، وعلى الناحة[٨١] الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة الاف درهم ...[٨٢] . ومن المحتمل ان ابن طاووس قصد بالفقراء الطلبة ولذا عاملهم عضد الدولة معاملة الفقهاء .

ويمكن ان نتخذ من وجود الفقهاء والصوفية بين من وزع عليهم عضد الدولة الأموال عند زيارته للنجف ، دليلا على وجود جماعة كانت تشتغل حينذاك بدرس علوم آل البيت وتدريسها . ومما يعزز هذا الفرض ان كلمة فقهاء كانت، كما سنبين في الفصل الرابع من هذه الرسالة ، تطلق على طلبة العلوم احيانا . وفضلا عما سبق فان النص التالي قد يدعم الرأى المذكور . روى ابن الأثير ان شجارا حصل بين غلمان الوزير وفقهاء المدرسة الكمالية فشهر « اصحاب الوزير السيوف وارادوا ضربهم فمنعهم الوزير ، ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون اصحاب الوزير ، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء وتأديبهم ونفيهم من الدار ، فمضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم الشيخ ابو طالب ثم ان الوزير اعطى كل فقير دينارا واستحل منهم واعادهم الى المدينة وظهر مدرسهم »[٨٣] . ويبدو من النص المذكور ان كلمة « فقير » كانت تطلق احيانا على طالب العلوم .

ويقول النجاشي ألف الحسن بن احمد البوشنجي كتاب عمل السلطان « واجازنا بروايته أبو عبدالله بن الخميري الشيخ الصالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة اربع مائة عنه »[٨٤] .

وعندما دخل السلاجقة الى العراق وامعنوا في مقاومة التشيع تعرض الشيخ الطوسي كما تعرض الكثير من طائفته للاعتداء مما دعاه الى ترك بغداد والرحلة

---

(٨١) فسر الثعالبي (اليتيمة ، ج٣ ، ص ١٨٢) النائح بأنه المبكي . وهم قوم ينوحون على الحسين بن علي ويروون الاشعار في فضائله ومراثيه . ويعرف من يقوم بوظيفة النائح اليوم في العراق بالقارى أو « الروزه‌خون » كما يسمى بالفارسية .

(٨٢) ابن طاووس ، فرحة الغرى ، ص ١٣٣ .

(٨٣) الكامل ، ج١١ ، ص ١٠٧ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

الى النجف والاستقرار فيه[٨٥] . واقترنت رحلة الطوسي الى النجف بنشاط علمي وتعليمي كبيرين . ونظرة في كتاب « امالي » الشيخ الطوسي الذي سنتحدث عنه في الفصل الخامس من هذه الرسالة تساعد القاريء على الوقوف على نشاط الشيخ المذكور في حقل التعليم .

ومن مدن الأمامية الشريفة في الفترة موضوعة البحث مدينة قم في ايران. ويظهر ان مدينة قم كانت كبيرة فذكر اليعقوبي ان فيها ألف درب [٨٦] . وكان ابراهيم بن هاشم « أول من نشر حديث الكوفيين بقم ... » [٨٧] . وقد وجدت اشارات الى ان طائفة من أهل قم كانوا يفدون على الامام الصادق (ع) . وكان عمران بن عبدالله القمي من بين هؤلاء . ووصف الصادق عمران هذا وقومه القميين بأنهم نجباء [٨٨] .

ويظهر ان قم كانت في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة من المناطق الشيعية المهمة . وذات مرة زار دعبل الخزاعي الامام الرضا عندما كان في خراسان فاعطاه دراهم رضوية « وقال يا دعبل صر الى قم فأنك تفيد بها »[٨٩] . وربما ظهر من القصة التالية بان الشيعة الامامية قبيل نهاية القرن الرابع الهجرى كانوا متمركزين في مدينة قم دون مدن ايران الاخرى . روى التنوخي ت ـ ٣٨٤هـ) ان شيخا من أهل قم احسن لمملوك اصبح أميرا فيما بعد . فحضر المملوك مرةلزيارة قم فقال « يا مشايخ قم انتم سادتي وشيوخي ، ... فأنبسطوا في حوائجكم ... وليس بيني وبينكم فرق الا في ثلاث ـ طاعة السلطان ، وصيانة الحرم ، ومخالفتكم الرفض فأني قد طويت الافاق وسلكت الجبال ، وبلغت اقاصي المشرق والمغرب فما رأيت على دينكم احدا غيركم »[٩٠] .

---

(٨٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٣٩ .
(٨٦) البلدان (النجف ، ١٩٥٧) ص ٤٠ .
(٨٧) الحلي ، الرجال ، ص ٤ .
(٨٨) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٩ .
(٨٩) الخوانساري ، روضات الجنات ، ص ٢٧٦ .
(٩٠) نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ١٥٦ .

ويوجد في قم مرقد أخت الامام الرضا (ع) وهو من المراقد الشريفة عند الامامية • ولابد انه جرى فيه نشاط تربوى كبير لان مدينة قم كانت موئلا لعلماء الامامية واسلافهم كما يظهر من الامثلة التالية •

ترجم الحسن القمي (ت ـ ٣٧٨هـ) في كتابه الموسوم بـ « تاريخ قم » لستمائة وعشرين من مشاهير علماء الامامية في قم [٩١] •

أما نشاط الامامية من القميين في حقل التربية خاصة ، وهو ما يهمنا في هذا البحث ، فيبدو من كتاب الامالي للشيخ الصدوق القمي (ت ـ ٣٨١هـ) الذي تحدث فيه عن نشاطه التعليمي • وسنورد عن الكتاب المذكور تفصيلات بعد قليل • ومن الامثلة على نشاط القميين في التعليم ما رواه النجاشي من ان الحسن بن خرزاد القمي كان « كثير الحديث له كتاب اسماء رسول الله (ص) • اخبرنا محمد بن محمد قال حدثنا جعفر بن محمد ••• قال حدثنا ابو علي بن الحسن ابن علي القمي قال حدثنا الحسن بن خرزاد بكتابه » [٩٢] • قال النجاشي ان الحسن بن علي ابو محمد الحجال من أصحابنا القميين • « اخبرنا شيخنا ابو عبدالله رحمه الله قال حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا الحسن بن علي ابو محمد الحجال بكتابه » [٩٣] • وقال النجاشي ايضا « اخبرنا علي بن احمد القمي قال حدثنا محمد بن الحسن ••• » [٩٤] وكان علي بن محمد بن حفص ابو قتادة القمي ممن « روى عن ابي عبدالله (ع) ••• اخبرنا احمد بن محمد قال ـ حدثنا محمد بن همام قال حدثنا علي بن الحسين الهمداني قال حدثنا محمد بن همام قال حدثنا علي بن الحسين الهمداني قال حدثنا محمد بن خالد البرقي عن ابي قتادة بكتابه » [٩٥] •

---

(٩١) القمي ، الحسن بن محمد ، تاريخ قم ، ترجمه الى الفارسية حسن بن علي (طهران ، ١٣٥٣) ص ١٨ •
(٩٢) الرجال ، ص ٣٥ •
(٩٣) ايضا ، ص ٣٩ •
(٩٤) ايضا ، ص ٤٥ •
(٩٥) الرجال ، ص ٢٠٩ •

ولعل فيما اوردته عن التعليم في المساجد ، بما فيها العتبات الشريفة ، عند الامامية ما يكفي للتدليل على نشاطهم في حقل تعلم العلوم وتعليمها في الفترة موضوعة البحث بالرغم من القيود التي فرضها السلطان عليهم .

واثمرت جهود الشيعة الامامية في التعليم ، وخاصة في المناطق التي نالوا فيها حرية نسبية بحكم كونهم اكثرية فيها . كالكوفة مثلا . وذات مرة سمع ابو الغنائم البرسي يقول ـ « مالنا بالكوفة من أهل السنة والحديث الا انا »[٩٦] . ويقول دونالدسن ان الامام الصادق وتلامذته كونوا شبه مدرسة سقراطية ، وان عددا من تلامذته اسهموا اسهاما كبيرا في تقدم علمي الكلام والفقه[٩٧] .

٢ ـ منازل العلماء .

روى ان النبي (ص) قد اتخذ دار الارقم بن ابي الارقم مركزا يلتقي فيه بأصحابه ليعلمهم مبادىء الدين الجديد[٩٨] .

وكان ائمة الشيعة وشيوخهم يعلمون في منازلهم أحيانا مقتفين في ذلك سنة الرسول (ص) . وعندما جاء الكلبي النسابة الى المدينة ليبحث عن اعلم أهل هذا البيت أرشدوه الى جعفر الصادق فمضى حتى بلغ منزله . وعندما سأل الامام الصادق عن مسائل اجابه بما يرضيه فقال ـ « ان كان شيء فهذا »[٩٩] . قال جابر الجعفي ـ « دخلت على ابي جعفر (ع) فقال من اين انت ؟ قلت من أهل الكوفة قال ممن ؟ قلت من جعف ، قال ـ ما اقدمك الى هنا ؟ قلت طلب العلم . قال ممن ؟ قلت منك »[١٠٠] . وذات مرة روى احد تلامذة الصادق انه زار امامه في منزله . فقال له الامام «امعك شيء تكتب؟ قلت نعم . قال اكتب...»[١٠١] .

---

(٩٦) ابن طاووس ، عبدالكريم ، فرحة الغرى ، ص ١٢٧ .

(٩٧) عقيدة الشيعة ، ص ١٤١ .

(٩٨) الطبرى ، ٣ـ٢٣٣٥ .

(٩٩) القمي ، عيون اخبار الرضا ، ص ١٠٠ .

(١٠٠) ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، مناقب آل ابي طالب ، ج٣ ، ص ٣٣١ـ٢ .

(١٠١) الديلمي ، ارشاد القلوب ، ج١ ، ص ١٠٣ .

وقال زرارة « سألت ابا جعفر (ع) عن الجد فقال ـ ما من احد قال فيه الا برأيه الا أمير المؤمنين (ع) » وعندما سأله زرارة عن قول علي (ع) في ذلك طلب منه الباقر ان يأتي الى بيته . قال زرارة « فلما دخلت عليه اتيل ابنه جعفر (ع) فقال له اقرىء زرارة صحيفة الفرائض ثم قام لينام فبقيت أنا وجعفر (ع) في البيت فقام فأخرج صحيفة مثل فخذ البعير ... »(١٠٢) .

ولم ينفرد ائمة الشيعة بالتعليم في المنازل بل كان شيوخ الشيعة ايضا يعلمون في المنازل . وكان محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ) المعروف بالمرزباني صاحب اخبار « وكان اشياخه يحضرون عنده في داره فيسمعهم ويسمع منهم ، وكان عنده خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لاهل العلم الذين يبيتون عنده »(١٠٣) . قال هارون بن موسى التلعكبري (ت ٣٨٥هـ) سمعت من احمد بن ادريس القمي « احاديث يسيرة في دار ابن همام وليس لي منه اجازة ... »(١٠٤) . وسمع التلعكبري من الحسن بن محمد السكوني « في داره بالكوفة ... وليس له منه اجازة »(١٠٥) . وسمع التلعكبري من محمد شاكري(١٠٦) الامام العسكري « في دار ابي علي بن همام »(١٠٧) . قال النجاشي (ت ٤٥٠هـ) كان هارون التلعكبري وجيها في اصحابنا و « كنت احضر في داره ... والناس يقرءون عليه »(١٠٨) . قال الطوسي (ت ٤٦٠هـ) اخبرنا الحفار قال حدثنا الدعبلي قال « حدثنا احمد بن علي الخزاز بالكرخ بدار كعب ... »(١٠٩) . وقال الطوسي ايضا « اخبرنا ... محمد بن ... مخلد ... في داره ... »(١١٠) . وحدث

---

(١٠٢) الكليني ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٩٤ .
(١٠٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص ١٧٧ .
(١٠٤) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٤٤ .
(١٠٥) ايضا ، ص ٤٦٨ .
(١٠٦) الشاكري ، الاجير والمستخدم ، وهو معرب جاكر .
(١٠٧) الطوسي ، الرجال ، ص ٥٠٥ .
(١٠٨) الرجال ، ص ٣٤٣ .
(١٠٩) الطوسي ، الامالي ، ص ٢٣٨ .
(١١٠) ايضا ، ص ٢٤٨ .

احدهم الشيخ الطوسي فقال « حدثنا أبو الحسن علي بن يعقـــوب ••• الخزاز أملاً في منزله ••• »[111] •

ولعل أهم دار أستخدمت لغرض التعليم عند الامامية هي دار محمـــد بن مسعود العياشي[112] • كان العياشي من اهل سمرقند • ويقول النجاشي ان أبا النظر محمد بن مسعود انفق « على العلم والحديث تركه ابيــه سايرها وكانت ثلثمائة الف دينار ، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل او قار او معلـق مملؤة من الناس ••• »[113] • ويقول ابن داود الحلي ان محمد بن عمـــر الكشي « من غلمان العياشي ••• وصحب العياشي واخذ عنه وتخرج عليه فـي داره التي كانت شريعة للشيعة وأهل العلم ••• »[114] •

ويبدو ان دار العياشي كانت تتمتع ببعض مظاهر معهـد تدريس العلوم • ومن الادلة على ذلك • اولاً ــ نشاط مؤسسها في حقل التعليم كما يبدو مـــن كثرة التلامذة الذين تخرجوا عليه اولا ، ومن انـه كان يمارس التدريس حيث كان له مجلسان للدرس « مجلس للخاص ومجلس للعام »[115] ثانيا •

---

(١١١) ايضا ، الامالي ، ص ١٩٧ •

(١١٢) ان سنة وفاة العياشي مجهولة ، فلـم ترد فـي ابن النديـم (الفهرست ، ص ٢٧٥) ، وكذلك لم يرد ذكرها فـي النجاشي (الرجال ، ص ٢٧٠ــ١) كما ان الطوسي (الرجال ، ص ٤٩٧) لم يوردها • أما المراجـع الحديثة فبعضها اغفل ذكر سنة وفاة العياشي (النوري ، مواقع النجوم أو قائمة الرواة والمحدثين) • وكذلك القمي (الكنى والالقاب ، ج٢ ، ص ٤٥٥) امـا البعض الاخر من المراجع فأوردتها بصورة تقريبية • قال السيد حسن الصـدر (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، ص ٢٦٠) ان العياشي من علماء المائة الثالثة• وقد سألت الشيخ اغا بزرك عن العياشي وعن سنة وفاته فأملى علي من مخطوط له تحت عنوان « نوابغ الاعلام في رابعة المئات » ترجمة مفصلة للعياشي ، قارن فيها المؤلف مختلف المصادر وتوصل الى ان العياشي سمع من جماعة من علمـاء الامامية في العراق بعد سنة ٢٦٠هـ • ومن العلماء الذين سمع منهم العياشـي علي بن الحسن بن فضال الذى يروى عن اخيه احمد الذى توفي سنة ٢٦٠هـ •

(١١٣) الرجال ، ص ٢٧١ •

(١١٤) الرجال (طهران ، ١٣٤٢) ص ٣٢٨ •

(١١٥) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٩٧ •

أما تلاميذ العياشي فسنورد منهم طائفة ـ أ ـ حيدر بن محمد السمرقندي « من غلمان ابن مسعود العياشي ، وقد روى جميع مصنفاته وقراءها عليه » • وروى [السمرقندي] الف كتاب من كتب الشيعة بقراءة واجازة[١١٦] ٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ ـ يقول الطوسي كان محمد بن طاهر بن جمهور ، وابو الحسين بن ابي طاهر الطبرى، وجعفر بن محمد، ومحمد بن عمر بن عبدالعزيز الكشي ، واحمد بن يعقوب السنائي ، وابراهيم الحبوبي ، واحمد بن الصفار ، واحمد بن يحي « من غلمان العياشي »[١١٧] ، ١٠ ، ١١ • وكان الحسين بن نعيم ، والحسن الكرماني « يروى عن العياشي »[١١٨] • ١٢ ـ جعفر بن محمد بن مسعود العياشي « روى عن ابيه جميع اكتب ابيه »[١١٩] • ١٣ ـ علي بن حسنويه « من تلامذة ابي النظر بن مسعود العياشي »[١٢٠] • ١٤ ـ وكان احمد بن محمد الأزدي « غلام العياشي »[١٢١] • ثانيا ـ كثرة المبالغ التى انفقها العياشي على داره التي خصصها لتلامذته وكان مقدارها ثلثمائة ألف دينار كما أسلفنا •

لم يكن التعليم في منازل العلماء ، في الفترة موضوع البحث ، مقتصراً على الامامية بل كان معروفا عند أهل السنة • قال احدهم « كنت اختلف الى ابي القاسم الابندوني الجرجاني ••• وكان لا يحدثنا جميعا ، وكان يجلس احدنا على باب داره ويدخل الاخر فكان سماعنا على هذا »[١٢٢] •

ومما تجدر الاشارة اليه ان الامامية ، كما يظهر ، لا يستعملون اى جزء من اجزاء الدار للتعليم كيفما أتفق بل هناك موضع في الدار نفسها يتخذ للصلاة

---

(١١٦) الطوسي ، الفهرست ، ص ٩٠ •
(١١٧) الرجال ، ص ٤٩٨ ، ٥١٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧٩ ، ٤٣٩ •
(١١٨) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٦٣ •
(١١٩) ايضا ، ص ٤٥٩ •
(١٢٠) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٧٩ •
(١٢١) ايضا ، ص ٤٤٠ •
(١٢٢) السهمي ، حمزة بن يوسف ، تاريخ جرجان (حيدر آباد ، ١٩٥٠) ص ٢٣٠ •

والتدريس ويسمى هذا المحل مسجدا • وذات مرة قال احدهم « دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام فى منزله فاذا هو فى بيت كذا فى مسجد له وهو يدعو ••• فقلت له جعلني اللهفداك ••• فمن ولي الناس بعدك ••• »[١٢٣] •

ومما يؤيد وجود محل كالذى سبقت الأشارة اليه فى الكثير من بيوت الشيعة هو ما ورد فى رسالة من الامام الصادق (ع) موجهة الى شيعته حول المساجد المذكورة • وكان الأمام اوصى شيعته بحفظ الرسالة المشار اليها «وامرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم فاذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها »[١٢٤] • وربما كان للاحوال الصعبة التى عاش فيها الامامية ، فى اكثر فترات حياتهم خلال المدة موضوع البحث ، اثر فى وجود المساجد المذكورة لأن وجودها في البيوت يجعلها بمأمن من رقابة السلطان والمتعنتين من العلماء والعامة من أهل السنة •

وبعدما قدمت عن التعليم فى منازل العلماء الامامية واسلافهم استنتج ان تدريس العلوم في منازل العلماء كان ذا اهمية كبيرة عند الامامية حينذاك لان ائمة الشيعة ، بعد مقتل الحسين ، اهملوا السياسة وانصرفوا للتدريس ما عدا فترة قصيرة اتصل بها الامام الرضا بالمأمون حين ولاه العهد • ويظهر ان تدريسهم كان يجرى ، فى الغالب ، فى بيوتهم خوفا من رقابة السلطان • وتعرض شيوخ الامامية ، ماعدا الفترة البويهية لرقابة مشابهة لتلك التى تعرض لها الائمة • لذا فقد اثروا الابتعاد ، خاصة فى الاماكن التى تشتد فيها الرقابة ، عن المساجد العامة ليقوموا بتدريس علومهم دون مضايقة •

٣ ـ **المجالس** •

للمجلس فى نطاق هذا البحث معنيان احدهما انه مكان لتعليم العلوم • وثانيهما انه جلسة واحدة للتدريس • ومن الامثلة على المجالس التى هى امكنة لتعليم العلوم مارواه الحلي من ان محمد بن الحسن الجعفرى كان « خليفةالشيخ

---

(١٢٣) الكليني ، الكافي ، ص ١١٦ •

(١٢٤) الكليني ، الروضة (مخطوط) ورقة ٢١ •

المفيد (ر) و«المجالس مجلسه ...»[١٢٥] . وكان لمحمد بن مسعود السمرقندى العياشي « مجلس للخاص ومجلس للعام »[١٢٦] . وذات مرة قال الحسن بن موسى الوشاء البغدادي « كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا في مجلسه... وابو الحسن مقبل على قوم يحدثهم ...»[١٢٧] . قال بعض طلبة المبرد «خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالدا الكاتب فقال من اين قلت من مجلس المبرد ...»[١٢٨] . وكان هشام بن الحكم المتكلم الامامي المعروف « منقطعا الى يحيى بن خالد البرمكي وكان القيم بمجالس كلامه ونظره ... »[١٢٩] . وذات مرة دخل هشام بن الحكم على الامام الصادق وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن اعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وابي جعفر الاحول وغيرهم »[١٣٠] . قال عبدالرحمن بن الحجاج « كنا في مجلس ابان بن تغلب فجاءه شاب فقال يا أبا سعيد اخبرني كم شهد مع علي بن ابي طالب (ع) من اصحاب النبي (ص) ...»[١٣١] . ويرى المقدسي ان المشتغلين بتعليم العلوم ضربين « منهم من عقد لنفسه مجلس تدريس ... وجمع الغرباء وحرص على تخريج التلاميذ ...»[١٣٢] .

ويبدو ان المجالس كانت معروفة بالمعنى السابق عند أهل السنة . قال ابن النديم « كان يلزم مجلس ابي عمرو الشيباني احمد بن حنبل وكتب عنه حديثا كثيرا »[١٣٣] .

---

(١٢٥) الرجال ، ص ٨١ .

(١٢٦) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٩٧ .

(١٢٧) المجلسي ، المصدر السابق ، ج١١ ، ص ٦٥ .

(١٢٨) الحموي ، ابن حجة ، ثمرات الاوراق ، ص ٣٥ .

(١٢٩) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ـ٥٠ .

(١٣٠) المفيد ، الفصول ، ص ٣١ .

(١٣١) النجاشي ، الرجال ، ص ٩ .

(١٣٢) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(١٣٣) الفهرست ، ص ١٠١ .

أما المجالس بمعنى الدروس فهي كثيرة الاستعمال عند الامامية واسلافهم . روى الامام الصادق « ان امير المؤمنين علم اصحابه في مجلس واحد اربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه »[134] . روى الصدوق ان جماعة من اصحاب المأمون « رفعوا اليه ان ابا الحسن علي بن موسى (ع) يعقد مجالس الكلام والناس يفتتنون بعلمه ... »[135] . ولعل اشهر الامثلة على المجالس التي تعني الدروس هي ان الشريف المرتضى ألف كتابا « اسماه الدرر والغرر وهي مجالس املاها ... تكلم فيه على النحو واللغة وغير ذلك ... »[136] . واسمى الشيخ محمد بن علي الصدوق القمي احد كتبه بالامالي وقسمه الى مجالس او جلسات يلقي في كل واحدة منها مقدارا معينا من المادة . وقد حدد القمي تواريخ معينة لمجالسه المذكورة فالمجلس الاول كان « يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٧ هـ » والمجلس الثاني يوم الثلاثاء لسبع بقين من رجب من السنة نفسها . والثالث يوم الجمعة لخمس بقين من رجب ، والرابع يوم الثلاثاء سلخ رجب ، والخامس يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان. وهكذا يستمر القمي بذكر مجالسه مرتبطة بيوم الاسبوع ويوم الشهر والسنة . ويذكر القمي مكان المجلس اي الدرس أحيانا . فكان المجلس السابع والتسعون ، مثلا ، قد جرى « يوم الخميس لاحدى عشر ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٦٨ هـ في مشهد الرضا عليه السلام »[137] .

ويمكن ان نستنتج من دراسة كتاب القمي المذكور ما يأتي :-

اولا - ان القمي قصد بمجالسه الجلسات التدريسية وليس الأمكنة وذلك لانه ربط انعقاد المجلس بيوم الاسبوع والشهر والسنة .

ثانيا - يظهر ان القمي كان يلقي دروسه في يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع لان تاريخ مجلسه الأول كان يوم الجمعة الثامن عشر من رجب والثاني

---

(١٣٤) القمي ، عيون اخبار الرضا ، ص ١٥٥ .

(١٣٥) ايضا ، ج٢ ، ص ١٧٢ .

(١٣٦) اليافعي ،عبدالله ، مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ٥٥ .

(١٣٧) القمي . الامالي . (قم ، ١٣٧٣) ص٢، ٤، ٧، ٩، ١١، ٣٩٩ .

يوم الثلاثاء في الثالث والعشرين منه ، والثالث الجمعة لخمس بقين منه والرابع الثلاثاء في نهايته •

ثالثا ـ انهى القمي مجالسه في اليوم التاسع عشر من شعبان من السنة التالية ويعني ذلك انه اكمل جلساته التدريسية في سنة كاملة •

رابعا ـ يظهر ان نوعا من التنظيم الدراسي العالي اتبع في دروس القمي لبدايتها ونهايتها في سنة كاملة ، ولارتباطها بأيام وتواريخ معينة من كل اسبوع•

٤ ـ مؤسسات علمية كانت ذات صلة بحركة التعليم •

لا يمكن ان تعدّ المؤسسات التي سنعالجها في هذا الباب ذات اغراض تعليمية بحتة ، وبالرغم من ذلك فأن التعليم كان من بين اغراضها ، وسنقسم المؤسسات المذكورة الى صنفين :ـ ١ ـ دور الكتب • ٢ ـ دور العلم • ولقد رأينا ، قبل البحث عن تلك المؤسسات وبسط اغراضها ، ان نشير الى أهم ميزات العصر الذي نشأت فيه المؤسسات المذكورة ، وخاصة من الناحية التي لها علاقة بالامامية الذين هم مدار بحثنا هنا •

اولا ـ قيام الحكم البويهي في العراق وايران • كان الامامية قبل العهد البويهي لا يتمتعون ، في الغالب بحرية كاملة لتدريس قواعد مذهبهم في المساجد العامة لان السلطان القائم حينذاك ، فضلا عن فقهاء أهل السنة ، كان ينظر الى تعاليمهم ، كما أسلفنا ، على انها بدع • ونتيجة لذلك لجأ الامامية الى التستر بقاعدة التقية من جهة ، والى الانزواء في الاماكن البعيدة عن رقابة السلطان ، بما فيها منازل العلماء، لتدريس علوم أهل البيت ونشر قواعد مذهبهم من جهة ثانية•

وعندما ظهر البويهيون على مسرح السياسة وهم « يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون ان العباسيين قد غصبوا الخلافة ••• »[١٣٨] نال الشيعة الامامية نوعا من الحرية الفكرية في ظلهم • وكان للبويهيين مملكة واسعة « ودولة قوية قد خطب عليهم بالصين واليمن وقاوموا ملوك الزمن وملك المشرق قد عجز

(١٣٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ١٩٧ •

عنهم ، وخلفاء بني العباس في حجرهم ...»[139] يضاف الى ذلك ان الخلافة العباسية كانت قد تضعضعت نتيجة للضربات التي كالتها لها الشيعة المهدية من قرامطة وفاطميين .

وكان من مصلحة الاسرة البويهية ، التي تنضوي تحت راية التشيع ، ان تثبت عقيدة الشيعة وتعمل على نشرها لان انتشارها يعني اضعاف الخلافة العباسية ، ولكي يكافح البويهيون نفوذ الخليفة من جهة ، ولاسباب عقيدية من جهة اخرى ، ابدوا اهتماما بتشجيع المذهب الجعفري بصورة عامة والدراسات الامامية بصورة خاصة .

ولما كان الشيعة الامامية خلال القرن الرابع الهجري في العراق كثيري العدد على رواية المقدسي القائلة ان « الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ... وبالكوفة الشيعة الا الكناسة فأنها سنية ... واكثر أهل البصرة قدرية وشيعة ...، وفي الموصل « حنابلة وشيعة ...»[140] . وان اكثرية العتبات المقدسة عند الامامية موجودة في العراق ، وان المؤسسات الفكرية للامامية كانت متركزة في تلك البلاد منذ عهد طويل ، رأى البويهيون ان من مصلحتهم ان يتعاونوا مع الامامية ويسهلوا لهم نشر مذهبهم . وظهر التعاون المذكور في مجالات عديدة . فبهاء الدولة مثلا ، قلد سنة ٣٩٤ « النقيب ابا احمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق ، وقضاء القضاة والحج والمظالم... فأمتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه »[141] . ويعزى نجاح الخليفة في ذلك لا لقوته السياسية بل لنفوذه الديني ولان منصب قاضي القضاة منصب ديني . وشجع البويهيون الشيعة على اقامة المآتم الدينية في يوم عاشوراء ، اى اليوم العاشر من المحرم ، وهو اليوم الذى استشهد فيه الامام الحسين بن علي (ع) . قال ابن الاثير في ذكر حوادث سنة ٣٥٢ هـ « في هذه السنة عاشر محرم أمر معز الدولة الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء ، وان

---

(١٣٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٠٠ .
(١٤٠) ايضا ، ص ١٢٦ ، ١٤٢ .
(١٤١) ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٦٨ .

يظهروا النياحة ويلبسوا ثيابا عملوها بالمسوح ، وان يخــرج النســاء منثرات الشعور ، مسودات الوجوه ، قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ، ويلطمن وجوههن على الحسين (ع) بن علي (ر) ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولان السلطان معهم »[١٤٢] • وفي ســنة ٣٥١ هـ « كتب عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صــورته لعن الله معاوية بن ابي سفيان • ولعن من غصب فاطمة (ر) فدكا فأما الخليفــة فكــان محكوما عليه لا يقدر على المنع واما معز الدولة فبأمره كان ذلك ••• »[١٤٣] •

وسبق ان اشرنا الى ان عضد الدولة زار المشاهد الشريفة وتبرع بمبالغ مــن المال لساكنيها • وفي سنة ٤٠٣ هـ بنى الحسين بن فضل وزير سلطان الدولة ، سور الحائر من مشهد الحسين[١٤٤] • وذات مرة انتصر الشيخ المفيد على احد مناظريه من أهل السنة ، فلما علم عضد الدولة بالمناظرة احضر المفيد « وسأله عما جرى واكرمه غاية الاكرام »[١٤٥] • واستغل الامامية فرصة وجود البويهين في الحكم فتركوا قاعدة التقية واخذوا يبثون تعاليم فرقتهم علنا • فالشيخ المفيــد الذي « انتهت رياسة متكلمي الشيعة اليه »[١٤٦] في هذا العصر ، كان يعقــد « مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء وكانت له منزلة عند امراء الاطــراف يميلهم الى مذهبه ••• »[١٤٧] •

ثانيا ـ قيام أهل السنة بحملة فكرية وحملة سياسية مضادتين للتشيع : انتبه الخلفاء العباسيون وقادة المذاهب السنية لخطر انتشار تعاليــم الشيعة فحاولوا مقاومة التيار الجديد على الصعيدين الفكري والسياسي ففي الناحية السياسية كان الصراع بين العباسيين والفاطميين معروفا فلا ضرورة للبحث فيه • يضــاف الى

---

(١٤٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ١٩٧ •

(١٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص ١٩٥ •

(١٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص ١٣ •

(١٤٥) الخونساري ، روضات الجنات ، ص ٥٣٨ •

(١٤٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٥٢ •

(١٤٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص ١١ •

ذلك ان الخليفه اخذ يستعين بالامراء السنة كالسلطان محمود الغزنوي الـذي توسعت سلطته في بداية القرن الخامس للهجرة . اما من الناحية الفكرية فنجد القادر يتزعم حملة فكرية مضادة للمخالفين لاهل السنة . ففي سـنة ٤٠٨ هـ « بعث القادر وكان صاحب سنة الى السلطان محمود سبكتكين يأمره ببث السـنة بخراسان ففعل ذلك وبالغ وقتل جماعة ونفى جماعة كثيرة من المعتزلة والرافضة والاسماعيلية ... وأمر بلعنهم على المنابر ... »(١٤٨) . وفي سـنة ٤٢٠ هـ ورد الى الخليفة كتاب من السلطان محمود يعلن فيه انتصاره على الديالمة الذين خرجوا « معترفين بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم فرجـع الى الفقهاء في تعرف احوالهم فأتفقوا على انهم خارجون من الطاعة وداخلون فـي أهل الفساد مستمرون على العناد ، فيجب عليهم القتل ... وان لم يكونوا مـن أهل الالحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم لا يعدو ثلاثة اوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن ... »(١٤٩) .

وبعد ان بينت الظروف المواتية للامامية تحت ظل الحكـم البويهي لان يتركوا قاعدة التقية ويعملوا علنا على نشر قواعد مذهبهم ، كما بينت كيـف ان الظروف المذكورة كانت من بين العوامل التي ايقظت الخصوم وجعلتهم يستجمعون قواهم ويقومون بحملة مضادة للتشيع سألخص أهم الدوافع التي دفعت الامامية لتأسيس دور الكتب العامة ودور العلم والاستفادة منها في تعليم العلوم مضافا الى المنازل الخاصة والمساجد بما يأتي :

اولا ـ كان الامامية قبل قيام الحكم البويهي لا يجرأون ، الا فيما نـدر ، على تكوين مؤسسات خاصة بهم اذ كانت مؤسساتهم ، في اغلب الاحيان ، عرضة للتخريب . وسبق ان بينا كيف ان المقتدر في سنة ٣١٣ هـ هـدم مسجد براثا لان الرافضة تجتمع فيه فتشتم الصحابة(١٥٠) . وقد توفرت حرية نسبية للامامية بعد قيام الحكم البويهي في العراق وايران ، فاستغلها الامامية وانشأوا لهـم

---

(١٤٨) ابن عماد ، شذرات ، ج٣ ، ص ١٨٦ .
(١٤٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص ٣٩ .
(١٥٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ١٩٥ .

مؤسسات فكرية خاصة بهم كان من بينها دور الكتب العامة ودور العلم •

ثانيا ـ عدم صلاحية المساجد العامة للتعليم ويعود ذلك لسببين اولاهما ان المساجد بنيت في الاصل لاقامة الصلاة وما التدريس فيها الا أمر حادث ، والمساجد ان صلحت للتدريس في القرون الثلاثة الاسلامية الاولى لم تعد تصلح في الرابع ، لان الحركة الفكرية عند المسلمين بما فيهم الامامية قطعت شوطا بعيدا ، ولان المناظرات والجدل الديني وما يتبعهما من خلافات وشجار كانتا على أشدها عند المسلمين بما فيهم الامامية في هذا القرن • ولهذه الاسباب مجتمعة اصبح التدريس في المساجد من العوامل المضايقة أو غير المرغوب فيها في المساجد•

ومن الجدير بالذكر ان التدريس في المساجد حتى في القرون الثلاثة الاسلامية الاولى لم يكن يجرى في المكان المعد للصلاة نفسه ، بل كان يجرى في مكان اخر غيره وان كان المكان المذكور جزءا من بناية المسجد(١٥١) •

أما السبب الثاني وهو خاص بالامامية واسلافهم وذلك انهم لم يكونوا احرارا ، كما أسلفنا ، في تدريس علومهم في المساجد العامة خاصة في المناطق التي كانوا فيها أقلية او ان رقابة السلطان وفقهاء أهل السنة عليها شديدة •

ثالثا ـ عدم صلاحية المنازل الخاصة للتعليم • انشىء المنزل ، كما هو معلوم ، في الاصل للسكنى لا للتدريس • واتخذت منازل العلماء عند الامامية دورا اهم في التعليم مما كانت عليه عند اهل السنة ، لاسباب قاهرة وذلك خوفا من الرقابة • وعندما شعر الامامية بنوع من الحرية والاطمئنان في العهد البويهي قل اهتمامهم في التدريس بمنازل العلماء ، واظهروا اهتماما متزايدا بالتدريس بدور الكتب ، ودور العلم والمشاهد الشريفة التي اخذت أهميتها تظهر بكونها موضعا لتدريس العلوم قبيل القرن الخامس للهجرة • ولعل انطلاق الحرية في ظل بني بويه للامامية كان على رأس الاسباب التي سهلت ظهور أمكنة خاصة للتعليم عندهم غير المساجد ومنازل العلماء بحيث اصبحت الامكنة المذكورة تسهم

---

(١٥١) Khuda Bukhsh, " The Educational System of the Muslims in the Middle Ages" , Islamic Culture , I , 1927 , P. 447.

بقسط من عملية التعليم بجنب الامكنة التقليدية وهي المساجد ومنازل العلماء •

أولا ـ دور الكتب •

ان دور الكتب عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص احد جوانبها لمطالعة الكتب ونسخها • وتكون الدور المذكورة موئلا للعلماء والباحثين يتناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع • وتقوم تلك الدور أحيانا ، وبصورة عرضية ، بمهمة تعليمية ، لاسيما ان بعض روادها ، كما سنبين بعد قليل يقصدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات اولئك الرواد • قال الحريري (ت ـ ٥١٦هـ) « فلما ابت من غربتي الى منبت شعبتي[١٥٢] حضرت « دار كتبها » التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمغتربين ••• »[١٥٣] • ونستنتج من النص السابق ما يأتي :

اولا ـ ان دار الكتب كانت مؤسسة عامة لانها كما قال الحريري سابقا كانت منتدى المتأدبين •

ثانيا ـ كان يؤمها عشاق العلم من السكان المحليين والغرباء لانها ، على حد قول الحريري ، ملتقى المتأدبين من قاطنين ومغتربين •

أما الغرض التعليمي لخزائن الكتب العامة فيظهر من الوصف الذي اورده ابن طاووس لخزانة ابن المنجم[١٥٤] • كان ابن المنجم يملك ضيعة في نواحي القفص (قرية قريبة من بغداد) كما يملك قصرا جليلا « فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدونها من كل بلد يقيمون بها ويتعلمون صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم والضيافة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحي • فقدم ابو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو اذ

(١٥٢) يشير الى عودته الى مدينة البصرة لانه كان من أهلها •

(١٥٣) المقامات (القاهرة ، ١٣٢٦) ص ٢٠ـ١ •

(١٥٤) ابو الحسن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم النديم المتوفى سنة ٢٧٥ هـ • (القمي ، عباس ، الكنى والالقاب ، ج٣ • النجف ، ١٩٥٦ ، ص ١٨٢) • ولما كان ابن المنجم غير امامي لم تدرج خزانة كتبه ضمن خزائن كتب الامامية •

ذاك لا يحسن كثيرا من علم النجوم فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها فأقام بها واعرض عن الحج وتعلم النجوم ... »[155] .

واود ان اشير هنا الى ان خزانة الحكمة لابن المنجم لم تكن مكتبة اعتيادية بل تتوفر فيها بعض مستلزمات موضع تعليم العلوم . فرواده كما يبدو ، كانوا يقيمون في القصر الملاصق للخزانة مدة قد لاتكون قصيرة ليتمكنوا ، بعد ان تجشموا مصاعب السفر للوصول الى قرية ابن المنجم ، من مطالعة الكتب التي قد لاتتوفر لهم في غير تلك الخزانة ، أو ليتعلموا صنوف العلم أو صنفا واحدا منها على الأقل كما فعل ابو معشر المنجم الذى عزف عن الحج ، بعد ان سمع عن الخزانة المذكورة وتعلم النجوم . ومن أهم دور الكتب عند الامامية :

أ ـ دور كتب عضد الدولة البويهي : دار كتب عضد الدولة بشيراز . يصف المقدسي وهو شاهد عيان ، الدار المذكورة بقوله « وبنى [عضد الدولة] بشيراز دارا لم أر في شرق ولا غرب مثلها ... وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقته من انواع العلوم كلها الا وجعله فيها وهي ازج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع الحيطان الازج والخزائن بيوتا طولها قامة في عرض ثلاثة اذرع من الخشب المزوق . عليها ابواب تنحدر من فوق والدفاتر منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لايدخلها الا وجيه . وطفت في هذه الدار كلها سفلها وعلوها ... »[156] . ويضيف المقدسي انه قرأ في كتاب بخزانة عضد الدولة ...[157] .

ب ـ دار كتب ابن سوار كاتب عضد الدولة بمدينة رام هرمز والبصرة . قال المقدسي « رام هرمز قصبة كبيرة ... وبها دار كتب كالتي بالبصرة والداران جميعا اتخذهما ابن سوار وفيهما اجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ ، الا ان خزانة البصرة اكبر واعمر واكثر كتبا ، وفي هذه ابدا شيخ يدرس عليه

---

(١٥٥) فرج المهموم ، ص ١٥٧ .

(١٥٦) احسن التقاسيم ، ص ٤٤٩ .

(١٥٧) ايضا ، ص ٤٤٨ .

علم الكلام ...»[158] . ويظهر من النص السابق ان هاتين الدارين تتوفر فيهما بعض مستلزمات المعهد التعليمي وخاصة تلك التي فيها شيخ مقيم بصورة مستمرة يدرس عليه علم الكلام . ومما يساعد روادهما على البقاء مدة طويلة فيهما ان صاحبهما وفر وسائل العيش والراحة لاولئك الرواد .

جـ ـ خزانتان للكتب في البصرة . كان عضد الدولة البويهي قد بسط رعايته على دارين للكتب في البصرة . وقد احرقهما الاعراب في احدى هجماتهم على البصرة بعد وفاته . روى ابن الاثير ان الاعراب هجموا سنة ٤٨٣هـ على البصرة واحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما احرقوا « دارين للكتب احدهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه ، فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها ، وهي أول دار اوقفت في الاسلام ، والاخرى وقفها الوزير ابو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب واعيانها »[159] .

د ـ موضع للتعليم والتعلم يؤسسه عضد الدولة بداره في بغداد .

ان الموضع الذي سنتكلم عنه فيما يأتي لم يطلق عليه اسم « دار الكتب » . وقد اوردته هنا لقيامه بوظيفة تعليمية تشبه من بعض الوجوه ما كانت دور الكتب العامة تقوم به . قال مسكويه ، في معرض كلامه عن تشجيع عضد الدولة للعلوم، وفي عهده « بسطت رسوم للفقراء والفقهاء ، والمفسرين ، والمتكلمين والمحدثين ، والنسابين والشعراء ، والنحويين ، والعروضيين ، والاطباء ، والمنجمين ، والحساب ، والمهندسين ، وافرد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكماء والفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة امنين من السفهاء ورعاع العامة واقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع اهلها وكانوا اشتاتا »[160] . ويبدو ان الموضع المذكور لم يعمر طويلا بعد موت عضد

---

(١٥٨) احسن التقاسيم ، ص ٤١٣ . و
Mez, A, The Renaissance of Islam, London, 1937, P. 176

(١٥٩) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٦٨ .
(١٦٠) تجارب الامم ، ج٦ (القاهرة ، ١٩١٤) ص ٤٠٨ .

الدولة ، اذ لم يرد له ذكر في المصادر فيما بعد ، وربما اصابه من التلف ماأصاب كثيرا من مؤسسات الامامية على أيدى السلاجقة بعد نهاية الحكم البويهي •

ثانيا ـ دور العلم •

لم اعثر بالمصادر التي اطلعت عليها على تعريف لدور العلم • وقد حاول ميتزأن يميز بين دور الكتب ودور العلم بقوله لقد « ظهرت الى جانب دور الكتب مؤسسات علمية اخرى تزيد على دور الكتب بالتعليم ، أو على الاقل باجراء الارزاق على من يلازمها •••»(١٦١) • فميتز يجعل التعليم واجراء الارزاق على الملازمين لدور العلم أهم الخصائص التي تميزها عن دور الكتب • ونتيجة لذلك يجعل « دارى كتب » ابن سوار بين دور العلم • ويضيف آدم ميتز الى الدارين المذكورتين « دار علم سابور » التي سأشير اليها بعد قليل •

واعتقد ان رأى ميتز الذى اورده حول الفرق بين دور الكتب ودور العلم كان ضعيف الاساس للاسباب الآتية :ـ

اولا ـ ان المقدسى اطلق اسم « دار الكتب » على كل من المؤسستين اللتين انشأهما ابن سوار في رام هرمز والبصرة ولم يسمهما بدارى العلم •

ثانيا ـ ان عنصر التعليم الذى جعله ميتز من بين ميزات دور العلم كان متوفرا في احدى دارى كتب ابن سوار لوجود معلم لعلم الكلام فيها •

ثالثا ـ ان دار علم سابور ، رغم تسميتها بالاسم المذكور في المصادر ، لايوجد فيها من يقوم في التعليم كما لم توفر الارزاق لمن يرتادها طبقا لرأى ميتز • ومن أهم دور العلم عند الامامية :

١ ـ دار علم سابور بن اردشير •

تولى سابور الوزارة لبهاء الدولة البويهي ، وقد ابتاع « دارا بين السورين في سنة احدى وثمانين وثلثمائة ، وحمل اليها كتب العلم من كل فن وسماها دار العلم ، وكان فيها اكثر من عشرة آلاف مجلد ، ووقف عليها الوقوف وبقيت

---

(١٦١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة عبدالهادى ابو ريده ـ ج١ (القاهرة ، ١٩٤٠) ص ٢٩٢ •

سبعين سنة واحرقت عند مجيء طغرلبك في سنة خمسين واربعمائة »[١٦٢] .

وقد وردت اشارة في رسالة الغفران يستدل بها على ان ابا العلاء المعرى زار دار علم سابور في زيارته لبغداد سنة ٣٩٩هـ حين اقام بها سنة وسبعة اشهر[١٦٣] . وتتضمن اشارة ابي العلاء وجود امرأة اسمها « توفيق السوداء » كانت تخدم في « دار العلم على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن » حيث كانت تخرج الكتب الى النساخ [١٦٤] .

وبالرغم من ان ابا العلاء لم يورد اسم سابور مقترنا بدار العلم التي كان يتردد اليها ، يظهر ان دار العلم التي اشار اليها كانت دار سابور لانها كانت موجودة ببغداد[١٦٥] عند قدومه اليها ، ويضاف الى ذلك ان محمد بن علي الخازن كان من خزان الدار المذكورة[١٦٦] . وربما بلغت الدار المذكورة من الشهرة بحيث لم يجد أبو العلاء ضرورة لذكرها مقرونة باسم صاحبها .

ويبدو ان دار سابور عرضت لاخطار منها النهب والحرق . روى ابن الجوزى في حوادث ٤٥٢هـ ان ابا الحسن محمد بن هلال الصابي اوقف « دار كتب بشارع ابي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها نحو ألف كتاب . وكان السبب ان الدار التي اوقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب اكثر ما فيها ، فبعثه الخوف على ذهاب العلم ان وقف هذه الكتب »[١٦٧] . ولا شك ان احراق الدار المذكورة كان لاسباب مذهبية لان الدار احرقت بعد خروج البساسيري من بغداد سنة ٤٥١هـ[١٦٨] ، وان الشيعة الامامية كانوا من المؤيدين

---

(١٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ٦٨ .
(١٦٣) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ـ١٨٤ .
(١٦٤) المعرى ، ابو العلاء ، رسالة الغفران (القاهرة ، ١٩٥٠) ص١٩٣ .
(١٦٥) ابو العلاء ، رسالة الغفران ، ص ١٩٣ .
(١٦٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص ٩٣ .
(١٦٧) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج٨ ، ص ٢١٦ .
(١٦٨) ايضا ، ج٨ ، ص ٢٠٥ .

للبساسيري . ذكر ابن الجوزي ان باب البصرة نهب سنة ٤٥٠هـ « بأيدي أهل الكرخ تشفيا لاجل المذهب ... واعاد أهل الكرخ الاذان بحي على خير العمل، وظهر فيهم السرور الكثير وعملوا راية بيضاء ونصبوها وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم المستنصر بالله ... »(١٦٩) .

ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة التي انشأها سابور كانت أول مؤسسة شيعية اطلق عليها اسم « دار العلم » . ولم نعثر في المصادر على مايشير بوضوح الى الوظيفة التعليمية لدار سابور ماعدا نص واحد يكتنفه شيء من الغموض . روى ياقوت عند كلامه عن علي بن فضال (ت ٤٧٩هـ) ان ابا القاسم بن نافيا قال « ودخلت دار العلم ببغداد وهو [علي بن فضال] يدرس شيئا من النحو في يوم بارد فقلت :

اليوم يوم قرس بارد كأنه نحو ابن فضال
لا تقرأوا النحو ولا شعره فيعتري الفالج في الحال»(١٧٠).

واعتقد ان دار العلم المقصودة هي دار علم سابور للاسباب الآتية :

اولا ـ كانت دار العلم التي انشأها سابور موجودة ببغداد حتى احرقت سنة ٤٥١هـ بعد دخول السلاجقة كما اشرنا قبل قليل . ولما كانت وفاة ابن فضال هذا حصلت سنة ٤٧٩هـ يكون تدريسه فيها من الامور المحتملة الوقوع .

ثانيا ـ لم تؤسس دار اخرى للعلم ببغداد بين تأريخ حرق دار علم سابور وموت ابن فضال ، أي بين ٤٥١-٤٧٩هـ ، لصرف النص المذكور اليها ، لان ذلك لم يرد بالمصادر ، كما اعلم ، ولان فترة حكم السلاجقة تميزت بانشاء المدارس لا دور العلم اذ اسست المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩هـ كما هو معروف .

ثالثا ـ يبدو ان دار علم سابور كانت من الشهرة بمكان بحيث اذا اطلقت

---

(١٦٩) ايضا ، ج٨ ، ص ١٩٢ .

(١٧٠) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٥ (القاهرة ، ١٩١١) ص٢٩٤ .

عبارة « دار العلم ببغداد » انصرفت اليها . وقد وضحنا ذلك في حالة زيارة ابي العلاء المعري لتلك الدار .

ونستنتج مما سبق ان دار علم سابور مؤسسة علمية ذات صلة بالتعليم ، شأنها شأن مثيلاتها من دور العلم امثال دار علم الشريف الرضي وغيرها مما سنذكره . ويمكن ان نتخذ من القرائن التالية ، فضلا عما سبق ، دليلا يسند افتراضنا السابق .

كانت دار علم سابور ذات موارد كبيرة لكثرة الاوقاف التي حبست عليها . ومن المحتمل ان قسما من وارد الوقف المذكور يصرف لاغراض تعليمية لان الاصل في الوقف ان يكون لاغراض دينية وان تعليم علوم آل البيت وتعلمها يقعان في صميم الاغراض المذكورة . وفضلا عما سبق فأن الدار المذكورة عمرت طويلا اى حوالى سبعين عاما ، ونشأت في عصر اخذ التعليم فيه ينتقل من المساجد الى المؤسسات الجديدة امثال دور الكتب ودور العلم ، فيكون اسهامها بالتعليم من الامور المحتملة . وللاستاذ كوركيس عواد رأى يؤيد فيه وجود الوظيفة التعليمية لدار علم سابور يقول فيه ان تلك الدار كانت « موئلا للعلماء والباحثين ، يترددون اليها للدرس والمناظرة والمباحثة ... »(١٧١) أ .

٢ ـ دار علم الشريف الرضي .

انشاء الشريف الرضي دارا للعلم بمدينة بغداد . وكانت دار علم الشريف الرضي ، كما يظهر ، موضعا لدراسة الطلاب وسكناهم في الوقت نفسه . فالشريف المذكور اسكن طلبة العلم الملازمين له « في عمارة قد اتخذها لهم سماها دار العلم وعين لهم مايحتاجون اليه » . وحدث ان احدهم احتاج الى زيت للاضاءة ولم يكن الخازن حاضرا فاقترض الطالب زيتا من حانوت مجاور « فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطبة ويدفع الى كل منهم مفتاح ليأخذ منها مايحتاج اليه ولا ينتظر خازنا يعطيه »(١٧١)ب .

(١٧١) أ   خزائن الكتب القديمة في العراق ، (بغداد ، ١٩٤٨) ص١٤١ .
(١٧١)ب   الخونساري ، روضات الجنات (طهران ، ١٣٤٧) ص ٥٤٨ .

ومن هذا يظهر ان دار علم الشريف الرضي كانت اقرب مؤسسة الى المدرسة التى كان الطلبة عادة يدرسون ويسكنون فيها • وكان فى دار علم الشريف الرضي عدد من الطلبة كانت نفقتهم على صاحب الدار[١٧٢] • ويسمي الاستاذ محفوظ دار علم الرضي « بدار العلوم » ولكن التسمية المذكورة لم ترد فى النصوص التي عثرت عليها ، ويظهر انها تسمية حديثة • ويعتقد محفوظ ايضا ان فى الدار المذكورة دار كتب كبيرة « وهى ثانى دار كتب ببغداد بعد دار كتب هارون الرشيد »[١٧٣] المسماة بـ « بيت الحكمة »[١٧٤] • ولم اعثر على نص يشير الى عدد الكتب التى حوتها مكتبة دار علم الرضي كما هى الحال فى دار علم سابور[١٧٥]• لذا أرى ان في رأى الاستاذ محفوظ مبالغة • يضاف الى ذلك ان دار علم الشريف الرضي كانت مؤسسة شعبية ، وان مورد صاحبها محدود ، ولم يعرف عنه انه كان غنيا وانما كان اخوه المرتضى مشهورا بالثراء ، لذا نستبعد ان تكون دار العلم التى أسسها حوت مكتبة شبيهة أو قريبة الشبه من مكتبة خزانة الحكمة التى أسسها الرشيد أو دار العلم التى انشأها سابور وكلاهما كان ينفق على الدار التى أسسها من أموال الدولة •

ويظهر ان دورا للعلم شبيهة بالدور التى وصفناها قد انشأها أفراد من أهل السنة • ذكر ياقوت ان لجعفر بن محمد الموصلى الشافعي « ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وقفا على كل طالب للعلم ، لا يمنع احدا من دخولها اذا جاءها غريب يطلب الأدب ، وان كان معسرا اعطاه ورقا وورقا • تفتح في كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ، ويجتمع اليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته مثل « الباهر » وغيره من مصنفاته الحسان،

---

(١٧٢) ميتز ، ادم ، الحضارة الاسلامية ، ج١ ، ص ٤٥٠ •

(١٧٣) قال ابن النديم (الفهرست ، ص ٣٩٦) كان ابو سهل الفضل بن نوبخت « فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد » •

(١٧٤) الشريف الرضي (بيروت ، ١٩٤٨) ص ٦ •

(١٧٥) يقدر ابن الاثير (الكامل ، ١٠-٥) عدد كتب خزانة سابور بـ ٤٠٠ ، ١٠ مجلد •

ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة ، وشيئا من النوادر المؤلفة وطرفا من الفقه وما يتعلق به »[(١٧٦)] •

ولما كانت وفاة جعفر الموصلي سنة ٣٢٣ هـ تكون دار العلم التي انشأها أقدم تاريخا من داري العلم اللتين أسسهما الشيعة الامامية وهما دار علم سابور ودار علم الشريف الرضي •

وبعد ان عرضت نماذج من دور العلم عند الامامية استنتج ما يأتي :

اولا — ان الدور المذكورة كانت معاهد علمية ذات صلة بالتعليم مستقلة عن المسجد أسسها أفراد من أهل السنة ومن الشيعة الامامية • وقد اصبحت المؤسسات المذكورة تسهم بعملية التعليم بجانب الامكنة التقليدية امثال المساجد ومنازل العلماء • وكانت المؤسسات الجديدة هذه اصلح للتعليم من المساجد بالنسبة للامامية خاصة • فدور العلم اصلح للتعليم من المساجد العامة لوجود الكتب ووسائل المطالعة الاخرى وربما السكنى والعيش فيها من جهة ، ولان الامامية لم يكونوا ، في الغالب ، احرارا في تعليم قواعد مذهبهم في المساجد المذكورة من جهة اخرى • وحتى بعد توفر الحرية النسبية للامامية في العهد البويهي اصبحت المساجد لا تصلح للتعليم في القرن الرابع للهجرة لان التعليم اصبح معقدا وقد يكون مصحوبا بجدل ومناقشات تكون سببا في تكدير راحة المصلين في المسجد الذي لم ينشأ في الاصل لغرض تعليمي • اما كون المعاهد الجديدة اصلح للتعليم من المنزل فيظهر في ان التعليم في المنزل أمر حادث اقتضته الضرورة كما أسلفناه •

ثانيا — ان ميزات المعهد التعليمي توفرت الى حد ما في معهدين من معاهد هذا العصر عند الامامية ، وهما « دار كتب » ابن سوار كاتب عضد الدولة في البصرة و « دار علم » الشريف الرضي • أما دار ابن سوار فأنها ، كما اسلفنا ، كانت تضم بين القائمين على ادارتها شيخا يقيم دائما فيها ويتولى تعليم علم الكلام من جهة ، وان ابن سوار كان ينفق على المحتاجين من روادها من جهة اخرى • وتمتاز دار علم الشريف الرضي ، فضلا عن كون صاحبها ينفق على الطلبة

---

(١٧٦) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٧ ، ص ١٩٣ •

الملازمين له ، في ان مؤسسها واخاه المرتضى كانا يمارسان تعليم العلوم بنفسيهما ، وفي انهما كانا أكثر اهتماما بامور العلم والتعليم من الحكام الذين أسسوا كثيرا من دور العلم عند الامامية أمثال عضد الدولة والوزير شـــاه مردان وسابور الذين سبقت الاشارة الى دور العلم التي أسسوها • يضاف الى ما سبق ان الغاية التـي استهدفها الشريف الرضي من تأسيس دار العلم كانت تعليمية بحتة بينما لا تخلو الدور الاخرى التي أسسها الحكام المذكورون مـــن غايات ذات صـــلة بأبهة الملك والدعاوة •

وللاستاذ طيباوي رأى في دور الكتب ودور العلم يقول فيه اطلق اســـم خزائن الحكمة أو دور العلم على تلك المؤسسات « وكان القائمون عليها يقدمون أحيانا منحا مالية للعلماء « Scholars » ، ويعدون محـــــلات للعيش والسكنى المجاني للطلبة الذين يأتون اليها من أماكن بعيدة • وكان يشرف على المعاهـــد المذكورة موظفون اجراء ، ويقوم بالتدريس فيها محاضرون بأجرة • وهي مفتحة الابواب لكل من يرغب بأرتيادها من المعنيين بالدرس والمناقشة »(١٧٧) •

٥ ـ المدرســـــة •

لقد دأب كثير ممن بحثوا في نشوء المدارس عند المسلمين على اعتبارها من منشآت القرن الخامس للهجرة • قال المقريزي « والمدارس مما حدث في الاسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين ، وانما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة ، واول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها الامير نصر بن سبكتكين مدرسة »(١٧٨)• أما الاستاذ غنيمة فيرى ان كلمة « مدرسة لم ترد في المصادر التاريخية حتـــى نهاية القرن الرابع تقريبا »(١٧٩) •

---

(١٧٧) Tibawi, Op. Cit, Vol. 28, p. 435.

(١٧٨) الخطط ، ج٤ (القاهرة ، ١٢٧٠) ص ١٩٣ •

(١٧٩) تاريخ الجامعات الاسلامية (تطوان ، ١٩٥٣) ص ٩٩ •

ويرى شلبي ان المدرسة من مستحدثات نظام الملك[١٨٠] . ويقول مرغوليوث ان ربيرا « Ribera » لفت الانظار الى انه لم توجد منظمة عامة للتعليم الى عصر نظام الملك الوزير السلجوقي الذى بنى المدرسة النظامية ، وكان التعليم حتى ذلك الحين متروكا للجهد الخاص[١٨١] .

ولم يكن نظام الملك اول من أسس المدارس بل « كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك ... »[١٨٢] وكان نظام الملك كما يقول السبكي « اول من قدر المعاليم للطلبة ... »[١٨٣] .

ويعد تنظيم المدارس من قبل نظام الملك بداية عصر جديد اشرفت فيه الخلافة على النظام التربوى « بحيث اصبحت التربية منذ ذلك الحين من اعمال الحكومة السنية في حين ان للسلطات الشيعية [يقصد الكاتب الاسماعيلية] اخذت توجه التربية عندما تبنت دار الحكمة أو دار العلم »[١٨٤] .

ويؤيد ترتون الرأى القائل بأن الخلافة السنية تبنت انشاء المدارس لغرض مقاومة الدعاوة الشيعية وخاصة دعاوة الاسماعيلية حين يقول « يرى البعض ان المدرسة أسست لمقاومة دعاوة الاسماعيلية التى كانت على درجة كبيرة من التنظيم »[١٨٥] .

ولمعرفة تاريخ ظهور أول مدرسة اقول : يظهر ان المدارس كانت موجودة فى النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة وعلى هذا فهى من مستحدثات القرن الرابع لا الخامس كما يرى شلبي فى رأيه السابق . قال المقدسي المتوفى فى حدود ٣٧٨ هـ فى معرض كلامه على تجواله فى العالم الاسلامي « واممت فى

---

(١٨٠) تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٩٩ .
(١٨١) دراسات عن المؤرخين العرب - ترجمة حسين نصار (القاهرة ، لا . ت) ص ٢٨ .
(١٨٢) ولد سنة ٤٠٨ هـ .
(١٨٣) طبقات الشافعية ، ج٣ ، ص ١٣٧ .
(١٨٤) Tibawi, Op. Cit, Vol. 28, 1954, p. 435.
(١٨٥) Tritton, A.S, " Muslim Education in the Middle Ages" Muslim World, Vol. 43, 1953, p. 90.

المساجد ، وذكرت في الجوامع ، واختلفت الى المدارس ... »[186] . ويقول ايضا « ايرانشهر هو مصر الجانب وقصبة نيسابور ... بلد الاجلة والراسخين من الائمة ... اسواق فسيحة ومجالس البقة ومدارس رشيقة ... الغالب على عوامها غير الفريقين ، الشيعة والكرامية اصحاب شقين ، والفقهاء معهم في بلاء وشين ... »[187] . ويقول المقدسي ايضا « الري بلد جليل ... وبه مجالس ومدارس ... »[188] . ويقول السبكي ان محمد بن عبدالله بن خمشاد (٣١٦ — ٣٨٨ هـ) « كان الى ان خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته ... »[189] . ثم ان السبكي نفسه يقول ان المدرسة البيهقية[190] بنيسابور أسست قبل ان يولد نظام الملك اى قبل سنة ٤٠٨ كما أسلفنا . وميتز هو الاخر يؤيد ان المدرسة كانت من منشآت القرن الرابع حين يقول في معرض كلامه على المدارس « ان القرن الرابع الهجرى هو الذى اظهر هذه المعاهد الجديدة التي بقيت الى أيامنا »[191] .

ويبدو مما سبق ان اعتقاد مرغوليوث وشلبي بان نظام الملك هو الذى أسس المدارس أمر ينقصه الدليل . ونظام الملك كما يعتقد السبكي ليس اول من انشأ المدارس بل « اول من قدر المعاليم للطلبة ... »[192] . واذا كان المقصود بالمعاليم هو ارزاق الطلبة فليس نظام الملك اول من قدرها بل سبقه الى ذلك الشريفان الرضي والمرتضى . وربما سبق الجميع في ذلك ابن سوار الذى سبقت الاشارة اليه . فالشريف الرضي كان يجرى على طلبته بدار العلم التي انشأها ارزاقا كما اسلفنا . أما المرتضى فكان « يعطي للشيخ ابي جعفر الطوسي

(١٨٦) احسن التقاسيم ، ص ٤٤ .
(١٨٧) ايضا ، ص ٣١٤ — ١٦ .
(١٨٨) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .
(١٨٩) طبقات الشافعية ، ٢ — ١٦٧ .
(١٩٠) ايضا ، ٣ — ١٣٧ .
(١٩١) الحضارة الاسلامية ، ج١ ، ص ٢٩٩ .
(١٩٢) الطبقات ، ج٣ ، ص ١٣٧ .

أيام قرائته عليه كل شهر اثني عشر دينارا ، وللقاضي ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير ... »[١٩٣] .

أما فيما يتعلق بمكان اول مدرسة ، فأقول ان المدرسة مؤسسة تطورت عن دور الكتب ودور العلم وربما تطورت عن المساجد ولذا يصعب تحديد تاريخ ومكان معينين لنشوء اول مدرسة . ثم ان مشاهدة المقدسي في تجواله لعدد من المدارس في مدينة « ايرانشهر » ومدينة « الري » فضلا عن تصريحه في انه اختلف الى المدارس اثناء تجواله كما اسلفنا يدل على ان المؤسسة المذكورة لم تقتصر على قطر دون اخر أو بلدة دون اخرى . ويظهر ان رغبة المقريزي في ان يجعل اول « من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور » هي تقليد لما تعارف عليه جماعة من المؤرخين المسلمين وهو رغبتهم في ذكر اول فرد أو جماعة قاموا بعمل ما في الاسلام كأول شهيد وأول شهيدة في الاسلام وأول من صلى[١٩٤] الخ ...

وبعد ما قررته عن زمان نشأة المدارس عند المسلمين سأحاول فيما يلي ان ابحث عن وجودها عند الشيعة قبل وفاة الشيخ الطوسي . لم تسعفني المصادر التي اطلعت عليها بأدلة قطعية على وجود مدرسة عند الامامية قبل وفاة الشيخ الطوسي سنة ٤٦٠ هـ . وسأورد هنا ما عثرت عليه في هذا الصدد . سبق ان اشرت الى ان المقدسي شاهد بمدينة « ايرانشهر » مجموعة من المدارس ، وان جماعة من أهلها كانوا من الشيعة فمن المحتمل ان بعض تلك المدارس يعود لاولئك الشيعة في تلك المنطقة . وكتب بديع الزمان الهمذاني الامامي (ت - ٣٩٨ هـ) رسالة الى ابن اخته قال فيها - « انت ولدي مادمت والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك ، فان قصرت ولا اخالك فغيري خالك والسلام »[١٩٥] . قال ابن خلكان في معرض ترجمته للشريف المرتضى - «كان هذا الشريف امام ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق،

---

(١٩٣) البحراني ، يوسف ، لؤلؤتي البحرين (بمباى ، لا ت) ص٢٤٢-٠٣ .
(١٩٤) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص ٥٥ .
(١٩٥) الرسائل ، ص ٢٣١ .

اليه نزع علماؤها ، وعنه اخذ عظماؤها ، صاحب مدارسها وجامع شاردها وانسها ، ممن سارت اخباره ...»[196] . قال ابن شهراشوب ـ «املا الشيخ ابو الفتوح في مدرسة الناجية ان الحسين بن علي (ع) ...»[197] . ولم تعرف سنة وفاة ابي الفتوح هذا ولكنه كان يروي[198] عن ابي علي الحسن الطوسي نجل شيخ الطائفة الطوسي وتلميذه . وذكر الاميني ان محمد الروياني الطبري (٤١٥ ـ ٥٠١ هـ) انشأ مدرسة بآمل بطبرستان[199] .

ويمكن ان نستنتج بعدما سبق ، ما يأتي :ـ

اولا ـ ان طائفة من النصوص التي اوردتها يكتنفها الغموض ولا يمكن اتخاذها دليلا قاطعا على وجود المدرسة عند الامامية قبل وفاة الطوسي ، بمعناها الاصطلاحي المعروف . فالنص الذي اورده الهمذاني ، وان تضمن كلمة مدرسة، ولكن الكلمة المذكورة يمكن ان تنصرف الى ان المقصود بها المعهد الدراسي بصورة عامة لا المدرسة ذات المعنى المعروف .

أما نص ابن خلكان فهو الآخر يتصف بالغموض والتعميم وربما كانت كلمة « مدارس » الواردة فيه محرفة عن كلمة المدراس[200] وهو الموضع الذي

---

(196) وفيات الاعيان ، ج٣ (القاهرة ، ١٩٤٨) ص ٣ .
(197) ابن شهراشوب ، مناقب آل ابي طالب . ج٢ ، ص ١٧٥ .
(198) القمي ، عباس الكنى والالقاب ، ج١ ، ص ١٣٣ .
(199) الاميني ، عبدالحسين ، شهداء الفضيلة (النجف، ١٩٣٦)ص٣٦ .
(200) قال الفيروز آبادي تحت مادة « درس » (القاموس المحيط ، ٢ـ٢١٥) والمدراس موضع يدرس فيه القرآن ، ومنه مدراس اليهود . اما ابن منظور تحت مادة « درس » ، (لسان العرب ، ٦ـ٨٠) فيجعل المدراس والمدرس ، الموضع الذي يدرس فيه . ومن الملاحظ ان الفيروز آبادي وابن منظور اغفلا مما ذكر كلمة مدرسة بمعناها الاصطلاحي المعروف . وممن اشار الى المدرسة البستاني ، مادة « درس » (محيط المحيط ، ١ ـ ٦٤٢) حيث يقول المدراس الموضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود ، وقد حول أهل الاسلام المدراس الى مدرسة . والمدرسة الموضع يدرس فيه القرآن وغيره وتتعلم فيه الطلبة ، سميت به لكثرة الدروس فيها وجمعها مدارس .

يدرس فيه القرآن وغيره • وحتى بعد صرف كلمة « المدارس » الواردة في النص الى المدارس المعروفة ، لا ينتفي عنها الغموض لانه بأية صفة يوصف المرتضى بأنه صاحب المواضع التي يدرس فيها القرآن وغيره في العراق كله • وكان العراق ، كما هو معروف ، في عهد المرتضى مركز الخلافة السنية ومن مراكز أهل السنة والجماعة المهمة فكيف تنسب مواضع التعليم فيه الى المرتضى الامامي • وان صح وجود عدد كبير من المدارس أو من مواضع التعليم ، حسب تفسيرنا ، فلماذا لم تتحدث عنها المصادر كما تحدثت بتفصيل عن معهد تعليمي واحد يقل أهمية عن المدرسة وهو « دار علم » الشريف الرضي اخي المرتضى الذي سبقت الاشارة اليه عند الحديث عن دور العلم عند الامامية •

أما النصوص الاخرى ، ما عدا نص المقدسي ، فهي وان تشير الى المعنى الاصطلاحي للمدرسة ولكن أمر معاصرتها للشيخ الطوسي لا يعدو الحدس والتخمين ، وهذا ما يجعل اتخاذها بمثابة دليل على وجود المدرسة عند الامامية قبل وفاة الطوسي لا يعدو الترجيح لا القطع •

ثانيا ـ ان نص المقدسي السابق يدل على وجود المدرسة بمعناها الاصطلاحي في مواضع من البلدان الاسلامية قبل وفاة الطوسي • يضاف الى ذلك ان النص المذكور يشير الى وجود طائفة من الشيعة من بين سكان المنطقة التي وجدت بها تلك المدارس ، ولكن الاشارة المذكورة رغم انها اوضح من سابقاتها ، لا يمكن ان تمكن الباحث من الوصول الى نتيجة حول وجود المدرسة عند الامامية قبل وفاة الشيخ الطوسي •

ويمكن ان نعزو ندرة وجود المدارس عند الامامية ، كما يظهر من صمت المصادر عن التحدث عنها ، في الفترة التي تبدأ باحتلال السلاجقة للعراق اي قبيل وفاة الطوسي ، الى الضعف العام الذي حل بحركة التشيع نتيجة للهجمات التي شنها السلاجقة على التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معا • فمن الناحية السياسية اخذ السلاجقة يضيقون على الشيعة كثيرا • ففي سنة ٤٥٦ هـ طلب الوزير عبدالملك من السلطان طغرلبك ان يسمح « في لعن الرافضة على منابر

خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم ... »[٢٠١] ، وذات مرة قرأ الشحنة على أهل الكرخ « مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون ، وحضـــور الجماعة والتدين بمذهب أهل السنة فاجابوا الى الطاعة ... وكتب أهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله (ص) ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ... »[٢٠٢] ، وعندما اخبر السلطان الب ارسلان ان أهل حلب خطبوا له وللخليفة العباسي « فقال اى شيء تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حي عـلى خير العمل ... »[٢٠٣] .

أما مقاومة السلاجقة للتشيع على الصعيد الفكرى فتظهر فى تأيدهم وتبنيهم لسياسة وزيرهم القدير نظام الملك حول انشاء المدارس النظاميـــة فى المـــدن الاسلامية الكبرى واتخاذها وسيلة لمقاومة التشيع على الصـــعيد الفكرى ، وذات مرة قال نظام الملك مخاطبا الب ارسلان « جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ، ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك[٢٠٤] .

ويقول الغزالي فى معرض كلامه عن الرد على التعليمية اى الذين يأخذون تعليمهم من الامام المعصوم ـ « ثم اتفق ان ورد علي امر جازم من حضرة الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعني مدافعته ، وصـــار ذلك مستحثا من خارج ، ضميمة للباعث الاصلي من الباطن »[٢٠٥] .

---

(٢٠١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٢ .
(٢٠٢) ابن الاثير ، ج١٠ ، ص ٦٤ .
(٢٠٣) ايضا ، ج١٠ ، ص ٢٤ .
(٢٠٤) ابن الاثير ، ج ١٠ ـ ١٣ .
(٢٠٥) المنقذ من الضلال (القاهرة ، ١٩٥٢) ص ٧٩ .

الفصل الثـالث

المعلمـــون

توطئـــة ـ

يعد المعلم في جميع مراحل الدراسة من العوامل المهمة في عملية التعليم ، وما العملية المذكورة في الواقع الا نتيجة اتصال المعلم بالتلميذ . وقد اظهر النبي (ص) أحترامه للمعلم فقال « انما بعثت معلما »[1] . وقال (ص) ايضا « بجلوا المشايخ فأن من اجلال الله تبجيل المشايخ »[2] . كما اظهر النبي (ص) أحترامه للتعليم ، فروى مالك بن الحويرث ان النبي (ص) قال له ولصحبه « ارجعوا الى أهليكم فعلموهم »[3] وعندما كان الامام علي بن الحسين (ع) يحث احد اصحابه على التعليم قال له « فأن احسنت في تعليم الناس ولم تتجبر عليهم زادك الله من فضله ، وان انت منعت علمك واخرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عز وجل ان يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك »[4] . وذات مرة كان الامام جعفر الصادق (ع) يحث اصحابه على التعليم ويضرب لهم الأمثال الغابرة فقال لهم ان الحواريين قالوا « لعيسى بن مريم يا معلم الخير علمنا »[5]. ذكر الصدوق ان رسول الله (ص) قال « المؤمن اذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار ، واعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة اوسع من الدنيا سبع مرات ، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم الا ناداه ربه عز وجل جلست الى حبيبي وعزتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه ولا ابالي »[6] .

---

(١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج١ (القاهرة ، ١٣١١) ص ١٠ .
(٢) الطوسي ، الامالي ، ص ١٩٦ .
(٣) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج١ (القاهرة، ١٩٥٩)ص١٣٣
(٤) الطبرسي، رضي الدين، مكارم الاخلاق (القاهرة ، ١٣١١)ص١٤٣ .
(٥) القمي ، محمد بن علي ، الخصال ، ج١ ، ص ١٧ .
(٦) الامالي ، ص ٣٧ .

ولم يكن احترام التعليم والمعلمين مقتصرا على خاصة الامامية ، بل يظهر ان نظرة الخاصة من السنة للتعليم والمعلمين كانت تنطوي على الاحترام والتقدير ايضا • فيقول الزرنوجي ، وهو من أهل السنة ، ان « من توقير المعلم الا يمشي أمامه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدأ بالكلام عنده الا بأذنه ، ولا يكثر الكلام عنده الا بأذنه ، ولا يسأل شيئا عند ملالته ••• ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج »(٧) •

ويظهر مما سبق ان مهنة التعليم كانت محترمة عند خاصة المسلمين • ولا تمثل الاشارات التي يستدل منها على احتقار المعلم الا وجهة نظر جماعة من العامة حول طائفة من معلمي الكتاتيب • وسنضرب امثلة على ذلك عند الكلام عن حالة المعلم الاجتماعية •

اصناف المعلمين :

اولا ـ معلمو الكتاتيب •

اسند تعليم الصبيان في الكتاب الى المعلم • وذات مرة قال احد زملاء زرارة ابن اعين « ما كنا حول زرارة الا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم »(٨) • وعندما اراد جابر الانصاري ان يزور الكتاب الذى كان يتعلم فيه محمد ابن الامام زين العابدين ذهب في طلبه « فقال للمعلم اين محمد ؟ »(٩) • ورأى خلف الاحمر الكميت بن زيد يعلم الصبيان في مسجد الكوفة(١٠) • وكان كل من محمد بن بلال ومحمد بن الفتح معلما(١١) • وذات مرة قال حسان المعلم « سألت أبا عبدالله عليه السلام عن التعليم فقال لاتأخذ على التعليم اجرا ، قلت الشعر والرسائل وما اشبه ذلك اشارط عليه ، قال نعم ، بعد ان يكون الصبيان عندك سواء في التعليم لا يفضل بعضهم على بعض »(١٢) • وحكى عن الربيع بن

---

(٧) تعليم المتعلم (القاهرة ، ١٩٣٥ م) ص ١٦ •
(٨) الكشي ، الرجال ، ص ٨٨ •
(٩) الكليني ، الكافي ، ص ١٩١ •
(١٠) الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغاني ، ج١٥ ، ص ٢٦٠ •
(١١) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٩٨ •
(١٢) الكليني ، فروع الكافي ، ص ٣٦٢ •

خيثم انه مر على صبيان في المكتب يبكون فقال « ما بالكم يا معشر الصبيان قالوا ان هذا يوم الخميس يوم عرض الكتاب على المعلم فنخشى ان يضربنا »[١٣] .

وقد يسمى من يعلم الصبيان ، وخاصة صبيان الخاصة ، المؤدب . وكان لاولاد جعفر الصادق(ع) مؤدب[١٤] . وذات مرة شاهد أحدهم عليا ابن الامام محمد الجواد(ع) وعمره سبع سنين أو أقل جالسا في الكتاب « وكان مؤدبه رجل كرخي من أهل بغداد يكنى ابا زكريا ...»[١٥] . وكان ابو داود سهل بن محمد مؤدب سيف الدولة الحمداني[١٦] . وكان كل من محمد بن عبدالمؤمن القمي ومحمد بن جعفر النحوي وموسى بن محمد الاشعري[١٧] وابراهيم بن مجاهد مؤدبا [١٨] .

ومن الجدير بالذكر انه ليس من الضروري ان يسمى من يعلم ولد الخاصة مؤدبا . قال ابن شهراشوب ان عبدالرحمن السلمي « علم ولد الحسين(ع) الحمد فلما قرأها على ابيه اعطاه ألف دينار وألف حلة وحشا فاه ، درا ، فقيل له في ذلك قال ـ واين يقع هذا من عطائه يعني تعليمه »[١٩] .

ومن الجدير بالذكر ان الرواية الخاصة بهدية الحسين(ع) لمعلم ولده لاتخلو من المبالغة . ومع ذلك فأنها تصلح لبيان وجهة نظر منَ رواها عن اهمية دور المعلم ، وضرورة العناية به .

وكان الزجاج محمد بن الليث معلم ناصر الدولة الحمداني [٢٠] .

ويظهر ان المؤدب كان يقوم بتعليم صبيان الخاصة عند السنة ايضا . وكان

---

(١٣) البهائي ، المخلاة ، ص ١٥٤ .
(١٤) النعماني ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(١٥) المسعودي ، الوصية ، ص ١٩١ .
(١٦) الخونساري ، روضات الجنات ، ص ٣٢٥ .
(١٧) الحلي ، الرجال ، ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .
(١٨) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٣٩ .
(١٩) مناقب آل ابي طالب ، ج٣ ، ص ٢٢٢ .
(٢٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٢٧ .

الكسائي مؤدب الامين والمأمون[٢١] . وكان عبيدالله بن محمد بن عبيد المعروف بأبن ابي الدنيا « يؤدب المكتفي »[٢٢] . وقال عبدالملك بن صالح لعبدالرحمن بن وهب مؤدب ولده ــ « يا عبدالرحمن لاتعني على قبيح ولا تردّن علي في محفل... واعلم انني قد جعلتك جليسا مقربا بعد ان كنت معلما مباعدا »[٢٣] . وقال التنوخي ان اليزيدي الاكبر كان « مؤدب المأمون »[٢٤] .

ونستنتج مما سبق انه لم يكن هناك فصل تام بين عمل المعلم وعمل المؤدب. فمعلم محمد ابن الامام زين العابدين ومؤدب علي ابن الامام الجواد(ع) كلاهما كان يعلم الصبيان بالكتاب . يضاف الى ذلك ان الجاحظ عندما يورد امثلة من معلمي اولاد الملوك مرة يسميهم معلمين ومرة يسميهم المؤدبين امثال ابن سعيد المؤدب[٢٥] . والجاحظ في مكان آخر ، يسمي ابن سعيد نفسه بالمعلم[٢٦]. وينطبق ماسبق على عبدالصمد بن عبد الاعلى اذ دعاه الجاحظ مرة مؤدبا[٢٧] ومرة معلما[٢٨] وكان احمد بن الطيب معلما للمعتضد[٢٩] .

فالمعلم عندما ينتدب لتعليم اولاد الخاصة يسمى غالبا بالمؤدب ، ولذلك تبقى كلمة معلم اكثر شيوعا من غيرها كاسم اصطلاحي لمعلمي التعليم الاولى . واحسب ان الفرق الرئيسي بين المعلم والمؤدب هو ان المعلم رجل ممتهن للتعليم في الكتاتيب، وان المؤدب قد يشترك معه احيانا في تعليم الصبيان في الكتاتيب ، ولكن المؤدب في الغالب هو المعلم الخصوصي لابناء الخاصة وينتدب لهذه المهمة انتدابا وان لم تكن من مقتضيات مهنته . فالشيخ المفيد كان منصرفا الى البحث في علم الكلام والفرق

---

(٢١) ايضا ، ص ٩٧ .
(٢٢) ايضا ، ص ٢٦٢ .
(٢٣) الصابي ، هلال بن المحسن ، رسوم دار الخلافة (بغداد ، ١٩٦٤) ص ٤٧ .
(٢٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص ١١٦ .
(٢٥) البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٥١ .
(٢٦) البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٢٢١ .
(٢٧) ايضا ، ج٢ ، ص ٧٣ .
(٢٨) ايضا ، ج١ ، ص ٢٥٣ .
(٢٩) ابن النديم ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

وغير ذلك عندما كلفته والدة محمد وعلي ، المعروفين بالشريفين الرضي والمرتضى فيما بعد ، بتعليم ولديها (٣٠) ، وكان الكسائي منصرفا الى البحث في الادب والنحو ولكنه انتدب لتعليم الأمين والمأمون ، ويؤيد الاستاذ خليل طوطح وجهة النظر القائلة بان المؤدب معلم خصوصي يذهب الى بيوت الخاصة لتعليم اولادهم (٣١) ويقول كولدزيهر ان المؤدب كان ذا مكانة مرموقة في البلاط الاموى ، وكان آباء الامراء يتقبلون جميع العقبات التي قد ينجم عنها عرقلة اعماله (٣٢) .

وسنرى عند الكلام عن معلمي العلوم ان المؤدب قد يقوم بتعليم العلوم للخاصة أو لغيرهم كما هي الحال في تعليم محمد بن جعفر المؤدب للشيخ المفيد (٣٣) .

ويقول ابن داود الحلي ان محمد بن جعفر بن احمد بن بطة المؤدب كان « كبير المنزلة بقم كثير الادب والفضل والعلم » (٣٤) ، كما كان « محمد بن جعفر بن عبدالله النحوي ابو بكر المؤدب عالما بالعربية والحديث » (٣٥) ، ويظهر من الأمثلة الاخيرة ان المشار اليهم اعلاه ، رغم كونهم من علماء عصرهم كانوا قد امتهنوا تأديب الاولاد ، كما يظهر من تلقيب كل منهم بالمؤدب ثم امتهنوا تعليم العلوم في الوقت نفسه نظرا لاختصاصهم في تلك العلوم .

وقبل الانتهاء من الكلام عن معلمي التعليم الاولى أود ان اضيف بعض الاخبار عن المعلمين والكتاب رغم انها اخبار متفرقة ، ولا تمثل اتجاها عاما ، كما انها ليست خاصة بالامامية ولم اعثر الا على مثال واحد لكل منهما ، ومن الاخبار المذكورة .

اولا ـ يبدو ان المعلم كان يسمي المكتب احيانا ، روى الشيخ الطوسي ان

---

(٣٠) البحراني ، يوسف ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

(٣١) التربية عند العرب (القدس ، لا . ت) ص ٤٨ .

(٣٢) Goldziher, Op. Cit, V, P. 199.

(٣٣) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٤ .

(٣٤) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص ٣٠١ .

(٣٥) ايضا ، ص ٣٠٣ .

بشر بن عمار الخشعمي الكوفي المكتب كان من بين رواة الحديث [٣٦] . والمكتب في اللغة هو المعلم على رواية ابن منظور [٣٧] .

ثانيا ـ وردت اشارة الى ان المعلمين كانوا يستخدمون رجلا يتعهد الصبيان في غدوهم ورواحهم . وقد اوصى ابن الاخوة المعلمين بأن « يكون السائق لهم أمينا ثقة متأهلا ، فانه يتسلم الصبيان بالغدو والرواح »[٣٨] .

ثالثا ـ ينصح البهائي ذوى الهمم بأن لا يتعلموا على يد امـرأة ، فيقـول « وينبغي للعالى الهمة ان لايكون معلمه مؤنثا »[٣٩] .

رابعا ـ يبدو ان طائفة من المعلمين كان يستخدمهم السلطان لاغـراض التجسس أحيانا . قال ابو شـجاع « وكان معلمو الصبيان موافقين على ان يسألوا اولاد الجند الذين في مكاتبهم عن امور آبائهم ومتصرفات احوالهم في منازلهـم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دار »[٤٠] .

درجة تحصيل المعلمين :

لم يرد في المصادر التي اطلعنا عليها مايدل على أن المعلمين في الفترة موضوع البحث كانوا يعدون اعدادا مهنيا كما هي الحال اليوم . أما فيما يتعلق بدرجة تحصيلهم فسنورد الاشارات التي عثرنا عليها في هذا الصدد . حدث مـرة ان طلب الخليفة الواثق من ابي بكر المازني النحوى ، وهو من الامامية ، ان يمتحن طائفة من المعلمين تقدموا للعمل عنـد السلطان . قال الواثق للمازني « ان معهنا قوما يختلفون الى اولادنا فامتحنهم ، فمن كان عالما ينتفع به الزمناه اياهم ، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناهم عنه » . قال المازني « فامتحنتهم فما وجدت فيهـم طائلا ، وحذروا ناحيتي . فقلت لا بأس على احد منكم ، فلما رجعت اليه قال .

---

(٣٦) الرجال ، ص ١٥٥ .

(٣٧) لسان العرب ، مادة « كتب » ١٠ـ٦١١ .

(٣٨) معالم القربة (كمبرج ، ١٩٣٧) ص١٧١ .

(٣٩) الكشكول ، ج٣ (القاهرة ، ١٣٠٢) ص ٣١٨ .

(٤٠) ابو شجاع ، محمد بن الحسين ، ذيل تجارب الامم (القاهـرة ، ١٩١٦) ص ٥٩ .

كيف رأيتهم ؟ فقلت يفضل بعضهم بعضا في علوم ، ويفضل الباقون في غيرها . وكل يحتاج اليه . فقال الواثق . اني خاطبت منهم رجلا فكان في نهاية الجهل في خطابه ونظره . فقلت . يا أمير المؤمنين أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة ، وقد انشدت فيهم .

ان المعلم لا يزال مضعفا ولو ابتني فوق السماء سماء
من علم الصبيان اضنوا عقله مما يلاقي بكرة وعشاء [٤١]

ولا يمكن ان نستنتج من النص السابق وجود قاعدة عامة تقضي بامتحان المعلمين قبل توليهم مهمة تعليم الصبيان ، لان عدم تكرار امثال النص المذكور يدل على ان امتحان المعلمين لم يكن قاعدة عامة . ويظهر ان المعلمين كانوا يتلقون معلوماتهم ، التي يعتقدون انها ضرورية لممارستهم التعليم الاولى لا عن طريق الاعداد المهني بل عن طريق الاتصال الشخصي بالشيوخ .

أما درجة تحصيل المعلمين فيبدو ان بعضهم كانوا ذوي ثقافة واسعة . وعد الطوسي كلا من محمد بن بلال المعلم ومحمد بن الفتح المعلم من رواة الحديث[٤٢] . وكان بشر بن عمار الخثعمي الكوفي المكتب [٤٣] ممن رووا الحديث عن الامام الصادق(ع) [٤٤] . وقال احدهم « رأيت الطرماح مؤدبا بالرأي ... ولقد رأيت الصبيان يخرجون من عنده وكأنهم جالسوا العلماء[٤٥] . وكان ابو سعيد المعلم لا يلحن البتة » [٤٦] .

ولا شك ان طائفة من المعلمين كانوا قليلي الثقافة كما يبدو من خبر المازني السابق . ولعل الجاحظ حين عد طائفة من معلمي الكتاتيب من حاشية القوم

---

(٤١) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٧ ، ص ١١٥ـ٦ .
(٤٢) الرجال ، ص ٤٩٨ .
(٤٣) المكتب هو المعلم (ابن منظور ـ لسان العرب ، مادة « كتب » ١ ـ ٦١١) .
(٤٤) الطوسي ، الرجال ، ص ١٥٥ .
(٤٥) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ٢١٢ .
(٤٦) ايضا ، ج٢ ، ص ١٧٥ .

وشغلتهم قصد ان هؤلاء لم يكونوا ذوى ثقافة عالية (٤٧) .

اما المؤدبون ، وهم المعلمون الخصوصيون لاولاد الخاصة ، فكانت اغلبيتهم العظمى من قادة الفكر في المجتمع في عصورهم ، فأبو الاسود الدؤلى كان يعلم اولاد زياد بن ابيه . وكان الشيخ المفيد يؤدب محمدا وعليا اللذين عرفا فيما بعد بالشريفين الرضى والمرتضى . وكان السيرافي النحوى المعروف يؤدب الشريف الرضي كما بينا سابقا . وكان قطرب يؤدب اولاد ابي دلف(٤٨) .

وكان مؤدبو اولاد الخاصة من السنة من مشاهير علماء عصرهم . فالكسائي كان مؤدب الامين والمأمون وعبدالله بن محمد المعروف بأبن أبي الدنيا كان يؤدب المكتفي (٤٩) .

حالة معلمي التعليم الاولي الاجتماعية والمالية .

آ ـ الحالة الاجتماعية .

يبدو ان غالبية المجتمع الاسلامي ، بما فيهم الامامية ، كانوا ينظرون للغالبية العظمى من طبقة معلمي الصبيان نظرة لا تتسم بالتقدير والاجلال فأبو العيناء ، وهو من خاصة الامامية ، يقول في ابراهيم بن سعدان النحوى مؤدب المكتفي على أثر خلاف حصل بينهما بحضرة المتوكل « ومن ابن سعدان ؟ والله مايفرق ذلك بين الامام والمأموم ، والتابع والمتبوع ، انما ذاك حامل درة ومعلم صبية ، وآخذ على كتاب الله اجرة ...»(٥٠) . وكان الجاحظ يروى ان العامة تقول « احمق من معلم كتاب »(٥١) . كما روى قصة تفصح عن رأيه في بعض معلمي الكتاتيب. قال الجاحظ « عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي واجلسني معه ففاتحته في القرآن فاذا هو ماهر ، ففاتحته في شيء من من النحو فوجدته ماهرا ثم اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع مايراد

---

(٤٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص ١٧٤ـ٥ .

(٤٨) اليافعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣١ .

(٤٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٢ .

(٥٠) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٥١) البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٢٤٨ـ٥٠ .

منه فقلت قد وجب تقطيع دفتر المعلمين • فكنت كل قليل اتفقده وازوره ثال فأتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت • فقلت اروح اعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية وقالت ماتريد • قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده في العزاء (فطلب الاذن ودخل وسأل المعلم عن المتوفي) قال حبيبتي • فقلت في نفسي هذا أول المناجس • وقلت له سبحان الله تجد غيرها ••• فقال وكأني بك وقد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منجسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت جالسا واذا رجل عابر يغني وهو يقول :

يا أم عمرو جـزاك الله مكرمة ردي علّي فؤادى اينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هـذه مافي الدنيا مثلها ماكان الشـعراء يتغزلون فيها • فلما كان بعد يومين عبر علي ذلك الرجل وهو يغني ويقول :

اذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا عادت ولا عاد الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وقعدت في العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو »(٥٢) •

ويبدو من الحكاية السابقة ان سعة اطلاع معـلم الكتاب المذكور جعلت الجاحظ يعزم على تمزيق « دفتر المعلمين » اى المذكرات التي قرر فيها انهـم من صنف الحمقى ، ولكن حكاية « ام عمرو » غيرت رأيه وقوت عزيمته على الاستمرار بالكتابة عنهم •

واعتقد ان الحكاية السـابقة لا تمثل نظـرة الجاحظ عن صنف المعلمين بأكمله ، ومن الادلة على ذلك ـ اولا ـ ان الجاحظ نسب القول بحماقة معـلم الكتاب الى العامة ولم ينسبه للخاصة ، حين قال ـ « من امثال العامة احمق من معلم كتاب »(٥٣) • ثانيا ـ قال الجاحظ يقال « فلان احمق ••• وهذا المأخـذ يجرى في الصفات كلها من جود ، وبخل ••• وما زلت اسمع هذا القول في

(٥٢) الحموى ، ابن حجة ، الاوراق ، ص ١٨٠ •
(٥٣) البيان والتبيين ، ج١ ، ص ١٧٣ •

المعلمين • والمعلمون عندي على ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد العامة الى تعليم اولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا من تعليم اولاد الخاصة الى تعليم اولاد الملوك ••• فكيف تستطيع ان تزعم ان مثل علي بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذى يقال له قطرب واشباه هؤلاء حمقى ؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم • فان ذهبوا الى معلمى كتاتيب القرى فأن لكل قوم حاشية وسفله ، فما هم في ذلك الا كغيرهم • وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل كميت بن زيد ، وعبدالحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ، وعطاء بن ابي رباح ، ومثل عبدالكريم بن ابي امية ، وحسين المعلم ، وابي سعيد المعلم ••• »(٥٤) •

ويظهر مما سبق ان الجاحظ صنف المعلمين تبعا لمراكز آباء الصبيةالاجتماعي وتبعا لدرجة تحصيل اولئك المعلمين • ويقول طيباوى في هذا الصدد « وكان تصنيف الجاحظ للمعلمين مبنيا اما على مركز آباء الصبيان الاجتماعي أو على درجة تحصيل المعلمين • ويضع الجاحظ معلمي كتاتيب القرى في اسفل السلم تبعا للتصنيف الذى يقوم على درجة تحصيل المعلمين ويلي هؤلاء المعلمون الاعتياديون ثم المؤدبون »(٥٥) •

وبعد ان عرضت آراء الجاحظ عن معلمي الكتاتيب اقول ان الباحث لا يستطيع ان يخرج من تلك الآراء بنتيجة وهي ان نظرة غالبية المسلمين لمعلمي الصبيان في الفترة موضوع البحث ، كانت تنم عن التقدير وذلك للاسباب الآتية :

اولا ـ ان التقدير والاحترام الذى ناله اصحاب الاسماء التي وردت في قائمة الجاحظ لم يكن مبعثه امتهانهم لتعليم الصبيان ، بل ربما كان ناتجا عن اعتبارات اخرى • فعبدالحميد الكاتب ، مثلا ، اشتهر ونال تقدير المجتمع لانه امتهن الكتابة بديوان الخلافة • والكميت بن زيد الاسدى نال تقدير المجتمع ، لا بكونه معلم صبية ، بل لكونه اصبح شاعرا مشهورا • وكان الحجاج ، الذى لم يدخله الجاحظ بقائمته السابقة ، مثل هؤلاء •

---

(٥٤) المصدر ذاته ، ج١ ، ص ١٧٤ـ٥ •

(٥٥) Tibawi, Op. Cit, Vol. 28, 1954, P. 30.

ثانيا – ان التقدير والشهرة التي نالها جماعة من مؤدبي اولاد الخلفاء والأمراء امثال الكسائي وقطرب لم يكن مبعثهما تعليم صبية اولئك الخلفاء والأمراء بل مبعثهما مركز اباء الصبية الاجتماعي وربما درجة تحصيل اولئك المؤدبين ٠ وبالرغم مما سبق يبدو ان الاحتقار الذي يلازم مهنة تعليم الصبية يبقى ملازما لبعض اولئك المؤدبين رغم تاديبهم لاولاد الخلفاء ٠ ومن اشهر الامثلة على ذلك المثال الذي اوردته في بداية هذا البحث عن ابراهيم بن سعدان النحوي وابي العيناء ٠ فابراهيم هذا ، رغم كونه مؤدب المكتفي ، وصفه ابو العيناء بانه معلم صبية ، حامل درة لا يفرق بين الامام والمأموم[٥٦] ٠

ونختم كلامنا عن آراء الجاحظ بالمعلمين برأي الاستاذ الطيباوي الذي يقول فيه « وربما كان الجاحظ ، برفضه الصفات المحطة للمعلمين بجميع اصنافهم ، مدفوعا بعامل الدفاع عن النفس وذلك لانه هو نفسه كان يعد من بين اعضاء الطبقة العليا للمعلمين وذلك بحكم كونه قد ادب اولاد المتوكل »[٥٧] ٠

ونخرج من كل ما سبق بنتيجة وهي ان نظرة غالبية المجتمع الاسلامي ، في الفترة التي تناولها بحثنا لمعلمي الصبيان لم تكن تتسم بالتقدير والاجلال ٠ ويؤيد الاستنتاج السابق قول ابي العلاء المعري الذي ضمنه الابيات التالية على لسان معلم كتاب :

ايا حرفة التزمني الم بك الردى ‏ ‏ امالي خلاص منك والشمل اجمع
لئن قنعت نفسي بتعليم صبية ‏ ‏ يد الدهر انني بالمذلة قانع
وهل يرضين حر بتعليم صبية ‏ ‏ وقد ظن ان الرزق في الارض واسع[٥٨]

وفي رأي ابن خلدون ان المعلم كان محتقرا من اصحاب العصبية والملك ٠ قال ابن خلدون « شمخت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك »[٥٩] ٠

---

(٥٦) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص ١٥٤ ٠
(٥٧) Tibawi, Vol, 28, 1954, 430
(٥٨) رسالة الغفران ، (القاهرة ، ١٩٥٠م) ص ٣٨٥ ٠
(٥٩) المقدمة (القاهرة ، لا ٠ ت) ص ٣٠ ٠

ويؤيد الاستاذ طوطح رأى ابن خلدون سالف الذكر ، ويعزو السبب الرئيس في نشوء النظرة المذكورة الى ان العرب احتقروا المهن التي لاتظهر فيها اعمال الرجولة التي تتجلى في الحروب والغزو وركوب الخيل(٦٠) • واحسب ان رأى طوطح ينقصه الدليل لان الاسلام جعل التعليم والتعلم من اعمال التقوى • وقريش وفيهم كانت الخلافة والرئاسة ، لم تهمل الاشتغال بالتجارة مع انها لم تكن من فنون الحرب ، بعد اسلامها اذ كان يشغل مسلمي قريش الصفق في الاسواق عن سماع الحديث(٦١) •

وحتى أهل العصبية والملك الذين اشار اليهم ابن خلدون قد اظهر بعضهم احتراما للتعليم والمعلمين • قال مالك بن أنس « دخلت على هارون الرشيد فقال لى يا ابا عبدالله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال • فقلت أعز الله مولانا ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل ، والعلم يؤتى ولا يأتي • فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس »(٦٢) • وذات مرة قام الكسائي ليلبس نعليه لحاجة يريدها « فابتدرها المأمون والامين فوضعاها على يديه »(٦٣) •

ان ما قررناه هنا لا ينافي ما قلناه سابقا من ان الغالبية من المسلمين كانت لاتنظر لمهنة التعليم الاولى نظرة تتسم بالتقدير والاجلال • ولكن النظرة المذكورة لاتبيح لابن خلدون لان يعمم ، كما فعل عند عرض رأيه السابق ، فيتناول جميع اصناف المعلمين بما فيهم من تصدوا لتعليم العلوم ، كما لاتبيح له ان يحشر جميع اصحاب العصبية والملك ضمن الفئة التي تحتقر مهنة التعليم وتعزف عنها • وقد يكون الرأى المتضمن احتقار مهنة التعليم الاولى الذى قالت به غالبية المجتمع الاسلامي ، وخاصة بين اوساط العامة منه ، ناتجا عن ربط تقدير تلك الغالبية للمهن بما تدره على اصحابها من ربح وما تكسبه اياهم من جاه •

---

(٦٠) المصدر ذاته ، ص ٣٩ •
(٦١) البخارى ، الصحيح ، كتاب العلم •
(٦٢) الغزالي ، الاحياء ، ج١ ، ص ٣٤ •
(٦٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٩٧ •

وكان المعلم ، سواء كان من معلمي الكتاتيب أو من معلمي العلوم ، محترما في الاوساط المتدينة من المسلمين على اختلاف طوائفهم لان الاوساط المذكورة كانت تعد عمل المعلمين على اختلاف مراحله اسهاما في نشر الرسالة الدينية التي نذرت نفسها لحمايتها وتبليغها للناس . وقال احدهم سمعت الامام الصادق(ع) يقول « ان الله عز وجل على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ولولا ذلك لتغالطوا »[٦٤] . ومن المعلوم ان مبادىء الحساب والخط من أهم المواضيع التي يعلمها المعلمون في الكتاتيب فكيف يحتقرون وهم يعملون على تنفيذ أمر من الامور التي حث عليها الدين . يقول كولدزيهر ان المعلم « يقوم بتعليم العلوم الدينية قربى الى الله . ولم يفكر المعلم عند قيامه بانجاز المهمة المذكورة الا بكسب رضا الله »[٦٥] .

ب ـ حالة معلمي الكتاتيب المالية .

لقد عد المسلمون تعلم العلوم الشرعية وتعليمها بأنه من اعمال العبادة . ونظر كثير من فقهاء السنة والشيعة للتعليم على انه من أوكد فروض الكفايات[٦٦] روى الجرجاني انه مكتوب في التوراة ـ « يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا »[٦٧] . ويقول كولدزيهر « ان المتدينين في الاسلام حبذوا ان يكون التعليم مجانا كما حبذه أهل سائر الديانات »[٦٨] .

وقد اختلف الفقهاء في جواز أخذ الاجرة على تعليم الاحكام الشرعية أو عدمه كما اختلفوا في قصر الحظر على تعليم القرآن دون غيره .

قال حسان المعلم « سألت ابا عبدالله عليه السلام عن التعليم فقال لا تأخذ على التعليم اجرا قلت الشعر والرسائل وما اشبه ذلك اشارط عليه قال نعم ، بعد ان يكون الصبيان عندك سواء في التعليم لا تفضل بعضهم على بعض » . وذات

---

(٦٤) الكليني ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

(٦٥) Goldziher, Op. Cit, V, P. 202.

(٦٦) الغزالي ، الاحياء ، ١ـ١٥ ، والشهيد الثاني، منية المريد، ص٥٩ .

(٦٧) السهمي ، تاريخ جرجان ، ١ـ٣٧ .

(٦٨) Goldziher, Op. Cit, P. 202.

مرة اتى عليا (ع) رجل ، فقال يا أمير المؤمنين والله اني لأحبك لله . فقال له ولكني ابغضك لله . قال ـ ولم ؟ قال ـ لانك تبغي على الاذان وتأخذ على تعليم القرآن اجرا » . وقال احدهم « قلت لابى عبدالله عليه السلام ان هؤلاء يقولون ان كسب المعلم سحت . فقال كذبوا اعداء الله اذا ، ارادوا الا يعلموا القرآن ، ولو ان المعلم اعطاه رجل دية ولده كان للمعلم مباحا »[٦٩] .

يرى الطوسى ان الخبر الاخير لا ينافي الخبرين الأولين « لان الحظر انما توجه الى من لا يعلم القرآن الا بأجرة معلومة وشارط عليها ، والثاني محمول على من يهدى له شيء من غير شرط فيكون ذلك مباحا له كائنا ماكان»[٧٠] . ويدعم الطوسي رأيه المذكور بأحاديث منها ان الصادق (ع) قال « المعلم لا يعلم بالأجر ويقبل الهدية اذا اهدى اليه »[٧١] .

ويبدو من مناقشة الطوسى الاخبار المختلفة حول جواز اخذ الاجرة على تعليم القرآن أو عدمه ، ان اخذ الاجرة على تعليم القرآن كان من الامور المكروهة ولكنه غير محظور . يضاف الى ذلك ان اهداء الحسين (ع) مبالغ من المال لمعلم ابنه الذى علمه سورة الحمد ، كما سبق ان بينا ، يجعل الاهداء لمعلم القرآن سنة مقبولة عند الامامية واسلافهم من الشيعة .

اما الاجرة على تعليم الخط والحساب والرسائل فيظهر انها كانت مباحة . ويدل ذلك جواب الصادق (ع) لحسان المعلم الذى اوردته فيما سبق . يضاف الى ذلك ان اسحاق بن عمار قال للامام زين العابدين ـ « ان لنا جارا يكتب وقد سألني ان اسألك عن عمله فقال ـ مره اذا دفع اليه الغلام ان يقول لاهله اني انما اعلمه الكتاب والحساب واتجر[٧٢] بتعليم القرآن حتى يطيب له كسبه»[٧٣] .

---

(٦٩) الطوسي ، الاستبصار ، ج٣ (النجف ، ١٣٧٦) ص ٦٥ .
(٧٠) ايضا ، ص ٦٥ .
(٧١) ايضا ، ص ٦٦ .
(٧٢) تصدق بطلب الاجر .
(٧٣) الطوسى ، الاستبصار ، ج٣ ، ص٦٦ .

ويظهر من الحديث المذكور ان المعلم يأخذ الاجرة من أهل الصبي لتعليمه اياه الكتاب والحساب ، وينال الجزاء من الله على تعليمه القرآن .

ونستنتج مما سبق ان المعلمين الشيعة ، تدفعهم الاعتبارات العملية ، عندما يمتهنون التعليم ليعتاشوا منه ، استعانوا بسنة الحسين(ع) حين اهدى لمن علم ابنه سورة الحمد ، وباباحة الصادق قبول الهدية على تعليم القرآن على شرط الا تكون تلك الهدية مشروطة . أما الاجرة على تعليم غير القرآن فأن المعلمين كانوا احرارا في اخذها . قال الشيخ الصدوق القمي « ولا بأس بكسب المعلم اذا كان انما يأخذ على تعليم الشعر والرسائل والحقوق واشباهها وان شارط . فأما تعليم القرآن فلا »[(٧٤)] .

ولم اعثر على مايعين المبلغ الذي يستوفيه المعلم عن تعليم الصبي الواحد سوى نص غامض للجاحظ يقول فيه ان المعلم البليغ لايرضى دون الالف درهم حين ينتدب لتعليم الصبيان ، بينما غير البليغ يقبل بستين درهم فقط[(٧٥)] .

ويبدو ان طائفة من المعلمين كانوا يستوفون مواد عينية ، احيانا ، كهدايا أو اجور . فمعلم ابن الحسين الذي سبقت الاشارة اليه قيل انه استلم بالاضافة الى المبالغ النقدية ، كمية من الدرحشى فيها فمه والف حلة . روى المبرد ان الجاحظ قال :

أما رأيت بني بحر وقد حفلوا ... كأنهم خبز بقال وكتاب
هذا طويل وهذا حنبل جحد ... يمشون خلف عمير صاحب الباب

وقيل في الحجاج الذي كان هو واخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا :

اينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر
رغيف لـه فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الازهر

« يقول خبز المعلمين يأتي مختلف لانه من بيوت صبيان مختلفي الاحوال »[(٧٦)] . ويظهر من النصين السابقين ان المعلمين كانوا احيانا يستلمون

---

(٧٤) من لا يحضره الفقيه ، ج٣ (النجف ، ١٣٧٨) ص ٩٩ .
(٧٥) البيان والتبيين ، ١-٤٠٣ .
(٧٦) الكامل ، ص ٣٠٢ .

اجورا عينية من الخبز • وبالرغم من وضوح النصين السابقين لايمكن استنتاج قاعدة عامة منهما لانهما لم يتكررا بالمصادر بكثرة •

لباس معلمي الكتاتيب •

لم نستطيع ان نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها على معلومات كافيـة عن لباس معلمى الكتاتيب • قال الجاحظ « عبرت يوما على معلم كتاب فوجـدته في هيئة حسنة وقماش مليح •••»[(٧٧)] • وقال الطبرسى ان وشيكة قال ـ « رأيت عليا (ع) يتزر فوق سرته ويرفع ازاره الى انصاف ساقيه وبيـده درة يدور في الاسواق يقول • اتقوا الله واوفوا الكيل كأنه معلم صبيان »[(٧٨)] • واحسب ان الازار الذى يرفع الى انصاف الساقين هو خير لباس للمعلم لانه يساعده على القيام بعمله دون مشقة •

ثانيا ـ معلمو العلوم •

توطئـة •

وردت اشارات يستدل منها على ان المؤدب كان يدرس العلوم لطالبيها من الخاصة أو غيرهم • روى النجاشى ان ابا القاسم جعفر بن محمد الموسوى قال : « قرأت على مؤدبي ابي العباس عبيد الله بن احمد بن نهيك » كتـاب الصـلاة الكبير لحريز بن عبدالله السجستاني »[(٧٩)] • وكان محمد بن النعمان المعروف بالمفيد يروى « عن محمد بن جعفر المؤدب »[(٨٠)] • وكان « محمد بن عبدالمؤمن المؤدب » من رواة الحـديث الثقاة في قم[(٨١)] • قال محمد بن نصير « حـدثني محمد بن عيسى عن حفص مؤدب علي بن يقطين •••»[(٨٢)] •

وبالرغم من الاشارات المذكورة لايمكن ان يعد لقب « مؤدب » من بين

---

(٧٧) الحموى ابن حجة ، الاوراق ، ص ١٨٠ •
(٧٨) الطبرسي، الحسن بن فضل، مكارم الاخلاق(طهران،١٣١٦)ص٥٩ •
(٧٩) الرجال ، ص ١١١ •
(٨٠) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٤ •
(٨١) الحلي ، ابن داود ، الرجال ، ص ٣٢٢ •
(٨٢) الكشي ، الرجال ، ص١٣٢ •

الالقاب الاصطلاحية التي يحملها معلمو العلوم • وقد سبق ان بينا ان المؤدب بالدرجة الاولى هو المعلم الخاص لابناء الخاصة ، وهو ليس ممتهنا للتعليم بصفته معلم الكتاب ، بل يكلف بمهمة التعليم تكليفا •

وقد يطلق لقب « استاذ » على معلمي العلوم ، ومن ذلك خطاب للامام علي زين العابدين(ع) وجهه للمتعلمين قال فيه « وحق استاذك في العلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع اليه •••»[(٨٣)] • وقال النجاشي « اخبرنا استاذنا ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ••• »[(٨٤)] • وكان احمد بن اسماعيل بن سمكة القمي « استاذ ابن العميد »[(٨٥)] • قال الحلي ، عند ترجمته لعلي بن الحسين الطاطري ، « وكان فقيها ثقة في حديثه ، من اصحاب الكاظم(ع) ••• وهو استاذ الحسن بن محمد بن سماعة الحضرمي ومنه تعلم »[(٨٦)] •

وكان « الاستاذ » معروفا عند السنة ايضا بمثابة معلم للعلوم • قال محمد ابن احمد الروذباري (ت ٣٢٢هـ) « استاذي في التصوف الجنيد وفي الحديث والفقه ابراهيم الحربي وفي النحو ثعلب »[(٨٧)] •

واحسب انه برغم وجود الاشارات المذكورة ، يظهر ان لقب « الاستاذ » لم يكن من الالقاب التعليمية الشائعة لمعلمي العلوم في الفترة التي هي مدار بحثنا • وان الاشارات التي وردت بشأن تولي الاستاذ مهمة تدريس العلوم نادرة وتغلب عليها الصفة الادبية واللغوية لا الاصطلاحية • وكانت كلمة « الاستاذ » تعني المتقدم في صناعة أو فن • فكانت اجرة الاستاذ من البنائين الذين بنوا بغداد قيراط فضة في كل يوم[(٨٨)] • ويقول الحلي ان المفيد « من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم »[(٨٩)] • ومن الجائز ان الحلي (ت ٧٢٦هـ) اطلق كلمة

---

(٨٣) الطبرسي ، مكارم الاخلاق ، ص ١٤٣ •
(٨٤) الرجال ، ص ١٠٨ •
(٨٥) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٥٥ •
(٨٦) الحلي ، الحسن بن يوسف ، الرجال ، ص ١١١ •
(٨٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٧٣ •
(٨٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص ٢٦٨ •
(٨٩) الرجال ، ص ٧٥ •

« استاذ » على المفيد لانها اصبحت في زمانه ترادف كلمة « الشيخ » التي كانت اللقب الاصطلاحي لمعلم العلوم في الفترة التي تناولها البحث ٠

وبعد هذه المقدمة نقول ان معلمي العلوم الذين تنطبق عليهم صفة تعليم تلك العلوم ، في الفترة موضوع البحث ، عند الامامية واسلافهم هم ـ الامام المعصوم ، والشيخ ، واحيانا المدرس ٠

اولا ـ الامام المعصوم ٠

استهدف الشيعة الامامية ، فيما استهدفوا ، من التعليم والتعلم معرفة القرآن الكريم وسنة الرسول(ص) وتوضيح كل ما يتصل بأصول مذهبهم وفروعه ٠ وقد عد الامامية ائمتهم المصدر الرئيسي الذي يستقون منه تفسير كتاب الله وتأويله، وسنة رسول الله وما يتبع ذلك من استنباط الاحكام الفقهية منها ٠ قال مفضل بن قيس بن رمانة قلت لابي عبدالله(ع) ـ ان اصحابنا يختلفون في شيء « نأتول ـ قولي فيها قول جعفر بن محمد ٠ فقال ـ بهذا نزل جبرائيل ٠٠٠»[90] ٠

وقد وضح ائمة الامامية لمواليهم بأن معرفة الله والتمسك بأوامره ونواهيه ، لاطاعة الامام ، هي اساس الايمان ٠ قال الامام الصادق مرة ـ « يا جابر بلغ شيعتي عني السلام واعلمهم ان لا قرابة بيننا وبين الله عز وجل ، ولا يتقرب اليه الا بالطاعة له يا جابر من اطاع الله واحبنا فهو ولينا ، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا »[91] ٠

وكانت الحال عند الامامية واسلافهم هي انهم يتلقون ، فضلا عن تفسير القرآن وتأويله ، السنة النبوية عن طريق الائمة المعصومين الذين لا يمكن ، حسب عقيدة الامامية ، ان يتطرق الخطأ الى اي قول تثبت روايته عنهم ٠ وسبق ان بينا قبل قليل ان الامام الصادق (ع) اخبر احد شيعته بأن قوله هو المعول عليه لانه هو الذي نزل به جبرائيل ، اي انه مستمد من النبي (ص) الذي تلقى الوحي بدوره من الله عز وجل ٠

---

(٩٠) الكشي ، الرجال ، ص ١٦٢ ٠
(٩١) الطوسي ، الامالي ، ص ١٨٦ ٠

وقد وردت روايات عن الائمة (ع) يستفاد منها انهم كانوا يوصون شيعتهم بعدم قبول كل ما يتلقونه من احاديث دون البحث في مضامينها • ومما يعزز الاتجاه المذكور ان الامامية يعدون العقل من بين الأدلة الشرعية[٩٢] التي يتمكن الفقهاء بواسطتها من معرفة الاحكام الفرعية[٩٣] •

ومن الروايات التي يظهر منها الاتجاه السابق وصية الصادق (ع) لابنه « يا بني اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم ، فأن المعرفة هي الدراية للرواية ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن الى اقصى درجات الايمان ، اني نظرت في كتاب لعلي فوجدت في الكتاب ان قيمة كل امرئ وقدره معرفته ، ان الله يحاسب الناس على قدر ما اتاهم من العقول في دار الدنيا » • وقال الصادق ايضا « حديث تدريه خير من الف حديث ترويه »[٩٤] •

ويظهر انه من الصعب التوفيق بين وجوب الاحاديث الثابتة صحتها عن الائمة على انها بمثابة اقوال النبي (ص) اى منزلة من الله ، وبين محتوى الروايات المشار اليها اعلاه والتي تجعل للعقل والدراية في الحديث دورا كبيرا في قبول أو رفض ما يرد عن الائمة من احاديث وأقوال • ويظهر ان دور العقل هنا ينحصر ، غالبا ، في التأكد من صحة طريقة نقل الحديث بفحص سنده والتأكد من سلامة متنه من التصحيف حسب الطرق المعروفة في نقد الحديث دون ان يتعدى ذلك الى مناقشة محتوياته •

واستمر ائمة الشيعة يعلمون شيعتهم منذ عهد الامام علي أمير المؤمنين حتى غيبة الامام محمد المهدى في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة • وكان الامامان محمد الباقر وابنه الصادق من مشاهير معلميهم كما يعدان من أهم المؤسسين للفقه الجعفرى • ومن الامثلة على نشاط الائمة في حقل التعليم ان

---

(٩٢) الادلة الشرعية لتحصيل الاحكام الفرعية عند الامامية هي : ١ ـ القرآن • ٢ ـ السنة • ٣ ـ الاجماع • ٤ ـ العقل •

(٩٣) المظفر ، المصدر السابق ، ص ٩ •

(٩٤) القمي ، معاني الاخبار (طهران ، ١٣٧٦) ص ١ـ٢ •

جابر بن يزيد الجعفي قال « حدثني أبو جعفر (ع) سبعين الف حديث»[٩٥] . وقال جابر ايضا « قلت لابي جعفر(ع) جعلت فداك انك قد حملتني وقراً عظيما بما حدثتني به ... »[٩٦] . قال نوير بن فاخته « خرجت حاجا فصحبني عمرو ابن ذر القاضي وابن قيس الماصر والصلت بن بهرام وكانوا اذا نزلوا قالوا – انظر الان فقد حررنا اربعة الاف مسألة نسأل ابا جعفر (ع) منها عن ثلاثين كل يوم وقد قلدناك ذلك ... »[٩٧] . ويورد الشيخ الطوسي عددا من تلامذة الباقر والصادق (ع) ومن بين هؤلاء « اسماعيل بن زياد البزاز الكوفي الاسدى . روى عنه [اى الباقر] وعن ابي عبدالله(ع) » . « والحسن بن شهاب بن يزيد البارقي الكوفي . روى عنه (ع) وعن ابي عبدالله (ع) » . و « زهير المدائني روى عنه (ع) وعن ابي عبدالله (ع) » . « والحكم بن المختار بن ابي عبيدة ... روى عنه وعن ابي عبدالله »[٩٨] .

ويبدو مما سبق ان الامام الباقر كان من مشاهير علماء أهل البيت ومحدثيهم . وقال عنه المجلسي انه « لم يظهر عن احد من اولاد الحسن والحسين (ع) من العلوم ما ظهر منه (اى الباقر) من التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام ... وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين . فمن الصحابة نحو جابر بن عبدالله الانصارى ، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السختياني صاحب الصوفية ، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك ، والزهرى ، والاوزاعي ، وابى حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وزياد بن المنذر ، والنهدى ، ومن المصنفين نحو الطبرى ، والبلاذرى ، والسلامي ، والخطيب في تواريخهم . وفي الموطاء ، وشرف المصطفى ، والابانة ، وحلية الاولياء ، وسنن ابي داود ، ... ومسند ابي حنيفة ، والمروزى ، وترغيب الاصفهاني ، وبسيط الواحدى وتفسير النقاشي ، والزمخشري ، ومعرفة اصول

---

(٩٥) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٦ .
(٩٦) الكشي ، ص ١٧١ .
(٩٧) الكشي ، الرجال ، ص ١٩١ .
(٩٨) الطوسي ، الرجال ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ .

السمعاني» [وكانوا] يقولون قال محمد بن علي وربما قالوا محمد الباقر»[99].

وبعد ما اوردته عن علم الباقر ونشاطه في حقل التعليم اقول .

يظهر ان الباقر أعار علوما غير العلوم الشرعية شيئا من اهتمامه مثل علم الكلام . وسبق ان اشرنا الى رواية المجلسي التي تبين أهتمام الباقر بعلم الكلام . وربما كان للجدل والتحدي اللذين تعرض اليهما الباقر أثر في اهتمامه بعلم الكلام . وكان طاوس اليماني والابرش الكلبي من بين الذين تحدوا الامام الباقر . وذات مرة قال الابرش الكلبي لهشام مشيرا الى الباقر « من هذا الذي احتوشه أهل العراق يسألونه ؟ قال هذا نبي الكوفة وهو يزعم انه ابن رسول الله وباقر العلم ومفسر القرآن ، فاسأله مسألة لا يعرفها . فأتاه وقال . يا ابن علي قرآت التوراة والانجيل والزبور والفرقان . قال نعم . قال فاني اسألك من مسائل . قال سل فان كنت مسترشدا فستنتفع بما تسال وان كنت متعنتا فتضل بما تسال عنه ... »[100] . وكان الباقر يشجع الشيعة على نشر فضائل آل البيت . قال سعد الاسكاف « قلت لابي جعفر(ع) اني اجلس فأقص واذكر حقكم وفضلكم . قال وددت ان على كل ثلاثين ذراعا قاصا مثلك »[101] .

ويعد انتقال الامامة الى الصادق نقطة فاصلة في تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة ، وفي تركيز قواعد مذهبهم . وكان عصر الصادق مواتيا من الناحيتين السياسية والثقافية . فمن الناحية السياسية كان عصر الصادق عصر انتقال من الدور الأموي الى العباسي ، وفيه خفت الرقابة على الشيعة الأمر الذي سهل عليهم نشر علومهم . أما من الناحية الثقافية فيعد عصر الصادق العصر الذي انتشر فيه تدوين معظم العلوم الاسلامية من فقه وحديث ، هذا فضلا عن ظهور علم الكلام الذي تأثر واضعوه بالعلوم اليونانية . وكان الصادق من اكثر ائمة الشيعة نشاطا وعملا على نشر علوم أهل البيت من جهة ، والدفاع عن مذهبهم في وجه ممثلي الجماعات الاخرى من مسلمين وغلاة وزنادقة من جهة اخرى . قال محمد بن

---

(٩٩) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ٨٤ .

(١٠٠) المجلسي ، بحار لانوار ، ج١١ ، ص ١٥٢ .

(١٠١) الكشي ، الرجال ، ص ١٨٧ .

عيسى ان بعض أصحابنا سأل يونس بن عبدالرحمن « وانا حاضر فقال له يا ابا محمد ما اشدك في الحديث واكثر انكارك لما يرويه أصحابنا ، فما الذى يحملك على رد الاحاديث فقال حدثني ؟ هشام بن الحكم انه سمع ابا عبدالله (ع) يقول ـ لا تقبلوا علينا حديثا الا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة ، فأن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب اصحاب ابي احاديث لم يحدث بها ابي ... » . واوردت تفصيلات عن موقف الامامية واسلافهم من الشيعة من الغلو والغلاة ، وعن محاولاتهم لتزوير الحديث عن الائمة (ع)[١٠٢] .

قال يونس ـ وافيت العراق فوجدت بها قطعة من اصحاب ابي جعفر (ع) ووجدت اصحاب ابي عبدالله (ع) متوافرين، فسمعت منهم واخذت كتبهم فعرضتها من بعد على ابي الحسن الرضا (ع) فأنكر منها احاديث كثيرة ان يكون من احاديث ابي عبدالله (ع) ...[١٠٣] .

ويمكن ان نستنتج من النص السابق ما يأتي :

اولا ـ ان اصحاب الباقر والصادق (ع) كانوا يدونون الاحاديث التي يسمعونها عنهما في كتب دس فيها المغيرة احاديث لم يحدث بها والد الصادق(ع) . كما ان يونس بن عبدالرحمن ، المعاصر للرشيد والمأمون ، وجد طائفة من كتب اصحاب الصادق وعرضها على الرضا (ع) فأنكر بعض محتوياتها .

ثانيا ـ ان يونس المذكور وجد اصحاب الصادق متوافرين في العراق وسمع منهم الحديث واقتنى طائفة من كتبهم .

وقد استمر الصادق على تعليم شيعته . وذات مرة اتى قوم من الامصار الى الامام الصادق « يسألونه الحديث »[١٠٤] . وكان الصادق « يجلس للعامة والخاصة ويأتيه الناس من الاقطار يسألونه عن الحلال والحرام وعن تأويل القرآن وفصل الخطاب فلا يخرج احد منهم الا راضيا بالجواب »[١٠٥] .

---

(١٠٢) الفياض ، عبدالله ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ـ١٢٩ .
(١٠٣) الكشي ، الرجال ، ص ١٩٥ .
(١٠٤) ايضا ، ص ٢٤٩ .
(١٠٥) المسعودى ، الوصية ، ص ١٥٤ .

وسنورد أمثلة عن اصحاب الصادق وتلامذته . روى مطلب بن زياد الزهري « عن جعفر بن محمد نسخة »[١٠٦] . وكان مسمع بن مالك وقيل ابن عبدالملك ممن رووا عن الصادق . واختص ابن مالك هذا بالامام . وقال له الصادق يوما « اني لاعدك لأمر عظيم يا ابا اليسار »[١٠٧] . وروى محمد بن ابي عمير الطيب « كتاب الديات عن ابي عبدالله (ع) »[١٠٨] . وكان منهال بن عمرو الاسدي الكوفي يروي « عن علي بن الحسين وابي جعفر وابي عبدالله عليهم السلام »[١٠٩] . روى محمد بن راشد عن جده قال « قصدت الى جعفر ابن محمد اسأله عن مسألة فاستفتيته فأفتاني »[١١٠] . روى النجاشي ان ابان بن تغلب لقي « علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبدالله (ع) وروى عنهم »[١١١] . قال حماد بن عيسى الجهني «سمعت من ابي عبدالله (ع) سبعين حديثا...»[١١٢]. روى عبدالرحمان بن ميمون البصري عن ابي عبدالله (ع) سبعمائة مسألة[١١٣]. وكان « عمر بن محمد بن بريد ابو الاسود بياع السابري ... كوفي ثقة جليل احد من كان يفد في كل سنة . روى عن ابي عبد الله وابي الحسن (ع) واثنى عليه الصادق (ع) شفاها »[١١٤] . دخل ابو حنيفة المدينة ومعه عبد الله بن مسلم فقال له « يا ابا حنيفة ان ههنا جعفر بن محمد من علماء آل محمد فاذهب بنا اليه نقتبس منه علما فلما اتيا اذا هما بجماعة من علماء شيعته ينتظرون خروجه او دخولهم عليه ... »[١١٥] .

---

(١٠٦) الطوسي ، الرجال ، ص ٢٩٨ .
(١٠٧) الحلي ، الرجال ، ص ٨٤ .
(١٠٨) الطوسي ، الرجال ، ص ٣٠٦ .
(١٠٩) الطوسي ، الرجال ، ص ٣١٣ .
(١١٠) المجلسي ، البحار ، ج١١ ، ص ١٣٩ .
(١١١) الرجال ، ص ٨ .
(١١٢) الحلي ، الرجال ، ص ٢٨ .
(١١٣) ايضا ، ص ٥٦ .
(١١٤) ايضا ، ص ٥٩ .
(١١٥) الطبرسي ، الاحتجاج ، ص ٢١٠ .

قال احدهم ـ « دخلت على العبد الصالح (ع) وانا اريد ان اسأله عن مسائل كثيرة ••• » • قال زرارة « امر ابو جعفر (ع) ابا عبد الله فاقرأني صحيفة الفرائض فرأيت جل ما فيها على اربعة اسهم »[117] • قال ابو بصير « قرأ علي ابو عبد الله (ع) فرائض علي (ع) فكان اكثرهن خمسة او من اربعة واكثره من ستة اسهم »[118] • جاء عباد البصري لابي عبد الله (ع) ومعه اناس من أصحابه فسأله عن حديث فاخبره به « فكتب القوم الحضور عنه ذلك الحديث »[119] • قال مسعدة بن صدقة « سألت ابا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام ان يعلمني دعاء ادعو به في المهمات فأخرج الي اوراقا من صحيفة عتيقة فقال انتسخ ما فيها فهو دعاء جدي علي بن الحسين ••• »[120] • روى ابن داود الحلي ان « ابان ابن تغلب ••• روى عن الصادق (ع) ثلاثين الف حديث قال له ابو جعفر (ع) اجلس في مسجد الكوفة وافت الناس ، اني احب ان يرى في شيعتي مثلك » • وكان اذا دخل على ابي عبدالله ثني له الوسادة وصافحه ، وكان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق ، واخليت له سارية النبي (ص) • قال ابو عبد الله لسليم بن ابي حبة لما ودعه ـ (ائت ابان بن تغلب فانه سمع مني حديثا كثيرا ، فما روى لك عني فاروه عني) • مات سنة احدى واربعين ومائة •••»[121] •

ومن الجدير بالذكر انه من الصعب تصديق الروايات التي نسبت الى محمد ابن[122] مسلم وابان سماع ذلك العدد الضخم من الاحاديث عن الأمامين الباقر والصادق ، لاسيما ان الاثنين لم يكونا من أهل المدينة حيث سكن الباقر والصادق (ع)• وكانا يفدان على المدينة بين آونة وأخرى للقاء اماميهما ، ومع ذلك فان مدة الوفادة لاتكفي لسماع العدد المذكور من الاحاديث وحفظه •

---

(١١٦) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص ٤١٢ •
(١١٧و١١٨) ايضا ، ج٧ ، ص ٨١ •
(١١٩) الكليني ، الكافي ، ص ١٨٢ •
(١٢٠) الطوسي ، الامالي ، ص ٩ •
(١٢١) الرجال ، ص ١٠ـ١١ •
(١٢٢) كان محمد بن مسلم ، كما اسلفنا ، من اصحاب الباقر والصادق وقد نسب اليه انه روى سبعين الف حديث عن الباقر وثلاثين الفا عن الصادق•

وقد سبق ان اشرنا الى بعض جهود الصادق في حقل التعليم عند الامامية عند الكلام عن التعليم في المسجد ومنازل العلماء [١٢٣] .

وبعدما اوردته عن جهود الصادق التعليمية اقول :ـ

اولا ـ يظهر ان الصادق (ع) كان مجدا في تعليمه ومثابرا على تعليم شيعته . وتقوم كثرة تلامذة الصادق ، وغزارة علمهم ، دليلا على ما ذهبت اليه . ويظهر ان طائفة من تلامذته كانت ممتازة فمن تلامذته ابان بن عثمان الذي سبقت الاشارة اليه وهشام بن الحكم الذي يصفه ابن النديم بانه « من متكلمي الشيعة الامامية ...ومن دعا له الصادق عليه السلام فقال اقول لك ما قال رسول الله (ص) للتحيات ـ لاتزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك وهو الذي فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجج فيه »[١٢٤] . ومن تلامذته زرارة بن اعين الذي قال فيه الصادق (ع) « لولا زرارة لظننت ان احاديث ابي ستذهب » . وقال احد اصحابه « والله ما كنا حول زرارة بن اعين الا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم »[١٢٥] . وروى النجاشي ان الحسن بن علي الوشاء قال « ادركت في هذا المسجد [١٢٦] تسع مائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد »[١٢٧] . قال ابن شهر اشوب ان العصابة [١٢٨] اجمعت ان افقه الاولين ستة وهم اصحاب ابي جعفر وابي عبدالله (ع) وهم « زرارة بن اعين ، ومعروف الخربوذ [١٢٩] المكي ، وابو بصير الاسدى ، والفضيل بن يسار ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، وبريد بن معاوية العجلى » [١٣٠] .

---

(١٢٣) ص٦٤ وما بعدها .
(١٢٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٥٧ .
(١٢٥) الكشي ، الرجال ، ص ١٢٢ ـ ٣ .
(١٢٦) يقصد مسجد الكوفة .
(١٢٧) الرجال ، ص ٣١ .
(١٢٨) يقصد الشيعة .
(١٢٩) ضبط الكشي (الرجال ، ص١٨٤) اسم معروف الخربوذ على صورة معروف بن خربوذ .
(١٣٠) مناقب آل ابي طالب ، ج٣ ، ص ٣٤٠ .

ثانيا ـ كان الأمام الصادق يزود اصحابه ببعض النصائح التربوية . قال جابر الجعفي احد تلامذة الصادق « سمعت ابا عبدالله يقول ان عليا (ع) كان يقول اقتربوا ، اقتربوا واسألوا فأن العلم يقبض قبضا »[131] . وذات مرة ضرب لتلامذته مثالا آخر من سيرة الامام علي فقال ـ « ان امير المؤمنين (ع) كتب الى عماله ادقوا اقلامكم وقاربوا بين سطوركم ، واحذفوا عن فضولكم ، واقصدوا قصد المعاني واياكم والأكثار »[132] . وكان الصادق (ع) يشجع طلبته على كتابة ما يسمعون عنه خوف النسيان . وذات مرة قال لتلميذه عبيد بن زرارة ان رسول الله (ص) قال قيدوا العلم ، وفسر له تقييد العلم بكتابته . ثم قال له ـ « احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها »[133] . وفي مرة قال لاصحابه « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون كامل العقل ، ولا يكون كامل العقل حتى يكون فيه عشر خصال ـ الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ... ولا يسأم من طلب العلم عمره ... »[134] .

ثالثا ـ كان الصادق يصحح مؤلفات تلامذته احيانا ويجيب على اسئلتهم خطا . روى الحلي ان لعبيد الله الحلبي كتابا « عرضه على الصادق (ع) وصححه وقال عند قراءته ليس لهؤلاء في الفقه مثله . وهو أول كتاب صنفه الشيعة »[135] . وذات مرة قال للصادق أحد طلابه ـ « أريد أن اسألك عن مسائل ، قال ـ اذهب فأكتبها وارسل بها الي »[136] . روى احدهم انه كان عند الصادق حينما دخل عليه رجل ومعه صحيفة مسائل ... »[137] . وعندما كتب النجاشي الى الصادق يسأله كتب الامام اليه « رسالة عبدالله النجاشي المعروفة »[138] .

---

(١٣١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ٦٣ .
(١٣٢) القمي ، الخصال ، ص ١٤٩ .
(١٣٣) الجزائري ، نعمة الله ، الانوار ، ص ٣٧٢ .
(١٣٤) الطوسي ، الامالي ، ص ٩٥ .
(١٣٥) الطوسي ، الرجال ، ص ٥٦ .
(١٣٦) الكشي ، الرجال ، ص ٢٣١ .
(١٣٧) الطوسي ، الرجال ، ص ١١٢ .
(١٣٨) النجاشي ، الرجال ، ص ٧٩ .

رابعا – يظهر ان طائفة من تلامذة الصادق كانوا يلازمونه مدة طويلة ليكملوا دراستهم على يده • روى محمد بن مسلم الطائفي انه اقام بالمدينة اربع سنين(١٣٩) وسأل الصادق أحد اصحابه عمن يأخذ الحديث قال له الامام « ما يمنعك من محمد بن مسلم ؟ فانه قد سمع من ابي وكان عنده وجيها » وكان مسلم هذا قد صحب الباقر والصادق « وروى عنهما وكان من اوثق الناس »(١٤٠) • وذات مرة قال زرارة بن اعين للصادق « جعلني الله فداك اسألك في الحج منذ اربعين عاما فتفتيني • فقال يا زرارة بيت يحج قبل آدم بألفي عام تريد ان تفنى مسائله بأربعين عاما »(١٤١) • كما يظهر ان طائفة من تلامذة الصادق كانوا يفدون على المدينة للقاء الامام في كل سنة • وكان من بين اولئك التلاميذ عمر ابن محمد بياع السابري • وعمر هذا « احد من كان يفد في كل سنة »(١٤٢) •

خامسا – يبدو ان الامام الصادق كان يدير المناقشات التي تحصل بين تلاميذه أو بينهم وبين اتباع المذاهب الاخرى • روى الكشي ان رجلا من اهل الشام ورد على الصادق فقال – « بلغني انك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت اليك لاناظرك • فقال أبو عبدالله(ع) فبماذا ؟ قال في القرآن وقطعه واسكانه وخفضه ونصبه ورفعه • فأمر الامام صاحبه حمران ان يناظره فافلجه • فقال الشامي عن حمران رأيته حاذقا ما سألته عن شيء الا اجابني فيه » • وتناظر الشامي المذكور في المجلس نفسه مع زرارة في الفقه فغلبه زراره • ثم ناظر الشامي مؤمن الطاق في الكلام فتغلب مؤمن الطاق عليه • وناظره الطيار في الاستطاعة فأفلجه • وناظره هشام بن الحكم في الامامة فتغلب عليه • وناظره هشام بن سالم في التوحيد فسجل الكلام بينهما(١٤٣) وربما كان في الرواية المذكورة مبالغة لانه يندر ان يكون رجل كالشامي المذكور عالما بجميع العلوم التي ورد ذكرها فيها •

(١٣٩) الكشي ، الرجال ، ص ١٠٩ •
(١٤٠) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص ٣٣٦ •
(١٤١) النجفي ، محمد حسن ، الجواهر ، ج٣ ، (حجر) ص ٢٧٣ •
(١٤٢) الحلي ، الرجال ، ص ١١٩ •
(١٤٣) الكشي ، الرجال ، ص ١٧٨ •

سادسا ـ كان الامام الصادق يحرض طلبته على تعلم الحديث ومعالم الدين الاخرى قبل فوات الفرصة . قال صالح بن الاسود « سمعت جعفر بن محمد يقول ـ سلوني قبل ان تفقدوني ، فانه لايحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي»(١٤٤). وقال الصادق مرة « من حفظ من احاديثنا اربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة عالما فقيها »(١٤٥) . وقال الصادق « ان اجلت في عمرك يومين فأجعل احدهما لأدبك لتستعين به على يوم موتك ، فقيل له ـ وما تلك الاستعانة ؟ قال تحسن تدبير ما تخلف وتحكمه »(١٤٦) .

ونختم كلامنا عن الامام الصادق برأي الشهرستاني عنه ـ « وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات . وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ، ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ... ثم دخل العراق واقام بها مدة ماتعرض للامامة قط ، ولا نازع أحدا في الخلافة قط . ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط »(١٤٧) .

ودأب الائمة المعصومون من ابناء الصادق واحفاده على تعليم شيعتهم من اسلاف الامامية علوم أهل البيت ، ولكنهم لم يصلوا المرتبة التي وصلها الباقر والصادق من قبلهم ، كما ان دورهم لايمكن ان يقارن بالدور الذي لحق دورهم والذي كان من رجاله العياشي الذي قيل « انه انفق في العلم تركة ابيه وهي ثلثمائة ألف دينار ، وكانت داره كالمدرسة للمشتغلين ...»(١٤٨) . ومن رجال الدور المذكور الشيخ الصدوق القمي (ت ـ ٣٨١هـ) والشريف الرضي (ت ـ ٤٠٦هـ) والشيخ المفيد (ت ـ ٤١٣هـ) والشريف المرتضى (ت ـ ٤٣٦هـ) واخيرا شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي الذي ينتهي بحثنا عند وفاته سنة ٤٦٠هـ . ويمكن ان نجمل الاسباب التي دعت الى ذلك فيما يأتي :

---

(١٤٤) المجلسي ، بحار لانوار ، ج١١ ، ص ١١٣ .
(١٤٥) الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص ١٥٧ .
(١٤٦) ايضا ، ج٨ ، ١٥٧ .
(١٤٧) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٣٣٤ـ٥ .
(١٤٨) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص ٣٣٥ .

اولا ـ كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للامام موسى الكاظم ابن الامام الصادق شديدة على الشيعة وعلى امامهم موسى • قال هشام بن سالم « كنا بالمدينة بعد وفاة ابي عبدالله (ع) ••• فقعدنا في بعض ازقة المدينة ••• فنحن كذلك اذ رأيت شيخا يومي الي بيده فخفت ان يكون عينا من عيون ابي جعفر المنصور ، وذلك انه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع ، بعد جعفر ، اليه الناس فيؤخذ ويضرب عنقه »(١٥٠) • وذات مرة جاء احدهم يسأل الامام موسى، كما كان يسأل اباه ، قال له الامام ـ « سل تخبر ولا تذع فأن اذعت فهو الذبح »(١٥١) • وسأل احدهم الامام موسى عن مسألة فقال ـ « اذا هدأت الرجل وانقطع الطريق فأقبل ••• »(١٥٢) • وسبق ان اشرنا الى ان احد الشيعة عاتب الامام الرضا لانه فتح بابه للافتاء ، خلافا لخطة أبيه موسى ، فقال انه ليس عليه من هارون الرشيد بأس •

ثانيا ـ انشغال الامام علي الرضا لفترة من حياته في السياسة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد واستقدمه لخراسان حيث توفي هناك •

ثالثا ـ تجديد رقابة الخلفاء العباسيين ، وخاصة المتوكل ، على ائمة الشيعة المتأخرين • وحمل المتوكل الامام العاشر من المدينة الى سامراء واوكل شخصا من أهل الادب والقرآن بتعليمه وكان هدفه ان يمنع اتصال الشيعة به(١٥٣) • وسبق ان اشرنا في الفصل الاول من هذه الرسالة الى الاجراءات التى اتخذها المتوكل ضد مؤسسات الشيعة بما فيها قبر الحسين (ع) بكربلاء •

وبالرغم من كل ما سبق قام الائمة بعد الصادق حتى غيبة الامام الثاني عشر في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة بدور مهم في تعليم اسلاف الامامية من الشيعة • وسنورد أمثلة على نشاطهم في حقل التعليم في تلك الفترة •

تولى الامامة بعد الصادق ابنه موسى الكاظم (ت ـ ١٨٣ هـ) • وقد ابدى

---

(١٥٠) المفيد ، الارشاد ، ص ٢٦٦ •
(١٥١و١٥٢) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص ٢٧ •
(١٥٣) المسعودي ، الوصية ، ص ١٩٣ •

الكاظم (ع) نشاطا في تعليم شيعته رغم ما تعرض له من مضايقة وسجن أيام الرشيد . ومن اشهر تلامذته ابراهيم المروزي مؤدب اولاد السندي بن شاهك الذي اوكلت له رقابة الامام موسى في السجن ببغداد . وكان ابراهيم يروى الحديث عن الكاظم ، والف كتابا ضمنه ما سمعه من احاديث الامام وهو في الحبس[١٥٤] . ومن تلامذته علي بن يقطين « وله كتاب مسائل موسى بن جعفر عليه السلام »[١٥٥] . وكان علي بن جعفر من تلامذة اخيه الكاظم « وله مسائل مشهورة عنه وجوابات رواها سماعا منه »[١٥٦] . وكان محمد بن عمير ممن « لقي ابا الحسن موسى عليه السلام وسمع منه احاديث ... »[١٥٧] . ومن تلامذة الكاظم ابنه عبدالله . قال الطوسي ان « عبدالله بن موسى بن جعفر عليه السلام روى عن ابيه »[١٥٨] . وكان الحسن بن بشار المدايني من تلامذته (ع) وقد « روى عن ابي الحسن موسى عليه السلام »[١٥٩] . وممن درس على الامام موسى محمد بن ابي عمير الازدي فلقي « ابا الحسن موسى (ع) وسمع منه احاديث كناه في بعضها فقال يا ابا احمد ... »[١٦٠] . وكان بكر بن الاشعث من تلامذة الكاظم . وقال النجاشي انه روى « عن موسى بن جعفر كتابا »[١٦١] . وممن درس على الامام موسى علي بن سويد . وقال علي مرة « كتبت الى ابي الحسن (ع) وهو في الحبس كتابا اسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فأحتبس الجواب علي اشهرا ثم اجابني بجواب هذه نسخته ... »[١٦٢] .

---

(١٥٤) النجاشي ، الرجال ، ص ٣١٩ .
(١٥٥) الفهرست ، ص ٧٣ .
(١٥٦) المفيد ، الارشاد ، ص ٢٦٦ .
(١٥٧) الحلي ، الرجال ، ص ٦٨ .
(١٥٨) الرجال ، ص ٣٥٣ .
(١٥٩) الحلي ، الرجال ، ص ٤٩ .
(١٦٠) النجاشي ، الرجال ، ص ٢٥٠ .
(١٦١) الرجال ، ص ٨٤ .
(١٦٢) الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص ١٢٤ .

روى ابو الوضاح ان اباه قال « كان جماعة من خاصة ابي الحسن عليه السلام من أهل البيت والشيعة يحضرون ومعهم في اكمامهم الواح ابنوس لطاف واميال فأذا نطق ابو الحسن بكلمة أو افتى في نازلة اثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك »[١٦٣] • ومن الصعب تقدير الدور الذى قامت به تلك الالواح من حيث هي وسيلة للتسجيل لان الالواح التى تحمل لابد ان يكون حجمها صغيرا فيصعب حينئذ على المسجل ان يسجل عليها مواد كثيرة ، لاسيما ان ما يملى من فقه وحديث يحتاج الى فراغ كبير • اما الاميال[١٦٤] التى كانت تستعمل للتسجيل فيبدو انها مكونة من مادة تقوم مقام الطباشير اليوم •

أما الامام الرضا (ع) (ت — ٢٠٣ هـ) فرغم انشغاله لفترة من حياته في السياسة ، اسهم هو الاخر بتبليغ علوم آل الرسول (ص) للامامية • وذات مرة قال الحسن بن موسى الوشاء البغدادى « كنت بخراسان مع علي بن موسى الرضا في مجلسه ••• وابو الحسن مقبل على قوم يحدثهم »[١٦٥] • ويقول الحلي ان « يونس بن عبدالرحمن مولى علي بن يقطين ابو محمد ••• روى عن ابي الحسن موسى وعن الرضا (ع) ••• »[١٦٦] • وقال احدهم للرضا « اني لا القاك كل وقت فمن من آخذ معالم ديني فقال خذ من يونس بن عبدالرحمن »[١٦٧] • روى محمد بن ابي عمير مولى الازد « عن ابي الحسن الرضا عليه السلام »[١٦٨] • ودخل محمد بن عيسى بن عبدالله الاشعرى شيخ

---

(١٦٣) المجلسي ، البحار ، ج١٢ ، ص٢٧٨ •

(١٦٤) يظهر ان الاميال المذكورة مكونة من مادة قابلة للكتابة على الواح الابنوس السود • ولعل تلك المادة شبيهة بالطباشير • ويبدو ان الطباشير كان معروفا في بداية القرن الخامس للهجرة • وعندما حدث غلاء ببغداد سنة ٤٣٩ هـ بيع الطباشير درهم بدرهم من فضة • (ابن الجوزى ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٣٢) •

(١٦٥) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ٦٥ •

(١٦٦) الحلي ، الرجال ، ص ٨٩ •

(١٦٧) الحلي ، الرجال ، ص ١٤١ •

(١٦٨) ايضا ، ص ١٥٤ •

القميين » على الرضا وسمع منه »[169] . وكان عبدالله بن سعد بن حيان من بين من لقي الرضا (ع) » وروى عنه كتاب الديات »[170] . روى الحلي ان الحسن بن الجهم الشيباني » روى عن ابي الحسن موسى والرضا عليهما السلام »[171] . وكان » لعبدالله بن احمد بن عامر الطائي نسخة رواها عن الرضا (ع) »ويقول النجاشي انه قرأها على شيخه احمد بن موسى الجندي»[172]. قال الحلي ان الحسن بن محمد بن الفضل » روى عن الرضا عليه السلام نسخة »[173] . روى الصدوق ان عبيد بن هلال قال ـ » سمعت ابا الحسن الرضا (ع) يقول ـ اني احب ان يكون المؤمن محدثا . قال قلت ـ واى شيء المحدث ؟ قال المفهم »[174] [175] . وروى الصدوق ايضا ان عبدالسلام بن صالح الهروى قال ـ » سمعت ابا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) يقول رحم الله عبدا احيا أمرنا ، فقلت له ـ وكيف يحي أمركم ؟ قال يتعلم علومنا ويعلمها الناس ، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا ، قال ـ قلت ـ يا بن رسول الله فقد روى لنا عن ابي عبدالله (ع) انه قال ـ من تعلم علما ليمارى به السفهاء أو يباهى به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس اليه فهو في النار . فقال (ع) ـ صدق جدى (ع) افتدرى من السفهاء ؟ فقلت ـ لا ، يا بن رسول الله ، قال (ع) ـ هم قصاص مخالفينا ، او تدرى من العلماء ؟ قلت ـ لا ، يا بن رسول الله (ص) فقال ـ هم علماء آل محمد عليهم السلام الذين فرض الله طاعتهم واوجب مودتهم ، ثم قال ـ او تدرى ما معنى قوله ـ او ليقبل بوجوه الناس اليه ؟ فقلت

---

(١٦٩) ايضا ، ص ٥٥ .

(١٧٠) الايضا ، ص ٤٣ .

(١٧١) النجاشي ، الرجال ، ص ٧٨ .

(١٧٢) الرجال ، ص ٧٨ .

(١٧٣) الرجال ، ص ٤٣ .

(١٧٤) جاء في عيون اخبار الرضا للصدوق (ج١ ٣٠٧ الحاشية) المفهم ـ الذى يتعلم ويدرك علومهم عليهم السلام ويعلمها للناس .

(١٧٥) عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص ٣٠٧ .

لا ـ فقال (ع) يعني والله بذلك ادعاء الأمامة بغير حقها ، ومن فعل ذلك فهو في النار »[١٧٦] .

ويمكننا ان نستنتج من النصين السابقين اللذين رواهما الصـــدوق القمي ما يأتـــي :

اولا ـ ان الراوى استعمل فى كلا النصين عبارة « سمعت » وهى ارفــع الطرق الواقعة في التحمل عند جمهور المحدثين ، كما سنشرح ذلك . يضـــاف الى ذلك ان طريقة الاسئلة والاجوبة التى سنشير اليها فى الفصل الخامس من هذه الرسالة قد استعملت فى النص الثانى بوضوح .

ثانيا ـ ان الامام اوضح في النص الثانى لتلميذه ان الــــذى يحي أمـــر الامام هو من يتعلم علوم آل البيت ويعلمها للناس . ومن هذا يظهر ان تعلم تلك العلوم وتعليمها ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك في مواضعه من هــذه الرسالة ، من الامور التى يثاب عليها المؤمنون .

ثالثا ـ لقد وصف الامام قصاص المخالفين للشيعة بأنهم السفهاء . كما فسر عبارة « العلماء » الواردة بحديث جده الصادق والذى ذكره به تلميذه ، بأنهــا تعني « علماء آل محمد » اى علماء شيعتهم .

وقد وردت اشارة يستفاد منها ان الامام الرضا (ع) كان يشير على بعض تلامذته بتلقي العلم عن بعض النابهين من تلامذته . وكان تلميــذه زكريا بن آدم الذى روى عنه الحديث من بين هؤلاء . « وقال الرضا عليه السلام انــه ، اى زكريا ، المأمون على الدين والدنيا ... وقـــال ابن المسيب الهمدانى ... قلت للرضا عليه السلام ـ شقتي بعيدة ولست اصل اليك فى كل وقت فممن آخذ معالم ديني ؟ قال من زكريا بن آدم ... »[١٧٧] .

وقد وردت اشارتان شبيهتان بالاشارة المذكورة قال في احــداهما « ابو عبدالله (ع) لسليم بن ابي حبة لما ودعه ـ ائت ابان بن تغلب فانه ســمع مني

---

(١٧٦) عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص ٣٠٧ـ٨ .
(١٧٧) الحلي ، الرجال ، ص ٧٥ .

حديثا كثيرا ، فما روى لك عني فاروه عني »(١٧٨) . وقال في الثانية ، اجابة لعبدالله بن يعفور حين قال له ــ « انه ليس كل ساعة القاك ويمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه . قال الصادق ــ « فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فأنه قد سمع من ابي وكان عنده وجيها ؟ »(١٧٩) .

ولما كانت الاشارات التي اوكل فيها الائمة تعليم الشيعة للنابهين من تلاميذهم قليلة ، وتكاد تنحصر ، كما اعلم ، بالاشارات التي اوردتها هنا ، لا يمكن ان يستنتج منها الكاتب قاعدة عامة .

ونختم ما قلناه عن جهود الرضا (ع) في حقل التعليم بالاشارة الى كتاب الشيخ الصدوق القمي الموسوم بـ « عيون اخبار الرضا » الذي سبقت الاشارة اليه والذي حوى تفصيلات عن جهود الرضا في حقلي الوعظ والتعليم يحسن بالقاريء ان يطلع عليها .

وكان الامام محمد الجواد من بين الائمة الذين نقلوا علوم آل محمد الى الشيعة اسلاف الامامية . قال الحلي ان محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين « روى عن ابي جعفر الثاني (ع) مكاتبة ومشافهة »(١٨٠) . وكان يعقوب بن إسحق بن السكيت « متقدما عند ابي جعفر الثاني (ع) وابي الحسن (ع) وكانا يختصان به ، وله عن ابي جعفر رواية ومسائل . قتله المتوكل لتشيعه ... »(١٨١) . قال الحلي ان احمد بن اسحاق القمي « روى عن ابي جعفر الثاني (ع) وابي الحسن (ع) ... »(١٨٢) . قال النجاشي ان « الحسن بن العباس ... روى عن ابي جعفر الثاني ... »(١٨٣) . وكان لاحمد بن عبدالله بن مصقلة الاشعري

---

(١٧٨) الحلي ، ابن داود ، الرجال ، ص ١١ .
(١٧٩) الكشي ، الرجال ، ص ١٤٥ .
(١٨٠) الحلي ، الرجال ، ص٦٩ .
(١٨١) الحلي ، الرجال ، ص ٩٠ .
(١٨٢) ايضا ، ص ٩ .
(١٨٣) الرجال ، ص ٤٨ .

« نسخة عن ابي جعفر الثاني (ع) »[184] . قال النجاشي ان بكر بن احمد بن ابراهيم الاشبح « روى عن ابي جعفر الثاني (ع) »[185] .

وتولى الامامة بعد الجواد ابنه علي الهادي (ت ــ ٢٥٤ هـ) . وكان الامام الهادي قد اسهم في تعليم شيعته علوم آل البيت . وكان احمد بن ابراهيم بن اسماعيل «الذي كان شيخ أهل اللغة واستاذ ثعلب ممن رووا عن ابي محمد الحسن ابن علي وابي الحسن علي الهادي قبله »[186] . ويعد محمد بن عبدالله الاشعري من الثقات وكان قد « روى عن ابي الحسن الثالث (ع) »[187] . وكان محمد بن احمد بن عبيد الله بن المنصور « اسند » عن الامام الهادي[188] . روى النجاشي ان للواد الصرمي « مسائل » الى ابي الحسن صاحب العسكر (ع)[189] .

وكان الامام الهادي يحتفظ ، شأنه شأن الائمة المعصومين، بصحيفة علي(ع) التي سبقت الاشارة اليها[190] . قال احدهم انه اتى علي بن محمد عائدا من مرضه الذي توفي فيه فحدثه حديثا استحسنه فقال « يا ابن رسول الله ، ما ادري ايهما احسن الحديث ام الاسناد ؟ فقال . انها لصحيفة بخط علي بن ابي طالب باملاء رسول الله (ص) نتوارثها صاغرا عن كابر »[191] .

وكان الامام الحسن العسكري (ت ــ ٢٥٥هـ) ممن عمل على تبليغ علوم آل البيت للشيعة اسلاف الامامية . وكان محمد بن الحسن الصفار من اصحاب العسكري وله الى الامام مسائل[192] . روى ابراهيم بن ابي حفص الكاتب

---

(١٨٤) ايضا ، ص ٧٩ .
(١٨٥) ايضا ، ص ٨٥ .
(١٨٦) الحلي ، الرجال ، ص ٩
(١٨٧) ايضا ، ص ١١ .
(١٨٨) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٢٢ .
(١٨٩) الرجال ، ص ١٢٣ .
(١٩٠) ص٣٧ .
(١٩١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص ١٧١ .
(١٩٢) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٣٦ .

عن ابي محمد العسكري[193] . وكان محمد بن سليمان بن الحسن الرازي حسن الطريقة « وله الى مولانا ابي محمد (ع) مسائل وجوابات »[194] . وكان لعبدالله بن جعفر الحميري القمي كتاب « مسائل لابي محمد الحسن... »[195].

وقد وردت تفصيلات عن اصحاب الائمة في كتب الرجال والحديث امثال رجال الكشي ، والنجاشي ، والطوسي ، والحلي ، وابن داود الحلي . والكافي للكليني والاستبصار للطوسي وغيرهم .

وبعد ان استعرضنا الدور الذي مثله الائمة المعصومون في حقل التعليم عند اسلاف الامامية نقول ان دور الائمة المعصومين في تبليغ علوم آل البيت للشيعة اسلاف الامامية ونشرها بينهم ، رغم اهميته وخطر شأنه ، لايبلغ الدور الذي قام به مشايخ الشيعة في التبليغ المذكور . ويكون ان نجمل اسباب ذلك فيما يأتي :

آ ـ يظهر ان الضغط الذي مارسته السلطات المتعاقبة خلال عهد الائمة جعل اولئك الائمة في وضع لايستطيعون معه القيام برسالتهم التعليمية على الوجه المطلوب . وقد ضربنا امثلة من ضروب الضغط المذكور في مواضعه من هذه الرسالة .

ب ـ ان سكنى الائمة كلهم في الحجاز ماعدا فترات قصيرة استقدمهم فيها الخلفاء للعراق لتشديد المراقبة عليهم ، شل من نشاطهم في تبليغ علوم آل البيت ونشرها وذلك لتركز علماء أهل الحديث والسنة هناك . وكان اولئك العلماء يتعاونون مع السلطان لمقاومة انتشار العلوم المذكورة لانها كانت في نظرهم من « البدع » التي يجب مقاومتها .

جـ ـ ان وجود الائمة في الحجاز ، ايضا ، جعلهم بعيدين عن المراكز التي ينتشر فيها مواليهم او شيعتهم كالعراق ومنطقة قم في ايران ، لذا كان تعليمهم

---

(١٩٣) الحلي ، الرجال ، ص ٤ .
(١٩٤) ايضا ، ص ٧٦ .
(١٩٥) النجاشي ، الرجال ، ص ١٦٣ .

مقتصراً في الغالب على الجماعة المحدودة التي تيسر لها لقاؤهم في الحجاز .

ومن الجدير بالذكر ان نشاط مشايخ الشيعة في تعليم علوم آل البيت ونشرها بلغ ذروته خلال القرن الرابع للهجرة والنصف الاول من القرن الخامس . ولعل انشغال الخلفاء العباسيين وعلماء أهل السنة في المشكلات التي نشأت عن ظهور مذهب المعتزلة في النصف الاول من القرن الثالث ، وضعف الخلفاء العباسيين نتيجة لسيطرة الطبقة العسكرية من الاتراك في النصف الثاني من القرن المذكور واوائل القرن الرابع ، كانا من العوامل المساعدة على تسهيل مهمة اولئك الشيوخ الرامية لنشر قواعد المذهب الجعفري وتعاليمه . وبعد قيام الحكم البويهي في العراق وايران اصبح عمل شيوخ الشيعة أكثر سهولة وذلك لتوفر الحرية النسبية للشيعة الامامية خلال العصر البويهي . وقد عمل اولئك الشيوخ تحت زعامة الشيخ الصدوق القمي والمفيد والشريفين الرضي والمرتضى ثم شيخ الطائفة الشيخ الطوسي على نشر قواعد المذهب الجعفري بتعليمه والتشجيع على تعلمه . ويبدو ان مشايخ الشيعة استغلوا الحرية التي وفرها لهم العهد البويهي احسن استغلال . فكان الشيخ المفيد يستميل امراء الاطراف لمذهبه ووضع الشريفان الرضي والمرتضى امكاناتهما الفكرية والمالية لتشجيع دراسة المذهب الجعفري ونشره .

وسنورد تفصيلات عن ضروب نشاط مشايخ الشيعة الامامية واسلافهم بعد قليل .

ثانيا ـ الشيخ :

الشيخ في اللغة هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب (١٩٦) . واطلاق الشيخ على الاستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصناعة انما هو بأعتبار الكبر في العلم والفضيلة والمقام ونحو ذلك (١٩٧) .

---

(١٩٦) ابن منظور ، مادة « شاخ » لسان العرب ، ج٣ ، ص٣١ . والزبيدي مادة « شاخ » ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٢٦٥ .

(١٩٧) الشرتوني ، الخوري سعيد « شاخ » اقرب الموارد ، ج١ ، ص٦٢٥ .

ويعنى الشيخ في الاصطلاح الكبير أو المتقدم في فن أو صناعة . فالنجاشي، مثلا ، يسمي المؤرخ ابا مخنف « شيخ اصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم»(١٩٨). ويسمي الطوسي عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بـ « شيخ الطالبيين» كما يسمي احمد بن ابراهيم الكاتب النديم بـ « شيخ أهل اللغة»(١٩٩). وكان محمد بن احمد بن داود « شيخ القميين في وقته وفقيههم »(٢٠٠) .

ان البحث بالاستعمالات السابقة لايهمنا هنا ، بل الذى يهمنا هو لقب « الشيخ » باعتباره لقبا تعليميا . وهو بهذا المعنى كثير الاستعمال عند طوائف المسلمين كافة ومن بينهم الشيعة الامامية واسلافهم . ومن امثلة استعمالاته عند الامامية قول النجاشى ان الحسن بن علي بن سفين البزوفرى ألف كتاب احكام العبيد ، و « قرأت هذا الكتاب على شيخنا ابي عبدالله (ر) »(٢٠١) . قال الشيخ الطوسى عند ذكره لسند كتابه الموسوم بـ « الاستبصار » « فما ذكرته عن محمد بن يعقوب الكليني فقد اخبرنا به الشيخ المفيد ... وما ذكرته عن احمد بن ادريس فقد رويته بهذه الاسانيد ... واخبرنى بجميع رواياته ايضا الشيخ أبو عبدالله .... ويقول الطوسى ايضا « اخبرنى الشيخ المفيد عن شيخه الفقيه عماد الدين ابي جعفر ...»(٢٠٢) . قال جعفر بن محمد بن قولويه « حدثنا ابى وسائر شيوخى »(٢٠٣) .

وعندما يتكلم الصدوق في اماليه الذى اشرنا اليه في الفصل الثانى من هذه الرسالة « يقول حدثنا الشيخ الفقيه ابو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن موسى ابن بابويه »(٢٠٤) . كان « جعفر بن محمد ... بن قولويه ... شيخ المفيد ... مات سنة ثمان وستين وثلثمائة »(٢٠٥) .

---

(١٩٨) الرجال ، ص٢٤٥ .
(١٩٩) ايضا ، ص ١٢١ ، ٤٢٧ ـ ٨ .
(٢٠٠) الحلي ، الرجال ، ص٧٩ .
(٢٠١) الرجال ، ص٥٤ .
(٢٠٢) الاستبصار ، ج٣ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .
(٢٠٣) النجاشى ، الرجال ، ص٦ .
(٢٠٤) الصدوق القمى ، الامالى ، ص٩٩ .
(٢٠٥) ابن داود ، الحلي ، الرجال ، ص٨٨ .

وكان لقب « الشيخ » معروفا عند أهل السنة بالمعنى السابق أي انه من القاب معلمي العلوم . روى احدهم انه حضر يوم الجمعة « مجلس محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) فصحف الشيخ محمد اسما ورد في اسناد حديث، فأعظم المستمع ان يحمل عن مثل الشيخ الأنباري في فضله وجلالته وهم»[٢٠٦]. وقد حدث ابن الجوزي جماعة من مشايخه عن جابر بن ياسين الجبائي (ت ٤٦٤هـ) الذي كان ثقة من أهل السنة ، كما روى أشياخه عن محمد بن احمد الاصبهاني الشافعي المتوفى سنة ٤٦٤هـ[٢٠٧] .

وسنضرب امثلة يرد فيها لقب « الشيخ » في المصادر مقرونا مع التعليم بكثرة مما يدل على ان اللقب المذكور كان أكثر شيوعا عند الامامية واسلافهم من غيره من القاب معلمي العلوم في الفترة موضوع البحث . قال النجاشي كان لاسماعيل بن علي بن نوبخت « كتاب التنبيه في الامامة قرأته على شيخنا ابي عبدالله »[٢٠٨] . قال الشيخ الصدوق عند ذكره لمصادر كتابه الموسوم بـ « من لا يحضره الفقيه ـ ... وغيرها من الاصول والمصنفات التي طرقي اليها معروفة في فهرست الكتب التي رويتها عن مشايخي واسلافي رضي الله عنهم »[٢٠٩] . قال النجاشي كان « صالح بن محمد الصراى شيخ شيخنا ابي الحسن الجندي »[٢١٠] . وقال ايضا « كان ابراهيم بن عمر اليماني الصنعاني شيخ من اصحابنا ... له كتاب يرويه عنه حماد بن عيسى وغيره »[٢١١] . روى احمد بن الحسين ابن سعيد مولى علي بن الحسين « عن جميع شيوخ ابيه الاحماد بن عيسى»[٢١٢]. قال النجاشي كان « احمد بن عبدالواحد ... البزاز شيخنا المعروف بابن عبدون

---

(٢٠٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣١٢ .
(٢٠٧) ايضا ، ج٨ ، ص٢٧٤ .
(٢٠٨) الرجال ، ص٢٥ .
(٢٠٩) من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص٥ .
(٢١٠) الرجال ، ص١٤٩ .
(٢١١) ايضا ، ص١٦ .
(٢١٢) النجاشي ، الرجال ، ص٦٠ .

... قويا في الادب قد قرأ كتب الأدب على شيوخ أهل الأدب ...»[٢١٣] .
قال النجاشي كان « احمد بن محمد بن عمران ... استاذنا رحمه الله الحق بالشيوخ في زمانه ...»[٢١٤] . وعندما يترجم الطوسي للمرتضى يقول « هو علي بن الحسين الموسوي ... أكثر أهل زمانه أدبا وفضلا ، متكلم فقيه ، جامع للعلوم كلها ... يروى عن التلعكبري والحسين بن علي بابويه وغيرهم من شيوخنا ... وسمعنا منه اكثر كتبه وقرأناها عليه »[٢١٥] . وعندما يترجم النجاشي لجعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه يقول « وعليه قرأ شيخنا ابو عبدالله الفقه ومنه حمل ، وكل ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه »[٢١٦] . وقال احدهم « اخبرنا الشيخ المفيد ابو علي الحسن بن محمد الطوسي قراءة عليه »[٢١٧] .

ونستنتج من كل ما سبق ، اولا ـ ان لقب « الشيخ » كان من الألقاب التعليمية الأكثر شيوعا عند الامامية في الفترة موضوع البحث . وربما كان اكثر القاب معلمي العلوم بما فيهم الامام ، شيوعا . اذ كان لقب الامام لايطلق عند الامامية في تلك الفترة ، الا على الائمة الأثنى عشر المعصومين(ع) يضاف الى ذلك ان لقب الامام كان بالدرجة الاولى لقبا دينيا مصدره الهي لا بشري . ومما يؤيد ما ذهبت اليه عن الشيخ ما رواه مسكويه ، في معرض كلامه عن تشجيع عضد الدولة البويهي للعلم « فعاشت هذه العلوم وكانت مواتا وتراجع اهلها وكانوا اشتاتا ، ورغب الاحداث في التأدب والشيوخ في التأديب وانبعثت القرائح ونفقت اسواق الفضل وكانت كاسدة ، واخرج من بيت المال اموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفي غيرها ...»[٢١٨] . ثانيا ـ قد يكون حمل العالم للقب « شيخ »

---

(٢١٣) ايضا ، ص٦٨ .
(٢١٤) ايضا ، ص٦٧ .
٢١٥ الطوسي ، الرجال ، ص٤٨٥ .
(٢١٦) الرجال ، ص٩٥ .
(٢١٧) الطوسي ، الامالي ، ص٢٢٣ .
(٢١٨) مسكويه ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٤٠٨ .

من بين الأدلة التي يستدل بها على تحقق اهليته العلمية • كما ان حامله يكون من العلماء المتقدمين في السن على الأغلب • وقد وردت اشارة تؤيد ما ذهبت اليه بهذا الخصوص • قال النجاشي عند ترجمته لابن بابويه القمي « ابو جعفر نزيل الري شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان • وكان ورد بغــداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن ...»[٢١٥] •

ولترتون راى يؤيد فيه ضرورة التقدم في السن لمن يتصدى لتعليم العلوم، يقول فيه يندر ان يتصدى المعلم (يقصد معلم العلوم) للتدريس وهــو حدث السن • ويضرب ترتون امثلة على ذلك منها ان شابا في سن الثامنة عشر رفض ان يدرس العلوم في المدينة لصغر سنه وذهب مع طلبته ليدرس في حديقة تقع خارج المدينة[٢١٦] • ويقول ترتون ايضا ينبغي ان يكون عمر المعلم ، حين يتصدى لتدريس العلوم ، خمسين او اربعين سنة على الأقل ، وينقطع عن التدريس عادة بعد ان يتجاوز سنه الثمانين سنة[٢١٧] •

واعتقد ان الآراء السابقة التي اوردها ترتون عن معلمي العلوم عند المسلمين تنطبق على الامامية منهم ، لأن النظــام التربوي عند الامامية فــرع من التربيــة الاسلامية عامة ، ولان النص الذي أوردته عن النجاشي قبل قليل يسند شطرا من المعلومات المذكورة •

ثالثا ـ يبدو ان لقب « شيخ » عند الامامية يفوق من حيث الأهمية نظيره عند أهل السنة لانه كان ، فضلا عن انه لقب لمعلم العلوم الاعتيادي ، يمنح للمبرزين في العلوم امثال الشيخ الصدوق والمفيد والاسكافي ، شيخ الامامية فــي عهــده ، واخيرا شيخ الطائفة الطوسي • وكان اللقب المذكور عندما يحمله الأمامي المبرز في العلوم ، يقترب من الناحية التعليمية من لقب « الامام » عند أهل السنة الذي حمله سهل بن محمد الصعلوكي (ت ـ ٣٨٧هـ)[٢١٨] وامــام الحرمين استاذ

---

* الارقام من ٢١٥ الى ٢١٨ كررت سهوا •

(٢١٥) الرجال ، ص٣٠٢ •

(٢١٦) Tritton, A.S., Materials On Muslim Edu Cation in the Middle Aqes, London, 1957, p. 123.

(٢١٧) Ibid, p. 221.

(٢١٨) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٥ •

الغزالى[٢١٩] ومما يبرر الاستنتاج المذكور ان الامامية كانوا ، وربما لايزالون، لايستسيغون تلقيب احد بلقب الأمام غير الائمة المعصومين(ع) •

ونختم الكلام عن الشيخ برأى لكاتب أمامى متأخر وهـــوو الشيخ الشهيد الثانى (ت ـ ٩٦٥هـ) يقول فيه « واما الشيخ فانه وان أريد به المتقدم فى العلم ورياسة الحديث لكن لا يدل على التوثيق »[٢٢٠] •

أما لقب استاذ ، فيظهر انه هو الاخر نادر الاستعمال لمعلمى العلوم فى تلك الفترة • ومن الأدلة على ذلك ان الشيخ الطوسى كان لايستعمله ، الا نادرا ، للرجال الذين ترجم لهم فى كتابه الموسوم بـ « الرجال » • ولم اعثر على أستعماله بمثابة لقب لمعلمى العلوم الا مرة في الكتاب المذكور وذلك حين وصف احمد بن اسماعيل بأنه استاذ ابن العميد[٢٢١] • ويبدو ان لقب « استاذ » اصبح مستعملا كأحد القاب معلمى العلوم الشائعة في الفترة اللاحقة للفترة التى تناولها بحثنا • ومن الأدلة على ذلك ورود اللقب المذكور مرات عديدة في رجال الحلى[٢٢٢] • مع انه لم يرد ، كما اشرت سابقا الا مرة واحدة في رجال الطوسى •

ثالثا ـ المـــدرس

يظهر ان لقب المدرس من حيث هو لقب تعليمى كان متأخرا في الاستعمال عن لقب الشيخ • ومع هذا فقد اطلق لقب مدرس على احد العلويين في وقت مبكر • روى المسعودى انه لما ظهر يحيى بن عمر العلوى بالكوفة سنة ثمان واربعين ومائتين وقتله جيش الخليفة العباسى بقيادة الحسين بن اسمعيل جاء الناس للسلام عليه ما عدا علي بن محمد بن جعفر العلوى المعروف بالحمانى الذى كان « مفتيهم وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم »[٢٢٣] •

---

(٢١٩) السبكي ، عبدالوهاب ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، (القاهرة، لا•ت) ص ١٠٣ •

(٢٢٠) الدراية فى علم مصطلح الحديث (النجف ، لا•ت) ص٧٨ •

(٢٢١) الطوسى ، الرجال ، ص ٤٥٥ •

(٢٢٢) الرجال ، ص ١٢،٩١، ١٠، ١٧، ٧٢، ٩، ١١١ •

(٢٢٣) مروج الذهب ، ج٤ (القاهرة ، ١٣٥٧) ص ٩٦ •

ويبدو ان كلمة « مدرس » هنا لاتعني الشخص الذي يقوم بالتدريس في المدرسة لأن المدرسة لم تكن قد ظهرت اولا ، وان الحماني ، كما يبدو ، لم يكن محترفا للتعليم • ثانيا — ويظهر ان لقب مدرس شاع بعد ظهور المدرسة في اواخر القرن الرابع الهجري كما بينا في الفصل الثالث من هذه الرسالة •

واليك الاشارات التي عثرت عليها والتي كانت تحوي كلمة « مدرس » بمعناها الاصطلاحي • قال المقدسي عند كلامه عن جزيرة العرب التي بها بيت الله الحرام ومدينة الرسول(ص) التي منها « انتشر دين الاسلام ••• ثم هي عشرية قد ذكرها الائمة في دواوينهم ، ولابد للمدرسين من معرفته في شروحهم••• » (٢٢٤) • روى البهائي ان احمد بن علي بن الحسين المؤدب (ت ٤٤٨هـ) قال :

تصدر للتدريس كل مهوس | بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا | ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها | كلاها وحتى سامها كل مفلس(٢٢٥)

ولما كان شيوع المدارس وما صحبه من ظهور لقب « مدرس » بمثابة لقب تعليمي تم بعد الفترة التي هي مجال بحثنا فلا نرى ضرورة لخوض هذا الموضوع•

مجلس الدرس وآدابه :

سبق ان بينا عند كلامنا على التدريس في المسجد (٢٢٦) ان الطلبة كانوا يجتمعون حول الشيخ (٢٢٧) على شكل حلق • وكان الطلبة يحرصون على الاقتراب من الشيخ لان ذلك الاجراء سنة اولا ، ولان الفائدة تتحقق لمن يكونون قريبين من الشيخ ثانيا • روى المجلسي ان جابر الجعفي كان يقول « سمعت ابا عبدالله يقول ان عليا (ع) كان يقول اقتربوا ، اقتربوا ، واسألوا فأن العلم يقبض قبضا »(٢٢٨)• وكان الشيخ يستعين في مجلس الدرس ، احيانا ، خاصة اذا كان عدد الطلبة

---

(٢٢٤) احسن التقاسيم ، ص ٦٧ •
(٢٢٥) الكشكول ، ج٣، ص٣٥٧ •
(٢٢٦) ص ٦٤ وما بعدها •
(٢٢٧) يقصد بالشيخ هنا معلم العلوم سواء كان اماما او شيخا او مدرسا •
(٢٢٨) بحار الانوار ، ج١، ص٦٣ •

كبيرا ، برجل يعرف بالمستملي • وعندما قعد الصاحب بن عباد للاملاء ، وحضر الخلق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه فكتب الناس •[٢٢٩] •

وكان المستملي معروفا عند أهل السنة ايضا• قال السبكي ان ابا عمرو ،احمد بن المبارك المستملي •••،[٢٣٠] •

ويورد ترتون تفصيلات عن وظيفة المستملي في النظام التربوي الاسلامي • يقول ترتون :كانت وظيفة المستملي في الحلقات الكبرى اعادة مايقوله معلم العلوم لكي يسمع الطلبة الذين لم يستطيعوا سماع الشيخ • وهناك حالات رفض فيها الطلبة الاكتفاء بالسماع من المستملي • وذات مرة تخطى احد الطلبة رقاب اصحابه ليصل الى مكان الشيخ ليسمع منه كلمة رغم انه سمعها من المستملي • ويقوم المثال المذكور دليلا على حرص الطلبة لان يسمعوا من الشيخ مباشرة دون واسطة •

ويظهر ان طائفة من المستملين كانوا يقومون بوظائف مهمة في مجلس الدرس فمستملي الجبائي مثلا كان يجيب على أسئلة الطلبة • وحدث ان احد المستملين صحح كلمة من القرآن كان الشيخ قد حرفها •

وقد اصبحت وظيفة المستملي ما بين القرنين الثلث والخامس للهجرة معترفا بها • ولم يكن عمل المستملي مقتصرا على معاونة الشيوخ المحدثين بل ان المبرد كان يستعين بأحد المستملين[٢٣١] •

أما عدد الطلبة في الحلقة فيظهر انه كان غير محدود ، ويصعب الوقوف على ارقام تبين عدد الطلبة في الحلقة الواحدة • ويعود ذلك الى عدم توفر الشكليات الموجودة في مؤسسات التعليم الحديثة اولا ، ولان التعليم كان من الاعمال التي لها صبغة دينية ، في الغالب ، لذا كان يصعب على معلم العلوم دفع من شاء التعلم ثانيا •

وكان نظام الحلق معروفا عند اهل السنة ايضا • قال وكيع « ادركت الناس

---

(٢٢٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧،ص١٨٠ •

(٢٣٠) طبقات الشافعية ،ج٢،ص٤٣ •

(٢٣١) Tritton, Op. Cit, p. 35-6.

والحلقة لعلي بن عاصم بواسط »[٢٣٢] .

ويظهر ان عدد الطلبة في مجلس الشيخ في الفترة التي سبقت ظهور المدارس المعروفة غير محدودة . وقد يتناسب العدد المذكور تناسبا طرديا مع شهرة الشيخ ورغبة الطلبة في السماع منه . ومع هذا فقد حذر الشهيد الثاني « الطلبة من التقيد بالمشهورين وترك الاخذ عن الخاملين فأن ذلك من الكبر على العلم وهـو عـين الحماقة لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها »[٢٣٣] .

آداب الشيخ .

للشيخ آداب في نفسه ، وآداب مع طلبته ، وآداب في مجلس درسه .

آ ـ آدابه في نفسه .

١ ـ ان لاينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك ، ويشهد لـه بـه صلحاء شيوخه . قال الامام علي « انما هلك الذيـن قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم ان يتكلم في دين الله بما لايعرف ، فأن الله عز وجل يعذر على الخطأ ان اجهدت رأيك »[٢٣٤] .

٢ ـ صيانة العلم . على الشيخ ان يصون العلم ، كما صانه علماء السلف ، وان لا يذله فيبذله لغير اهله ، والا يذهب الى مكان المتعلم مهما كبر قدره الا ان تدعو اليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية [٢٣٥] . روى الطوسي ان رسول الله قال « تناصحوا في العلم فأن خيانة احدكم في علمه أشد من خيانته فـي ماله وان الله سائلكم يوم القيامة »[٢٣٦] . قال الامام علي كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالأنسان ان يسعى الى « ابواب العلماء الذين يستفاد منهم عـلم الدين والدنيا »[٢٣٧] .

---

(٢٣٢) اليافعي ، المصدر السابق ، ص٣ .

(٢٣٣) منية المريد ، ص ٩٥ـ٦ .

(٢٣٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ١٢ (النجف ، ١٣٥١) ص ١٨٤ .

(٢٣٥) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٥٩ .

(٢٣٦) الامالي ، ص ٧٩ .

(٢٣٧) القمي ، الخصال ، ج٢ ، ص ٤٨ .

٣ ـ ان يكون الشيخ عاملا بعلمه • قال الصادق « العلم مقرون الى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل فأن اجابه والا ارتحل عنه » (٢٣٨) •

٤ ـ بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، وذلك ان الله اخذ على العلماء من العهود ما اخذه على الانبياء ليبينه للناس ولا يكتمونه • قال الصادق « قرأت في كتاب علي (ع) ان الله لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب العلماء حتى اخذ عهدا على العلماء ببذل العلم للجهال ، لان العلم كان قبل الجهل » • قال الجعفي ان الباقر (ع) قال « زكاة العلم ان تعلمه عباد الله » (٢٣٩) •

ومن الجدير بالذكر ان ما اوردناه عن آداب الشيخ في نفسه لايعدو توصيات وردت عن الائمة والشيوخ ، ولا يعني ذلك ان معلمي العلوم التزموا بالتوصيات المذكورة وطبقوها • يضاف الى ذلك ان كثيرا من تلك التوصيات مقتبس من آراء الشهيد الثاني وهو من علماء القرن العاشر للهجرة ، لذا ليس من الضروري ان يكون ما اقترحه هنا قد طبقه معلمو العلوم في الفترة التي تناولها بحثنا •

ومما دعانا للاستفادة من توصيات الشهيد الثاني المذكورة هو انه كان يشير أحيانا الى ان بعض توصياته كانت تقليدا سبق للعلماء الماضين ان اتبعوه ومن ذلك ما أشار اليه في رقم (٢) الذي أوردناه قبل قليل •

ب ـ آداب الشيخ مع طلبته :

لقد اقتبست كثيرا مما أوردته في هذا الباب من توصيات الشهيد الثاني (ت ـ ٩٦٥ هـ) من كبار شيوخ الامامية ، ومن القلائل الذين كتبوا في حقل التربية عند الامامية كما سبق ان اشرت في مقدمة هذه الرسالة • واغلب الظن ان التوصيات المذكورة تمثل تقاليد تعليمية درج عليها الامامية •

---

(٢٣٨) ابن جماعة ، محمد بن ابراهيم ، تذكرة السامع والمتكلم (حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٣) ص ١٦ •

(٢٣٩) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٦١ •

١ - ان يؤدبهم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية ، ورياضة النفس بالاداب الدينية ، وأول ذلك ان يحرص الطالب على الأخلاص لله تعالى في عمله وسعيه ويعرفه الشيخ ان بذلك تنفتح عليه ابواب المعارف وينشرح صدره •

٢ - ان يرغبهم في العلم ويذكر لهم فضائله وفضائل العلماء وانهم ورثة الانبياء[٢٤٠] •

٣ - ان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها • قال ابن عباس اكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس الي لو استطعت الا يقع الذباب عليه لفعلت[٢٤١] •

٤ - ان يزجرهم من سوء الاخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات أو مما يؤدي الى فساد حال أو ترك اشتغال ، بطريق التعريض ما أمكن لا بطريق التصريح ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة[٢٤٢] •

٥ - ان لا يتعاظم على المتعلمين بل يلين لهم ويتواضع قال النبي (ص) علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف •

٦ - ان يكون حريصا على تعليمهم باذلا وسعه في تفقيههم وتقريب الفائدة الى أفهامهم واذهانهم ، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه ، ولا يبسط الكلام بسطا ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وحسب فهمه[٢٤٣] •

٧ - اذا تكمل الطالب وتأهل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعلم فينبغي ان يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك ويأمر الناس بالاشتغال عليه والاخذ عنه • وسبق ان بينا ان الامام الباقر (ع) اذن لابان بن تغلب ان يفتي في مسجد المدينة ، وان الرضا (ع) اشار الى تلميذه يونس بن عبدالرحمن « في العلم والفتيا »[٢٤٤] • وقال الامام موسى بن جعفر (ع) الى علي بن حمزة يلقاك غدا رجل من المغرب اسمه يعقوب « واذا سألك عن الحلال والحرام فاجبه

---

(٢٤٠) ايضا ، ص ٦٤ •
(٢٤١)و(٢٤٢) الشهيد الثاني • منية المريد ، ص ٦٥ •
(٢٤٣) ايضا ، ص ٦٦ •
(٢٤٤) النجاشي • الرجال ، ص ٣٤٨ •

عني ... »[٢٤٥] . وكانت الاجازات التي يمنحها الشيوخ لمن درسوا عليهم من بين الوسائل التي يعبر فيها اولئك الشيوخ عن رأيهم في مقدرة طلبتهم العلمية . وسنوضح ذلك في الفصل الخامس من هذه الرسالة .

ج - آداب الشيخ في مجلس درسه .

ان أكثر ما سنذكره في هذا الباب ، شأنه شأن ما ذكر في الفقرة السابقة لا يعدو توصيات اقتبس اكثرها من كتاب الشهيد الثاني سالف الذكر لـذا ليس من الضروري ان المعلمين تقيدوا بها وطبقوها . وتلخص آداب الشـيخ فـي درسه بما يأتي :

١ - ان لا يخرج الى الدرس الا كامل الاهبة وما يوجب له الوقار والهيبة والنظافة في الثوب والبدن ، ويختار له البياض فأنه أفضـل لباس . وليتطيب ويسرح لحيته ويزل كل ما يشينه . روى الشهيد الثاني ان بعض السلف اذا جاء الناس لطلب الحديث يغتسل ويتطيب ويلبس ثيابا جددا ويضع رداء ، على رأسه ثم يجلس على منصة ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ويقـول احب ان اعظم حديث رسول الله (ص)[٢٤٦] .

أما الموضع الذي يجلس عليه الشيخ فيظهر انه متعدد التسمية . وكـان الكرسي احد المواضع المذكورة . وذات مرة جاء رجل يسأل النبي (ص) عـن دينه فأتي النبي (ص) « بكرسي فقعد عليه فجعل يعلمه ... »[٢٤٧] . وعندمـا كبست دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ سنة ٤٤٩ هـ اخذ « ما وجد من دفاتر وكرسي كان يجلس عليه للكلام ... »[٢٤٨] . وفي سـنة ٣٨٥ هـ جلس القاضي محمد بن النعمان « على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت عـلى الرسم المعتاد المتقدم له ولأخيه بمصر ولابيه بالمغرب »[٢٤٩] . وقد وردت اشارة

---

(٢٤٥) المفيد ، الاختصاص ، ص ٨٩ .
(٢٤٦) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٧٥ .
(٢٤٧) العسقلاني ، ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ١٠٦ .
(٢٤٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨ـ١٧٩ .
(٢٤٩) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص ٢٣٦ .

الى أن الشيخ قد يجلس على سرير . وذات مرة قال ابو العالية الرياحي كان ابن عباس يرفعني على سريره وقريش اسفل منه ...[٢٥٠] . ان ورود الاشــارة المذكورة لا يدل على ان السرير بمثابة موضع لجلوس الشيخ ، كان شائعا . كما ان السرير من الناحية العملية لا يصلح للتدريس ثم أنه صعب النقل عند الحاجة .

وكان المنبر من المواضع التى يجلس عليها الوعاظ ، والشيوخ فى المساجد، ولكن المنبر ، كما يبدو ، لم يكن مخصصا للشيوخ الذين يمتهنون التعليم . وكان الخلفاء والحكام يستعملون المنبر لاغراض مدنية ودينيــة معا . وتستعمل المنابر عادة لاغراض خطبة الجمعة التى لا صلة لها بالتدريس غالباً . ومن الامثلة عــلى استعمال المنبر لغرض الوعظ حين خطب أمير المؤمنين علي (ع) على المنبر فقال ـ « يا أيها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكـــم تهتــدون ، أن العالــــم العامل ...[٢٥١] . وصــــعد أمــير المؤمنين عــلى المنبر بالكوفة فحمــد الله وقال ... »[٢٥٢] .

وقد وردت اشارة الى ان الشيوخ من أهل السنة يستعملون الدكة عندمـا يجلسون للتعليم . وفى مرة اجتاز عبدالله بن محمد البغوى (ت ـ ٣١٧ هـ) فسمع صوت مستمل فسأل عنه فقيل ابن صاعد فقال ـ « والله لا ابرح من موضعي حتى املي من هاهنا . فصعد الدكة »[٢٥٣] وجلس وراءه اصحاب الحديث ، فأملى ستة عشـــر حديثا من ستة عشـــر شــيخا ...[٢٥٤] وقــد ورد ذكــر السدة[٢٥٥] بمثابة موضع لجلوس الشيخ[٢٥٦] .

---

(٢٥٠) ابن جماعة ، التذكرة ، ص ٣٣ (الهامش) .
(٢٥١) الكليني ، الكافي ، ص ١٧ .
(٢٥٢) ايضا ، ص ٣٨٦ .
(٢٥٣) يقول الفيروز آبادى (القاموس المحيط ، مادة «دك») والدكة بالفتح والدكان بالضم بناء يسطح اعلاه للمقعد .
(٢٥٤) المنتظم ، ٦ـ٢٢٨ .
(٢٥٥) يقول الفيروز آبادى (مادة «سدد») السدة بالضم باب الـــدار . سدة مسجد الكوفة وهى ما يبقى من الطاق المسدود .
(٢٥٦) ابن الطقطقى ، الفخرى ، ص ٢٣ .

٢ ـ السلام على الحاضرين والصلاة عند وصول مجلس التدريس • وقد أورد الشهيد الثاني تفصيلات عن الصلاة وكيفية الجلوس والدعاء[٢٥٧] •

٣ ـ ان يحسن خلقه مع جلسائه ويوقر فاضلهم ، ويرفع مجالسهم على حسب تقديمهم في الامامة • قال ابان بن محمد بن ابان بن تغلب « سمعت ابي يقول دخلت مع ابي الى ابي عبدالله فلما بصر به أمر له بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وسأله ورحب به ••• »[٢٥٨] •

٤ ـ اذا سئل عن شيء لا يعرفه أو عرض في درسه ما لا يعرفه فليقل لا اعرفه أو اتحققه أو لا ادري حتى اراجع النظر في ذلك ، ولا يستنكف من ذلك فمن علم العالم ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم[٢٥٩] • وروى عن الامام علي انه قال « ولا يستحي من لا يعلم ان يتعلم ولا يستحي من يعلم ان يعلم »[٢٦٠] •

اعداد معلمي العلوم أنفسهم للتعليم ودرجة تحصيلهم •

سبق ان صنفنا طبقة معلمي العلوم الى أصناف ، كان صنف الائمة الاثني عشر من بينهم • والبحث في دراسة هذا الصنف من المعلمين أو في درجة تحصيلهم من الامور المتعذرة ، لان مصدر علم الائمة المعصومين (ع) ، كما يعتقد الامامية واسلافهم ، كان الهيا لا بشريا • قال ابن شهراشوب (ت٥٨٨هـ) « وائمتنا عليهم السلام خصوا بالعلوم ، لانهم لم يدخلوا مكتب ، ولا تعلموا من معلم ولا تلمذوا لفقيه ، ولا تلقنوا من راو[٢٦١] • وقال ابن طاووس (ت٦٤٤هـ) مخاطبا أبنه ، اعلم « ان علوم ائمتك صلوات الله عليهم كانت آية الله جل جلاله فيهم ، ومعجزة دالة على امامتهم ، لانهم لم يعرف لهم استاذ يترددون اليه ولا يشتغلون عليه ، ولا رآهم شيعتهم ولا اعداؤهم انهم يقرأون تلك العلوم على آبائهم على عادة المتعلمين ولا على صفات المدرسين ، ولا عرف لهم كتاب مصنف اشتغلوا فيه ولا تأليف دروا حفظ معانيه »[٢٦٢] •

---

(٢٥٧) منية المريد ، ص ٧٥ •
(٢٥٨) النجاشي ، الرجال ، ص٩ •
(٢٥٩) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٧٩ •
(٢٦٠) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص ١٨٢ •
(٢٦١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٨ •
(٢٦٢) كشف المحجة ، ص ٤١ •

ويبدو ان التاريخ لا يؤيد العقيدة في هذه النقطة اذ وردت اشـــارات أوردناها في مواضعها من هذه الرسالة ، يستدل منها على ان جماعة من الائمـة المعصومين وجدوا في صغرهم في الكتاتيب مع غيرهم من صبيان المسلمين ، وان بعضهم درس على مؤدبين خاصين • وربما يفسر الامامية وجود الروايات المتعلقـة بتلقي بعض الائمة (ع) علومهم بالطرق الاعتيادية انه نتيجة لوضع الرواة • وارى ان يترك حل هذه القضية للمختصين من العلماء •

أما فيما يتعلق بأعداد الشيوخ فيبدو أنه لم يكن ، فـــي الفترة موضوعة البحث ، نظام خاص لاعداد المعلمين بما فيهم الشيوخ • وكان الاعـــداد العلمي للفرد يقع على مسؤوليته الخاصة ويتأثر بميوله ورغباته • وللاستاذ الطيباوي رأي بهذا الخصوص يقول فيه « كان نظام التربوى الاسلامى حرا ، يقوم على مجهود الافراد لفترة تتعدى القرون الاسلامية الاربعة الاولى • ولم تكن هناك ، في الفترة المذكورة ، مؤسسات تربوية رسمية تسيطر على النظام المذكور »[٢٦٣] •

وبالرغم من وجود المؤسسات العلمية ذات الصلة بالتعليم[٢٦٤] التـــي بحثناها في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، يظهر ان اعداد الشيوخ ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، كان يتم عند الامامية ، في الغالب ، عن طريق الاتصـــال الشخصي بين طالب العلوم ومعلمه •

ومما يؤيد هذا الرأى ان الاجازات التي يمنحها الشيوخ لطلبتهـم كانت شخصية ولم تكن صادرة من معهد علمي مخصص لتعليم العلوم • ثم ان تعـدد تلك الاجازات وصدورها من شيوخ مختلفين يعيشون في أمكنة متعددة ، يـدل على ان الطلبة كانوا يتصلون بعدد من الشيوخ في أمكنة وازمنة مختلفـة تقررها ظروف كل من الشيخ وتلميذه • وسنبين في الفصل الخامس من هـذه الرسالة ان التلعكبرى (ت ٣٨٥ هـ) نال حوالى عشرين اجازة من شيوخ مختلفين[٢٦٥] •

---

(٢٦٣)
Tibawi, A.L., " Philosophy of Muslim Education ", The Islamic Quarterly, IV, 1957 , p. 81.

(٢٦٤) ص ٨٢ •

(٢٦٥) ص ٢٣٠ •

ولم نعثر الا على مثالين عن اعداد معلمي العلـــوم • وكان أحـــد المثالين المذكورين خارجا عن الفترة التى تناولها بحثنا • واليك هذين المثالين :

قال ابو عبيد الجوزجاني « حدثني استاذي ابو علي الحسين بن عبدالله بن سينا قال – فلما بلغت سن التميز ســـلمني ابي الى معلم القرآن ، ثم الى معلم الاداب ، فكان كل شيء قرأه الصبيان على الاديب احفظه ، والذي كلفني استاذي كتاب الصفات ، وكتاب غريب المصنف ، ثم أدب الكتاب ، ثم اصلاح المنطق ، ثم كتاب العين ، ثم شعر الحماسة ، ثم ديوان ابن الرومي ، ثم تصريف المازني ، ثم نحو سيبويه ••• ثم شرعت في الفقه ••• ثم شرعت في علم الطب •••»(٢٦٦) •

واخبر السيد علي بن طاؤوس (ت : ٦٦٤ هـ) ابنه عن دراســته فقال : « وهيأ الله ••• ما كنت اشرت اليه من الفقه المروى عن جدك ســـيد المرسلين وابيك أمير المؤمنين وعترتهما المعصومين (ص) تصنيفا مـن شيعتهم واخبارا كبارا من الكتب وصغارا فاشتغل بالقرأة في الفقه ••• على رجل صالح ورع من أهل هذا العلم ••• وأنا اريد في وصف الاشتغال بما يسهل عليك طلب هذه الامور فأنني اشتغلت بعلم الفقه وقد سبقني جماعة الى التعليم بعدة سنين فحفظت في نحو سنة ما كان عندهم ••• وكنت قد ابتدأت بحفظ الجمل والعقود ••• وكـــان الذين قد سبقوني ما لاحدهم الا الكتاب الذي يشتغل فيه وكان لي عدة كتب في الفقه ••• فصرت أطالع بالليل كل شيء يقرأ فيـــه الجماعـــة الذين تقدموني بالسنين وانظر كل ما قاله مصنف عندي واعرف ما بينهم من الخلاف على عـادة المصنفين ، واذا حضرت مع التلامذة بالنهار اعرف ما لا يعرفـون ••• وفرغت من الجمل والعقود وقرأت (النهاية) فلما فرغت من الجزء الاول منها استظهرت على العلم بالفقه حتى كتب شيخي (محمد بن نما) (ت ٦٤٥ هـ) خطه لي على الجزء الاول وهو عندي الان بما جرت عادته يكتبه على كتابي من شهادته فـي اجازته ••• فقرأت الجزء الثاني من النهاية ايضا ومن كتاب (المبسوط) • وقد

---

(٢٦٦) القزويني ، آثار البلاد واخبار العبـــاد (بيروت ، ١٩٦٠) ص ٢٩٩ – ٣٠٠ •

استغنيت من القراءة بالكلية وقرأت بعد ذلك كتباً لجماعة بغير شرح بل للرواية المرضية • وسمعت ما يطول ذكر تفصيله وخط من سمعت منه وقرأت عليه في اجازات وعلى مجلدات ••• »[٢٦٧] •

ونستنتج مما جاء في النصين السابقين :

اولا ـ ان علاقة الطالب الامامي بشيخه كانت شخصية ، فابن سينا وابن طاووس درسا على شيوخ ولم يدرسا في معهد معين •

ثانيا ـ ان الطالب الامامي كان يدرس كتبا لا مواضيع ، كالفقه ، والكلام وغيرهما ، وسنوضح ذلك عند كلامنا عن المناهج في الفصل الخامس من هذه الرسالة •

ثالثا ـ يظهر ان الطالب كان يدرس على شيوخ متعددين ولعل كثرة الاجازات التي ينالها الطالب تقوم دليلا على ذلك ، لاسيما ان الاجازات كانت تمنح من شيوخ مختلفين لطالب واحد • ومما يؤيد هذا الرأي ان بن طاووس في النص المشار اليه اعلاه ، يرى من التفصيل الممل ان يذكر اسماء من سمع منهم ، اى درس العلوم عليهم ، وان يذكر الخطوط أو الاجازات التي نالها من اولئك الشيوخ •

رابعا ـ يبدو من الاشارة التي أوردها ابن طاووس ان الكتب لم تكن متوفرة لدى جميع الطلبة بصورة كافية لان الذين سبقوه « ما لاحدهم الا الكتاب الذي يشتغل فيه ، وان له عدة كتب في الفقه » على حد قوله •

أما درجة تحصيل الشيوخ فيظهر انها كانت جيدة على الاغلب • ومن الادلة على ذلك :

١ ـ ظهور طائفة من مشاهير معلمي العلوم عند الامامية واسلافهم امثال ابان بن تغلب الذي كان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق واخليت له سارية النبي (ص) • ومحمد بن مسلم الثقفي الذي سمع من الامامين الباقر والصادق (ع) ثلاثين الف حديث • وهشام بن الحكم (ت ١٩٩ هـ) الذي فتق

---

(٢٦٧) ابن طاووس ، كشف المحجة ، ص ١٢٩ـ٣٠ •

الكلام في الامامة • وابو علي النحوي المعـــروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) • والعياشي (من علماء القرن الثالث) صاحب الدار التي كانت كالمدرسة ، على قول ابن داود الحلي ، أو كالمسجد على قول النجاشي ، وابن الجندي واحمد بن محمد بن عمران من شيوخ النجاشي (ت ٤٥٠ هـ) • والصدوق القمي صاحب الامالي الذي كان من المعلمين الكفاة • وقد أوردت تفصيلات وافية عن جهـوده التعليمية عند الكلام على مجالس الدرس • والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) الذي كان يستعين بستة من المستملين ليبلغوا صوته الى الحضور • والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) شيخ الشريف المرتضى والطوسي • والشريفان المرتضى والرضي ، واخيرا شيخ الطائفة الطوسي •

٢ ـ ان هؤلاء المعلمين وغيرهم تركوا عددا كبيرا من المؤلفات المهمة وردت اسماؤها في كتب الفهارس كفهرست الطوسي ، وفهرست ابن النديم ، ورجال النجاشي وغيرها • ومن الجدير بالذكر انه من الصعب ان نعمم على اساس ماذكرنا لان الامثلة السابقة تناولت في الغالب مشاهير الشيوخ •

وقبل الانتهاء من البحث في درجة تحصيل المعلمين اود ان اشير الى نقطة مهمة في النظام التربوي الاسلامي عامة وهي ان معلمي العلـــوم حين يعلمـون والطلبة حين يتعلمون كانوا ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، يعتقدون بأنهم يقومون بعمل من شأنه كسب رضا الله ، لان تعليم العلوم الدينية وتعلمها كانا من فروض الكفاية • واذا تحقق الشعور المذكور لدى المعلم والمتعلم يكون من شأنه ان يحفز كلا منهما للقيام بواجبه على الوجه الأكمل • ويقول طيباوي في هذا الصدد • «ليس هناك من دليل على ان اولئك الذين يعلمون العلوم الدينية او الذين يتعلمونها ، في الفترة الاسلامية الاولى ، كانوا يهتمون في الاوقات التي ينفقونها في عملهم ، أو للأمكنة التي يستخدمونها للقيام بالعمل المذكور ، وذلك لكونهم يشعرون بانهم يعملون لكسب رضا الله »(٢٦٨) •

وان صح ما نقلناه عن النظام التربوي الاسلامي عامة فهو اكثر انطباقا على

---

(٢٦٨)
Tibawi, Op. Cit, Vol. 4 , 1957 , p. 80.

النظام التربوي عند الامامية لانهم ، نظرا للظروف السياسية السيئة التي عاشوا فيها خلال معظم فترات تاريخهم ، كانوا لا يجنون ، في الغالب ، مكاسب دنيوية عندما يعملون على تعليم علوم آل البيت (ع) وتعلمها ، لذا علموها وتعلموها لوجه الله .

الحالة الاجتماعية والمالية لمعلمي العلوم .

أ ـ الحالة الاجتماعية .

قد يكون من الصعوبة بمكان ان نقدر المركزين الديني والاجتماعي اللذين كانا يحتلهما الأئمة المعصومون (ع) . وكان لاولئك الأئمة مركز خطير في نظر شيعتهم وفي نظر معاصريهم من غير الشيعة احيانا . قال خزيمة بن ثابت في حق الامام علي (ع) :

وجدناه اولى الناس بالناس انه　　اطب قريش بالكتاب وبالسنن

وقال الفضل بن العباس مخاطبا احد الأمويين :

وكان ولي العهد بعد محمد　　علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله اظهر دينه　　وانت مع الاشقين فيما تحاربه[269]

ووصف الحسن البصري عليا بانه « رباني هذه الامة »[270] .

وقال الكميت الشاعر العلوي المعروف .

الى النفر البيض الذين بحبهم　　الى الله فيما نابني اتقرب[271]

قال الشريف المرتضى حدثني غير واحد من أهل الادب ان علي بن الحسين (ع) حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا اليه ، وجعلوا يقولون من هذا . فقال الفرزدق ـ

هذا ابن خير عباد الله كلهم　　هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته　　والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا رأته قريش قال قائلها　　الى مكارم هذا ينتهي الكرم

---

(٢٦٩) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٢٣٥ .
(٢٧٠) المرتضى ، الامالي ، ج١ ، ص ٥٢ .
(٢٧١) ايضا ، ج١ ، ص ٦٧ .

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم
اي القبائل ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم (٢٧٢)

وكان القراء لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين • قال سعيد بن المسيب أنه خرج مرة للحج « وخرجنا معه الف راكب ... »(٢٧٣) • قال الامام الباقر (ع) «نحن ولاة أمر الله ، وخزان علم الله ، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله ، طاعتنا فريضة ، وحبنا ايمان ، وبغضنا كفر ، محبنا في الجنة ، ومبغضنا في النار »(٢٧٤) • وذات مرة قال الصادق (ع) لابي بصير « يا ابا بصير نحن شجرة العلم ، ونحن اهل بيت النبي ، وفي دارنا هبط جبرائيل ، ونحن خزان علم الله ، ونحن معادن وحي الله من تبعنا نجا ومن تخلف عنا هلك حقا على الله »(٢٧٥) • وقال الجاحظ ان أئمة الشيعة اشتهروا بـ « الفقه والعلم والتفسير والتأويل »(٢٧٦) •

ويقول دونالدسن ـ « ويمكننا القول لو ان الامامة النظرية عند الشيعة تم لها الحصول على السلطتين الزمنية والروحية لفاقت بذلك البابوية حتى في المع عصورها الذهبية »(٢٧٧) •

هذه لمحة موجزة عن مركز الأئمة الديني والاجتماعي اوردناها هنا ، ونحيل القارىء الى الفصل الاول من هذه الرسالة للوقوف على التفصيلات ، وخاصة ما يتعلق بنظرة الشيعة للأئمة بكونهم مبلغين عن النبي (ص) وانهم معصومون عن الخطأ والخطيئة والنسيان •

---

(٢٧٢) المرتضى ، الامالي ، ج١ ، ص ٦٧ـ٨ •
(٢٧٣) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ٤٣ •
(٢٧٤) ابن شهراشوب ، مناقب ال ابى طالب ، ج٢ ، ص٣٣٦ •
(٢٧٥) القمي ، الامالي ، ص١٨٤ •
(٢٧٦) الرسائل ، ص١٠٦ •
(٢٧٧) عقيدة الشيعة ، ص ٥٠ •

اما مراكز الشيخ الاجتماعي فكان كبيرا يحوطه الأجلال والاحترام • كان الخليل بن احمد يزور تلامذته • ولما عاد تلامذته قال له تلميذه • ان زرتنا فبفضلك ، وان زرناك فلفضلك ، فلك الفضل زائرا ومزورا »[٢٧٨] • وكان ابو عبدالله الحسن بن خالويه ممن استوطن حلب • وصار بها احد افراد الدهر في كل قسم من اقسام الادب والعلم ، وكانت اليه الرحلة في الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه »[٢٧٩] • روى الطوسي ان يوم وفاة المفيد كان «يوما لم ير اعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق »[٢٨٠] • ووصف الشريف المرتضى أحد تلاميذه فقال – قال سيدنا الشريف الاجل المرتضى ذو المجدين ادام الله علوه[٢٨١] • ويبدأ احد تلامذة الشيخ الصدوق القمي المجلس الاول من اماليه ، الذي سبقت الاشارة اليه ، بقوله « اخبرني سيدنا الشيخ الجليل العالم ابو الحسن علي بن محمد بن الحسين القمي ادام الله تأييده ... »[٢٨٢] •

واوصى الشهيد الثاني طالب العلم بان يعترف بعظيم النعمة بالتعليم لانه طلب منه ان يعامله بمثل ما عامله الله تعالى به أي يكون انعامك علي كانعام الله عليك ، ولهذا المعنى قيل انا عبد من تعلمت منه ، ومن علم انسانا مسألة ملك رقه[٢٨٣] •

ب – الحالة المالية لمعلمي العلوم •

كان الأئمة المعصومون (ع) يعلمون ، كما يعتقد الامامية ، على سبيل التبليغ لرسالة اوكل اليهم تبليغها النبي (ص) بأمر من الله • ويترتب على ذلك انه لامجال للبحث عن اخذ الأئمة اجرة على التعليم • ولم ترد اية اشارة في المصادر التي اطلعت عليها ، عن اخذ احد من الأئمة اجرة على تعليم علم من العلوم • اما حالة

---

(٢٧٨) التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ج١ ، ص ٧١ •
(٢٧٩) الثعالبي ، عبدالملك ، يتيمة الدهر ، ج١ ، ص٧٦ •
(٢٨٠) الفهرست ، ص١٨٧ •
(٢٨١) الامالي ، ج١ ، ص١٢٧ •
(٢٨٢) الامالي ، ص١ •
(٢٨٣) منية المريد ، ص٩٢ •

الائمة الذاتية فيظهر انها كانت جيدة لان الائمة كانوا يستوفون الحقوق الشرعية من شيعتهم[284] . ويستوفون ، فضلا عن ذلك ، مبالغ من موارد مختلفة كالوقف والايصاء كما سنبين عند بحثنا في تمويل التعليم عند الامامية .

اما الشيوخ الامامية فليس هناك دليل على انهم كانوا ياخذون اجرة على تعليم العلوم الدينية . وسبق ان بينا ان الصادق (ع) اباح قبول الهدية على تعليم القران في الكتاتيب ، وان الحسين (ع) قدم هدية للمعلم الذي علم احد اولاده سورة الحمد ، ولكن المصادر لم تشر الى ان معلمي العلوم كانوا يقبلون هدايا على تعليم القران . ومثل القران في ذلك بقية العلوم الدينية كالفقه والحديث .

اما اخذ الأجرة على العلوم الاخرى غير الدينيـــة ، فامر يكتنفه الغموض ايضا . فالأجرة على تعليم الحساب والرسائل في الكتاتيب كانت مباحة ، ولكننا لم نعثر في المصادر الا على مثالين اخذ فيهما معلمان للعلوم ، اجرة عـلى تعليم تلك العلوم . وكان احد هذين المعلمين المبرد الذي اخذ اجرة على تعليم النحو . روى ياقوت ان ابن درستويه النحوي قال حدثني الزجاج قال « كنت اخرط الزجاج فاشتهيت النحو ، فلزمت المبرد لتعلمه ، وكان لا يعلم مجانا ولا يعلم باجرة الا على قدرها ... »[285] . اما الثاني فهو الشيخ احمد بن طاهر النحوي (ت٤٦٩هـ) الذي كان له راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر[286] .

ومن الادلة التي تؤيد عدم اخذ معلمي العلوم الدينية اجرة على تعليمها :

اولا ــ قول مؤلف امامي مجهول « وكان في الزمان الاول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لا يطمع في اموال الناس ... »[287] .

ثانيا ــ لقد امتهن عدد كبير من الشيوخ الاماميـة واسلافهـــم مهنا مختلفة بالاضافة الى اشتغالهم بالعلم والتعليم . وكان ميثم التمار ، احد تلامذة الامام علي

---

(٢٨٤) ص ٤٨ وما بعدها .
(٢٨٥) معجم الادباء ، ج١ ، ص١٣١ .
(٢٨٦) الخونساري ، روضات الجنات ، ص٣٣٩ .
(٢٨٧) اداب المتعلم ، مخطوط ، ورقة ، ٤ .

(ع) يبيع التمر في الكوفة[288] وكان الفقيه علي بن الحسين الطاطري يبيع ثيابا يقال لها الطاطريه[289] ، وان نصر بن مزاحم مؤلف كتاب « صفين » كان عطارا[290] ، وكان خالد بن سدير الذي روى عن ابي عبدالله وابي الحسن (ع) صيرفيا بالكوفة[291] ، واشتهر الشيخ ادم ببيع اللؤلؤ[292] ، وان خيبري بن علي الكوفي ، الذي كان له كتاب يرويه عنه محمد بن اسماعيل بن بزيع ، كان طحانا بالكوفة[293] ، وكان داؤد بن ابي يزيد الكوفي ، الذي روى عن ابي عبدالله وابي الحسن عليهما السلام عطارا في الكوفة[294] ، وان داؤد بن سرحان كان عطارا في الكوفة ايضا ، وهو ممن رووا عن أبي عبدالله وابي الحسن عليهما السلام[295] ، وكان محمد بن غالب الذي حدث حميد بن زياد صيرفيا[296] ، وان ربيع بن زكريا كان وراقا في الكوفة[297] وكان رفاعة بن موسى الأسدي الذي روى عن ابي عبدالله (ع) نخاسا في الكوفة[298] ، وكان زياد بن عيسى الحذاء ممن رووا عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع)[299] ، وان سليمان بن عبدالله الديلمي كان « يتجر الى خراسان ويكثر شرى سبي الديلم ، ويحملهم الى الكوفة وغيرها » ، وألف كتاب يوم وليلة يرويه عنه ابنه محمد بن سليمان[300] ، وكان صفوان بن يحيى البجلي بياع السابري ممن رووا عن الرضا (ع)[301] .

---

(٢٨٨) الكشي ، الرجال ، ص ٧٤ .

(٢٨٩) الطوسي ، الفهرست ، ص ١١٨ .

(٢٩٠) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٣٧ .

(٢٩١) النجاشي ، الرجال ، ص ١١٥ .

(٢٩٢) الطوسي ، الفهرست ، ص ٣٩ .

(٢٩٣) النجاشي ، ص ١١٨ .

(٢٩٤) ايضا ، ص ١٢١ .

(٢٩٥) ايضا ، ص ١٢٢ .

(٢٩٦) ايضا ، ص ١٢٤ .

(٢٩٧) ايضا ، ص ١٢٥ .

(٢٩٨) ايضا ، ص ١٢٦ .

(٢٩٩) ايضا ، ١٢٩ .

(٣٠٠) النجاشي ، ص ١٣٨ .

(٣٠١) ايضا ، ص ١٤٨ .

وكان صبيح بن ابو الصباح الصيرفي قد حدث جماعة منهم صفوان بن يحيى بكتابه(٣٠٢) • وان صابر مولى بسام بن عبدالله الصيرفي مولى بني اسد كان ممن رووا عن ابي عبدالله (ع)(٣٠٣) • وكان عبدالله بن ميمون القداح الذي يبرى القداح ممن رووا عن ابي عبدالله(٣٠٤) •

ويظهر ايضا ان طائفة من المشتغلين بتعليم العلوم وتعلمها من اهل السنة كانوا يتعلمون مهنة ليعتاشوا منها • فمحمد بن يوسف البناء (ت ٢٨٦ هـ) الذى لقي ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير ، كان يبني للناس بالاجرة فيأخذ منها دانقا لنفقته ويتصدق بالباقي(٣٠٥) وكانت صناعة محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب « التطريز » وكان اشتغاله بالعلم قد منعه من التكسب فلم يزل مضيقا عليه ،(٣٠٦) • وكان محمد بن صالح الوراق النيسابورى (ت ٣٤٠ هـ) لا يأكل الا من كسب يده(٣٠٧) • وان الامام الفقيه المحدث محمد بن عبدالله الصبغي (ت ٣٤٤) كان يبيع الصبغ بنفسه او يعمله بنفسه في الحانوت على عادة العلماء المتقدمين من الذين كانوا يتسببون في المعاش(٣٠٨) • وكان الفقيه عبد الصمد بن اسحاق (ت ٣٩٧ هـ) « يدق السعد للعطارين بالاجرة ويقتات من ذلك ••• »(٣٠٩) •

وبعدما اوردناه عن اخذ الاجرة على التعليم او عدم اخذها نستنتج ما يأتي :

اولا ـ يظهر ان معلمي الكتاتيب ، سواء كانوا من الشيعة او السنة ، كانوا على العموم يأخذون الاجرة على التعليم الأولى باستثناء تعليم القرآن الذي ترددت طائفة من المعلمين من اخذ الاجرة عليه • وسبق ان بينا الحلول التي اوجدهـ

(٣٠٢) ايضا ، ص ١٥٢ •
(٣٠٣) ايضا ، ص ١٥٣ •
(٣٠٤) ايضا ، ص ١٥٣ •
(٣٠٥) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٦ـ٢٤ •
(٣٠٦) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٢ـ١٧١ •
(٣٠٧) السبكي ، المصدر السابق ، ٢ج ، ص١٦٤ •
(٣٠٨) ايضا ، ج٢ ، ص١٦٨ •
(٣٠٩) ايضا ، ج٢ ، ص٢٤ •

الطوسي والصدوق[٣١٠] لقضية اخذ الأجرة على تعليم القرآن واهمها قبـول الهدية • وكانت الهدية ، كما يبدو ، اجبارية لذا كانت بمثابة اجرة وان اتخذت اسما آخر • وذات مرة سأل احدهم الامام الصادق (ع) عن الاجرة على تعليم القرآن فقال • « المعلم لا يعلم بالاجر ويقبل الهدية اذا أهدى اليه »[٣١١] •

ثانيا ـ يظهر ان اخذ الاجرة على تعليم العلوم كان اكثر شيوعا بين المعلمين السنة منه عند الامامية[٣١٢] ويعود ذلك لاسباب :

اولا ـ قام أئمة الشيعة بقسط وافر من عملية تعليم شيعتهم حتى منتصف القرن الثالث للهجرة • وكانوا (ع) يعلمون كتاب الله وسنة نبيه على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي • وقد استهدفوا من وراء التعليم رضا الله • ولم يؤثر عنهم انهم اخذوا اجرة على تعليمهم • يضاف ذلك انهم كانوا مستقلين اقتصاديا فلا حاجة فيهم لاخذ الاجرة •

اما الشيوخ فيبدو انهم كانوا يسدون معظم نفقاتهم من المهن الحرة التـي يمتهنونها كما أشرنا الى ذلك قبل قليل • وربما تلقى بعض الشيوخ من الائمة او من وكلائهم بعد نهاية عصرهم معونات مالية من الحقوق الشرعية التي كان يستوفيها الائمة في حياتهم ووكلاؤهم أو المجتهدون ، كما يسمون اليوم ، من بعدهم •

ولاشك ان الاشارات التي ظهر منها ان الأئمة ساعدوا طائفة من طلبة علوم آل البيت تعد سنة واجبة الاتباع من قبل وكلاء الأئمة الذين تعد رعاية المشتغلين بتلك العلوم من اهم واجباتهم • يضاف الى ذلك ان بعض المتمكنين اقتصاديا قدموا مبالغ محترمة لتمويل التعليم عند الامامية ، امثال العياشي الـذي انفـق (٣٠٠) الف دينار للغرض المذكور • واوقف المرتضى قرية على كاغد الفقهاء ، وأسس الرضي دار العلم ، كما اسلفنا ، وانفق على طلبتها • اما ابن سوار فكان ينفق على مرتادي دار الكتب التي أسسها في البصرة بما فيهم الشيخ المقيم هناك دائما لتعليم علم الكلام • وقد شرحنا ذلك في الفصل

---

(٣١٠) ص ١١٨ وما بعدها •

(٣١١) الجزائري ، نعمة الله ، الانوار النعمانية (حجر ، ايران) ص١٩٨ •

(٣١٢) ص ٤٧ •

الثاني من هذه الرسالة(٣١٣) • اما الهبات السخية التي قدمها البويهيون للمشتغلين بعلوم آل البيت فقد سبق ذكرها في مواضعها من هذه الرسالة • يضاف الى ما سبق ان اسماعيل بن عباد ، المعروف بالصاحب ، « كانت ايامه للعلوية والعلماء والادباء ، وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضائلهم ومترع آمالهم وامواله مصروفة اليهم وصنائعه مقصورة عليهم »(٣١٤) •

ثانيا ـ كان الخلفاء الامويون والعباسيون ، كما بينا في فصول سابقة ، ينظرون الى تعاليم الشيعة بأنها مهددة لكيانهم السياسي • وعد معظم فقهاء السنة عقائد الشيعة بأنها تخالف ما اتفقوا عليه من تقاليد مذهبية ، لذا لم يقلدوا شيوخ الشيعة وظائف التدريس والافتاء ، ولم يبيحوا تدريس فقههم في المساجد وفي المدارس بعد ظهورها • ولعل النص التالي يلقي ضوءا على وجهة نظر اكثرية فقهاء العامة أو اهل السنة عن الشيعة • روى الخونساري انه عرضت ذات مرة مسألة فقهية للشاه خدابنده فسأل فيها من حضره من فقهاء العامة فلم يعجبه ما قالوا في الموضوع • ولما ذكر له العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) ارسل عليه ليستفتيه « فلما بعث اليه قال علماء العامة ان له مذهبا باطلا ولا عقل للروافض ••• »(٣١٥) وكان الموقف الرسمي السابق جزءا من سياسة الدول السنية ، ما عدا فترة الحكم البويهي في ايران والعراق • وحتى في العهد البويهي امتنع الخلفاء ، كما بينا سابقا ، عن اسناد منصب قاضي القضاة لرجل شيعي •

وكان الخلفاء يحتفظون ، في معظم فترات العهد البويهي ، بنفوذهم الديني لذا عملوا على ابعاد الشيعة ، كما كان جاريا من قبل ، عن المناصب الدينية بما فيها التدريس • ونتج عن موقف الخلفاء المذكور ، سواء كان ذلك في العهد الاموي او العباسي ، ان حرم المعلمون الشيعة من شغل الوظائف التدريسية في مؤسسات الدولة من مساجد وغيرها ، ومن ثم حرموا الدخول المالية التي كانت تدرها تلك

---

(٣١٣) ص ٥٥ وما بعدها •
(٣١٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٣ ، ص ٣٢ •
(٣١٥) الخونساري ، روضات الجنات ، ص١٧٥ •

الوظائف[٣١٦] . ولما كانت الاجور التي تدفعها الدولة ، بكونها اكبر مؤسسة تنفق على التعليم ، يذهب معظمها او كلها تقريب المعلمين السنة لم يبق للمعلمين الشيعة نصيب من ذلك المورد الكبير .

ولعل في الاخبار التالية ما يشير الى ان عناية الخلفاء ، في الفترة موضوع البحث ، كانت موجهة ، في الغالب ، لعلماء أهل السنة بما فيهم من تصدوا للتعليم دون علماء الامامية ومعلميهم . قال علي بن المبارك اللحياني اردت ان ادرس النوادر على الكسائي فدخلت عليه وهو جالس على كرسي ملوكي وعليه مقدارية مشهرة ، وعلى رأسه بطيخية ... قال ثعلب «وكان السلطان قد افسده ...»[٣١٧] . قال السبكي عند كلامه عن امتحان المأمون للناس بخلق القرآن وممن « امتحن فيها من العلماء عفان بن مسلم الحافظ ، ولما دعي وعرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع قيل قد رسمنا بقطع عطائك وكان يعطى الف درهم في كل شهر »[٣١٨] .

وقد وردت اشارة يظهر منها ان بعض الخلفاء كانوا يعزفون عن تقريب من عرف عنه الميل الى التشيع من العلماء . روى ياقوت ان ابا العيناء محمد بن القسم البصري (ت ـ ٢٨٣ هـ) قال « قال لي المتوكل ـ بلغني انك رافضي ، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضيا وبلدي البصرة ، ومنشئي مسجد جامعها ، واستاذي الاصمعي ... »[٣١٩] .

ولترتون رأي في اخذ المعلمين الاجرة على تعليم العلوم او عدم اخذها في العصور الاسلامية الاولى يقول فيه « كان المسلمون في العصور الاسلامية الاولى يعدون اخذ الاجرة على التعليم ، وخاصة تعليم القرآن والعلوم الدينية الاخرى ، من الامور المحظورة » . ويرى ان طائفة من معلمي العلوم غالت في الامتناع عن اخذ الاجرة على التعليم . ويورد قصصا طريفة في هذا الباب منها ان أحدا

---

(٣١٦) ص ٤٧ .
(٣١٧) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٥ ، ص٢٩٩ .
(٣١٨) طبقات الشافعية ، ج١ ، ص٢٠٩ .
(٣١٩) ياقوت ، معجم الادباء ، ج١ ، ص١٥٣ .

الشيوخ كان يسير مع احد طلبته نزلت رجل الشيخ فوقع في بئر قريبة ، فبادر تلميذه لانقاذه من البئر ، فامتنع الشيخ قائلا ان انقاذ تلميذه له قد يعد بمثابة اجرة له عن تعليمه اياه وحينئذ يفقد الثواب الاخروي الذى كان يرجوه من وراء التعليم المذكـــور .

ويرجح ترتون ان النظامية كانت أول معهد تقاضى معلموه أجرة على تعليم العلوم [٣٢٠] .

لباس معلمي العلـوم

لقد اتخذ الشيعة البياض شعارا لهم ، في الفترة موضوع البحث ، واعتدوا ذلك سـنة لان النبي(ص) قال ـ « البسوا البياض فانه اطيب واطهر »[٣٢١] . وعندما قدم الصادق (ع) لمقابلة المنصور في الهاشمية « لبس ثياب بياض وكمـة بيضاء ، فلما دخل عليه قال له ابو جعفر لقد تشبهت بالانبياء . فقال أبو عبدالله (ع) واني يبعدني عن ابناء الانبياء ...»[٣٢٣] وكان ائمة الشيعة يكرهون لبس السواد . وذات مرة كان الصادق بالحيرة فأتاه رسول ابي جعفر المنصـور يدعوه « فدعا بممطر احد وجهيه اسود والآخر ابيض فلبسه ثم قال ابو عبدالله(ع) أما اني البسه وانا اعلم انه لباس أهل النار . » وقال ان النبي(ص) يكره السواد الا في ثلاث الخف والعمامة والكساء »[٣٢٤] . روى الطوسي ان الصادق سئل عن الصلاة في القلنسوة السوداء فقال « لاتصل فيها فانها لباس أهل النار»[٣٢٥] .

ولما ثار ابراهيم بن عبدالله العلوي اتخذ البياض شعارا له وتبعه أهل البصرة في ذلك [٣٢٦] . وعندما ثار احد العلويين في الكوفة سنة ٢٠٢هـ اتخذ البيض

---

(٣٢٠) Tritton, Op. Cit, Vol. 43 , 1953 , p. 90.

(٣٢١) الكليني ، الفروع (تبريز ، ١٣١٣) ص٢٠٤ .

(٣٢٢) الكمة بالضم ـ القلنسوة المدورة .

(٣٢٣) الكليني ، ص ٢٠٤ .

(٣٢٤) ايضا ، ص٢٠٥ .

(٣٢٥) الطوسي ، محمد بن الحسن ، الخلاف ، ج١ (النجف ، لا٠ت) ص١٧٥ .

(٣٢٦) الطبري ، ج٩ ، ص٢٥٠ ـ ٥١ .

شعارا له برغم ان انصار المأمون وولى عهده الامام الرضا كانوا يلبسون الخضرة [٣٢٧] . ولم تصبح الخضرة شعار العلويين الا في اواخر القرن الثامن للهجرة [٣٢٨] . ويعتقد ميتز بوجود علاقة بين لباس الشيعة وبين اللباس الابيض الذى اتخذته الفرق الغنوسطية [٣٢٩] . ويظهر ان التعليل المذكور بعيد الاحتمال ، وان اتخاذ الامامية واسلافهم لباس البياض شعارا لهم لاسباب تعبدية لانه من السنة ، أو سياسية وذلك رغبة في مقاومة الشعار العباسي وهو السواد . ومما يؤيد ذلك ان الشيعة استبدلوا بالبياض السواد والخضرة ، وهما شعار العلويين اليوم ، بعد ان زالت الضرورات السياسية . وذلك حين ضعفت السلطة العباسية ، التي كانت تتخذ السواد شعارا لها ، في كثير من الولايات الاسلامية بعد ان استقلت تلك الولايات عن الخلافة تدريجا ، ثم زوال تلك السلطة بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة .

ورغم ما عرف عن ائمة الشيعة من عزوف عن مباهيج الدنيا ، فانهم كانوا يراعون تطورات الزمن في لبسهم . وذات مرة سأل احدهم الامام الصادق فقال - « ذكرت ان علي بن ابى طالب كان يلبس الخشن ، يلبس القميص بأربعة دراهم وما اشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجديد . فقال له ان علي بن ابى طالب كان يلبس ذلك في زمان لاينكر ولو لبس ذلك اليوم شهر به فخير لباس كل زمان لباس اهله ... » [٣٣٠] .

وقد وردت اشارات متفرقة عن لباس الائمة وشيوخ الشيعة لا يمكن ان نستنتج منها قاعدة عامة . واليك أهم الاشارات المذكورة . لبس الائمة الطيلسان والدراعة . روى الكليني ان سلمان بن راشد روى عن أبيه قال - « رأيت علي ابن الحسين (ع) وعليه دراعة سوداء وطيلسان ازرق» [٣٣١] . وقد سمع أحدهم

---

(٣٢٧) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٣ ، ص١٧٦ .
(٣٢٨) ميتز ، الحضارة الاسلامية ، ج١، ص ١٠٥ .
(٣٢٩) ايضا ، ج١ ، ص١٠٤ .
(٣٣٠) الكليني ، الكافي ، ص١٦٣ .
(٣٣١) الكليني ، ج٦ ، ص٤٤٩ .

الصادق يقول ـ « لبس رسول الله (ص) الطاق والساج والخمايص »[٣٣٢] . ولبس الصادق (ع) ملحفة وردية . دخل احد تلامذة الصادق عليه فوجده « في بيت منجد وعليه ملحفة وردية واكتحل » ثم يقول « فسألناه عن مسائل »[٣٣٣] . وكان الامام الصادق (ع) يلبس الجبة . قال احدهم « رأيت ابا عبدالله (ع) وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه وفوقها جبة صوف وفوقها قميص غليظ »[٣٣٤] . وشوهد الامام محمد الجواد (ع) يلبس الرداء والقميص. قال علي بن ابراهيم بن هاشم حدثني ابي قال « لما مات ابو الحسن الرضا (ع) حججنا فدخلنا على ابي جعفر (ع) وقد حضر خلق من الشيعة لينظروا الى ابي جعفر (ع) ... وخرج ابو جعفر من الحجرة وعليه قميص قصب ، ورداء قصب ... وقام الشيعة وقعد ابو جعفر على كرسي ... (فقال الناس) يا سيدنا اتأذن لنا ان نسألك ؟ قال نعم . فسألوه في مجلس عن ثلاثين الف مسألة فاجابهم فيها ... »[٣٣٥] . ورغم ظهور المبالغة في عدد الاسئلة التي أجاب عليها الامام، فان ما يهمنا من ايراد النص وصف ملابس الامام الذي ورد فيه .

وقد وردت اشارة الى أن الشيوخ الامامية كانوا يلبسون القميص والرداء . قال الفضل بن شاذان كنت مع ابي رحمه الله « اذ جاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسي ورداء نرسي وفي رجله نعل مخصر فسلم على ابي ... فلما ان مضى ... قلت من هذا الشيخ؟ فقال هذا الحسن بن علي بن فضال ... فكان بعد ذلك يختلف الى ابي ، ثم خرجت اليه بعد الى الكوفة فسمعت منه كتاب ابي بكير وغيره ... »[٣٣٦] .

---

(٣٣٢) الساج الطيلسان الاخضر او الاسود ، والطاق ضرب من الثياب او الطيلسان ، الخميصة كساء اسود مربع له علمان (الكليني ، الفروع ، ص٢٠٢) .

(٣٣٣) الكليني ، ج٦، ص٤٤٨ .

(٣٣٤) ايضا ، ج١ ، ص٤٥٠ .

(٣٣٥) المفيد ، الاختصاص ، ص١٠٢ .

(٣٣٦) النجاشي ، الرجال ، ص٢٧ .

أما لباس الرأس عند الامامية فهو العمامة • قال رسول الله (ص) العمائم تيجان العرب • روى الصادق ان رسول الله (ص) عليه (ع) بيده فسد لها من بين يدي يديه وقصرها من خلفه قدر اربع اصابع ثم قال ادبر فادبر ثم اقبل فأقبل ثم قال هكذا تيجان الملائكة [٣٢٧] • وعندما زار الشيعة الامام الجواد عند توليه الامامة خرج عليهم « ابو جعفر وعليه قميصان وازار عدني وعمامة بذأوبتين ، احداهما من قدام والاخرى من خلفه ••• » [٣٢٨] • وشوهد الشريف الرضي يلبس العمامة [٣٢٩] •

ويبدو ان القلانس كانت تستعمل لباسا للرأس ايضا • قال الامام الصادق ان رسول الله (ص) كان يلبس القلانس اليمنية والبيضاء والمضربة ذات الاذنين في الحرب • وقال الصادق مرة لاحدهم « اعمل لي قلانس بيضا ولا تكسرها فان السيد مثلي لا يلبس المكسر » [٣٤٠] •

اما الاحتذاء فقد اكد الأئمة الوصية بضرورته • قال الامام علي (ع) « استجادة الحذاء وقاية للبدن وعون على الصلاة والطهارة » • وقد اهدى الصادق (ع) لاحد اصحابه نعلا معقبة مخصرة من وسطها لها قبالان ولها رؤوس • وقال « هذا حذو النبي (ص) » [٣٤١] وكان الأئمة لا يلبسون النعال السود لانها تضر بالبصر ••• » [٣٤٢] •واوصوا مواليهم بلبس الخف لانها « امان من السل » [٣٤٣] •

ان جميع الاشارات السابقة لا تساعد الباحث ، كما بينت ، على استنتاج قاعدة عامة وقد عثرت على الاشارة التالية وهي من الوضوح بحيث تساعد القارىء ، بالاستعانة بالاشارات المتفرقة التي اوردتها قبل قليل ، ان يتصور اللباس الذي يلبسه الشيخ الامامي عند تدريسه للحديث •

---

(٣٢٧) الكليني ، الكافي ، ص٢٠٥ •
(٣٢٨) المسعودي ، الوصية ، ص١٨٤ •
(٣٢٩) الخونساري ، روضات ، ص٥٤٩ •
(٣٤٠) الكليني ، الفروع ، ص ٢٠٨ •
(٣٤١) الكليني ، الكافي ، ص٢٠٩ •
(٣٤٢) الكليني ، الفروع ، ص٢٠٩ •
(٣٤٣) ايضا ، ص٢١٠ •

سمع الصاحب بن عباد الحديث واملى « وروى ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بكيا • قال سمعت ابا الفضل زيد بن صالح الحنفي يقول لما عزم الصاحب اسماعيل بن عباد على الاملاء، وكان حينئذ في الوزارة خرج يوما متطلسا متحنكا بزي أهل العلم ••• فقعد للاملاء • وحضر الخاق الكثير وكان المستملي الواحد ينضاف اليه ستة كل يبلغ صاحبه فكتب الناس ••• »[٣٤٤] • ويظهر من هذا ان الطليسان كان زي العلماء •

ومما يؤيد ان الطيلسان هو زي العلماء رواية المقدسي التي جاء فيها « اما الفقهاء والكبراء فيتطيلسون ولا يتحنكون الا من يستحق ••• ولا يتطيلس بما وراء النهر الا كبير انما هي الاقبية المفتوحة ، وبمرو انصاف العلمـــاء يجعلون الطيالسة على احد اكتافهم مجتمعة فاذا ارادوا ان يرفعوا فقيها امروه بالتطيلس »[٣٤٥]•

ويظهر ان شيوخ اهل السنة كانوا يستعملون الطيلسان • والدليل على ذلك نص المقدسي السابق • وذلك لأن اهل خراسان وعاصمتها مرو كانت عند زيارة المقدسي اليها حوالـي ٣٧٨ هـ ، خاضعة للسامانيين « وميلهـم الى مذهـبم ابـي حنيفة »[٣٤٦] يضاف الى ذلك ان ابن جبير وجد خطيب مـكة وعليه طيلســـان شرب رتيق[٣٤٧] • وكان الشيخ عثمان بن عيسى البلطـي يتطيلس ولا يـدير الطيلسان على عنقه بل يرسله[٣٤٨] • وبلغت شهرة داود بن علـي (٢٧٠ هـ) حدا كبيرا وقيل « كان في مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان اخضـــر »[٣٤٩] • ويقول ترتون « كان الطيلسان في معظم البلدان الاسلامية لباس العلماء »[٣٥٠].

---

(٣٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص١٨٠ •
(٣٤٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٣٢٨ •
(٣٤٦) ايضا ، ص٣٣٨ ــ ٩ •
(٣٤٧) الرحلـة ، ص٦٧ •
(٣٤٨) الخونساري ، روضات ، ص٤٤٨ •
(٣٤٩) السبكي ، المصدر ذاته ، ج٢ ، ص٤٣ •
(٣٥٠) Tritton, Op. Cit, Vol, 43, 1954, P. 90.

الفصل الرابــع

الطلبــة

اولا - صبيان الكتاتيب .

روى ان الامام علي (ع) قال « قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته ، وانما كان ذلك لان الصغير افرغ قلبا ، واقل شغلا ، وايسر تبدلا ، واكثر تواضعا » .

ومن المحتمل ان الامامية اتخذوا من قول علي (ع) سنة وارسلوا صبيانهم للكتاتيب في سن مبكرة .

وقد وردت توصية على لسان كاتب من اهل السنة وهو الماوردي قال فيها « التعلم في الصغر احمد »[1] . ويصبح ما قلناه عن الحديث السابق للامام علي على قول الماوردي وذلك فيما يخص مراعاة اهل السنة لصغر السن عند ارسال صبيانهم للكتاتيب او عدم مراعاتهم لذلك .

يتراوح سن الدخول الى الكتاب عند الامامية بين السادسة والسابعة من عمر الصبي . قال الامام علي (ع) « يرخى الصبي سبعا ويؤدب سبعا ... »[2] . وقال الصادق « اكرم صبيك حتى ياتي عليه ست سنين ، ثم ادبه في الكتاب ست سنين ، ثم ضمه اليك سبع سنين فأدبه فان قبل وصلح والا فخل عنه »[3] . وقال ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) « اذا اتى على الصبي من احواله ست سنين فيجب ان يقدم الى المؤدب والمعلم ويدرج ايضا في ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة »[4] وسبق ان بينا ان احدهم رأى علي بن محمد الجواد (ع) وعمره سبع سنين او أقل يقرأ اللوح في كتابه[5] .

---

(١) الماوردي ، ادب الدين والدنيا (القاهرة ، ١٣٧١) ص٢٨ .

(٢) الطبرسي ، الحسن بن الفضل ، مكارم الأخلاق (القاهرة ، ١٣١١) ص٧٤ - ٥ .

(٣) ايضاً ، ص٧٤ - ٥ .

(٤) ابن سينا ، القانون ، ج١ (القاهرة ، لا.ت) ص ١٥٧ .

(٥) المسعودي ، الوصية ، ص١٩١ - ٢ .

وهناك حالات نادرة بدأ فيها الصبيان الكتابة في سن مبكرة . فالسيد عبد الكريم بن احمد بن طاووس « استقل بالكتابة واستغنى عن المعلم في اربعين يوما وعمره اذ ذاك اربع سنين » . كما ان عبدالكريم نفسه « حفظ القرآن في مدة يسيرة وله احدى عشر سنة »[٦] . واوردنا الروايات السابقة دون ان نقر ما ورد فيها من مبالغة .

وقد وردت حالات قدرت فيها بداية مرحلة التعليم الاولي لدى جماعة من الصبيان دون ذكر ارقام تبين عمر الصبي عند بداية المرحلة المذكورة . فعلي بن الحسين الذي عرف بالمرتضى فيما بعد كان « يقرأ مع اخيه الرضي على ابن نباته صاحب الخطب وهما طفلان »[٧] . قال ابو عبيد الجوزجاني حدثني استاذي ابن سينا قال « فلما بلغت سن التمييز سلمني ابي الى معلم القرآن ، ثم الى معلم الادب ، فكان كل شيء قرأه الصبيان على الاديب احفظه ... »[٨] .

ونرجح من كل ما سبق ان السنة السادسة او السابعة هي التي يبدأ بها الصبي تعليمه الاولي .

ويرى ترتون ان السن التي يبدأ فيها الصبي المسلم دراسته الاولية كانت تتراوح بين السنة الخامسة والسابعة من عمره[٩] .

وعندما يرسل الصبي للكتاب في السن المذكورة يأخذ في تعلم القراءة والخط وهما من أهم المواضيع التي تدرس بالكتاب كما سنفصل ذلك عندالبحث في منهج الكتاب في فصل قادم .

وقد وردت اشارات يستدل منها ان طائفة من قادة الفكر الامامية ، نصحوا اباء الصبيان بوجوب العناية بصحة ابنائهم الجسمية بالاضافة الى العناية بتعليمهم . قال الامام علي (ع) مخاطبا اباء الصبيان « اغسلوا صبيانكم من الغمر فان الشيطان

---

(٦) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص٢٢٧ – ٨ .
(٧) الافندي ، عبدالله بن عيسى ، رياض العلماء (مخطوط) ورقة ٤٧٢ .
(٨) القزويني ، المصدر السابق ، ص٢٢٩ – ٣٠٠ .
(٩) Tritton, Op, Cit, p. 17.

يشم الخمر فيفزع الصبي من رقاده ، ويتأذى به الكاتبان »[١٠] . وقال الامام الصادق لمؤدب اولاده « اذا زكم احد اولادي فأعلمني »[١١] . روى البهائي ان احدهم قال « لمعلم ابنه علمه السباحة قبل الكتابة ، فأنه يجد من يكتب له ولايجد من يسبح عنه ... »[١٢] . ورسم ابن سينا قواعد لحياة طفل منظمة بقوله ـ « واذا انتبه الصبي من نومه فالاحرى ان يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ، ثم يطعم شيئا يسيرا ، ثم يطلق له اللعب الاطول ثم يستحم ثم يغذى ، ويجنبونه ما امكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذه فيهم نيا قبل الهضم ، واذا اتى عليه من احواله ست سنين فيجب ان يقدم الى المؤدب والمعلم ويدرج ايضا في ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة ، واذا بلغ سنهم هذا السن نقص من احمامهم وزيد من لعبهم قبل الطعام ... وليطلق لهم من الماء البارد العذب النقي شهوتهم ويكون هذا النهج في تدبيرهم الى ان يوافوا الرابع عشر من سنيهم ... »[١٣] .

ومن الجدير بالذكر اننا لايمكن ان نستنتج قواعد عامة من الأشارات السابقة ، وان معظم الاشارات المذكورة لا تعدو كونها نصائح لا نستطيع الجزم بأنها طبقت في الواقع .

لقد اعتنى الأمامية واسلافهم من الشيعة تربية اولادهم اهتماما كبيرا كما تنص القواعد التالية .

روى علي بن ابي طالب (ع) ان الرسول (ص) قال ـ « حق الولد على والده ان يحسن اسمه وادبه ، ويضعه موضعا صالحا ، وحق الوالد على ولده ان لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس امامه ، ولا يدخل معه الحمام »[١٤] . وقال الطبرسي « ان رسول الله (ص) قبل الحسن والحسين

(١٠) القمي ، علل الشرائع ، ص٥٥٧ .
(١١) العاملي ، الفصول ، ص٤٤١ .
(١٢) الكشكول ، ج٣ ، ص٣٦٥ .
(١٣) ابن سينا ، القانون ، ج١ ، ص١٥٧ .
(١٤) القمي ، من لايحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٢٦٩ .

فقال الأقرع بن حابس ان لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم ، فقال ما علي ان نزع الله الرحمة منك » • وقال (ص) « سموا اولادكم اسماء الانبياء واحسن الاسماء عبدالله وعبدالرحمن » • وقال ايضا من حق الولد على والده ثلاثة يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ » • وقال (ص) « لئن يؤدب احدكم ولده خير له من ان يتصدق بنصف صاع كل يوم » • وقال (ص) « اكرموا اولادكم واحسنوا ادبهم »[15] • وروى الكشي ان علي بن الحسين كان يقول لبنيه « جالسوا أهل الدين والمعرفة ، فان لم تقدروا عليهم فالوحدة آنس واسلم ، فان ابيتم الا مجالسة الناس فجالسوا اهل المروات فانهم لا يرفثون في مجالسهم »[16] • وقال الصادق « بر الرجل بولده بره بوالديه » • وقال الصادق ايضا — « من نعم الله عز وجل على الرجل ان يشبهه ولده »[17] •

وقد يستنتج من الحديث التالي ان الأمامية جعلوا تربية الأولاد من الأمور الملزمة شرعا • روى الكليني ان الفضل بن شاذان قال ان الصادق (ع) قال « لو ان رجلا ضرب ابنه غير مسرف في ذلك يريد تأديبه فقتل الأبن من ذلك الضرب ورثه الاب ولم تلزمه الكفارة لان ذلك للأب لانه مأمور بتأديب ولده • لانه في ذلك بمنزلة الامام يقيم حدا على رجل فمات فلا دية عليه ولا يسمى الامام قاتلا »[18] • واكد ابن سينا على العناية بأخلاق الصبي فقال « يجب ان يكون وكد العناية مصروفا الى مراعاة اخلاق الصبي فيعدل ، وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر ، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن اليه ، فيقرب اليه واما الذي يكرهه فينحى عن وجهه ، وفي ذلك منفعتان احدهما في نفسه بان ينشأ من الطفولة حسن الاخلاق ويصير ذلك له ملكة لازمة ، والثانية لبدنه ، فانه كما ان الاخلاق الرديئة تابعة

---

(١٥) مكارم الأخلاق ، ص٧٤ •
(١٦) الرجال ، ص٤١٩ •
(١٧) الطبسي ، مكارم الأخلاق ، ص٧٤ •
(١٨) الكافي ، ج٧ ، ص١٤٢ •

لانواع سوء المزاج فكذلك اذا حدثت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب ايها ... »[19] .

وقد وردت اشارات تتضمن نصائح تربوية منها :

أ ـ ضرورة وجود فترات بين الدروس ، فنصح الجزائري المعلم بأن « يخرج عن الصبيان احيانا ويتركهم وأنفسهم لئلا تموت قلوبهم من كثرة جلوسه معهم ، ولا شيء في الدنيا احب الى الطفل من مرض معلمه أو غيبته »[20] .

ب ـ تجنب الارهاق في التعليم . روى عن الامام علي (ع) انه قال ـ « القلب اذا اكره عمي »[21] .

ج ـ انجز الوعد للصبيان ورحمتهم من العوامل المفيدة في تربيتهم . قال الطبرسي ان النبي (ص) قال ـ « اكرموا اولادكم واحسنوا ادبهم يغفر لكم »[22] . وذات مرة قال الصادق (ع) « احبوا الصبيان وارحموهم واذا وعدتموهم ففوا لهم فانهم لا يرون الا انكم ترزقونهم »[23] .

وقد اورد مؤلف امامي مجهول نصائح تربوية للصبيان منها ان « الكذب يورث الفقر ... وكذا كثرة النوم ، ثم النوم عريانا ، والبول عريانا ... والتهاون بسقاط المائدة وحرق قشر البصل والتوم وكنس البيت في الليل ... ونداء الابوين باسمهما ... والابتكار (كذا) في الذهب الى السوق والابطاء في الرجوع منه ، وشراء كسرات الخبز من الفقراء والسائلين ، ودعاء الشر على الوالدين ، وترك تطهير الاواني ... »[24] .

واستنتج من كل ما اوردته في اعلاه عن التعليم الأولي عند الامامية ـ

اولا ـ ان معظم ما عثرت عليه في المصادر لا يعدو احاديث عن النبي (ص)

---

(١٩) القانون ، ج١ ، ص١٥٧ .
(٢٠) الجزائري ، نعمة الله ، الانوار النعمانية ، ص١٩٦ .
(٢١) المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص٢ .
(٢٢) مكارم الأخلاق ، ص٧٤ .
(٢٣) القمي ، من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص٣١١ .
(٢٤) آداب المعلمين (ضمن مجموعة جامع المقدمات) ص٢٠٠ .

او الأئمة (ع) وتوصيات لطائفة من قادة الفكر الامامي • ولا استطيع الجزم ، نظرا لصمت المصادر ، بأن جميع الاحاديث والتوصيات المذكورة كانت قد طبقت في الحياة العملية •

ثانيا ـ ان الاستدلال بالاحاديث والتوصيات السابقة لايعني الاعتراف بصدورها جميعا عن قائليها ، ولكن ذلك لا ينقص من اتخاذها بمثابة وسيلة لشرح وجهة نظر الامامية ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، فيما يتعلق بالقضايا التي تضمنتها تلك الاحاديث •

فالاحاديث ، كما اعتقد ، ان عجزت احيانا ، عن وصف ما كان ، فهي ، دون شك ، تصف ما يجب ان يكون في نظر ذوي العلاقة والمربين على السواء ، لا سيما انها تمتع بسلطة دينية ، بحكم كونها من السنة الشريفة ، تجعل المؤمنين يلتزمون بالعمل بها أو يستحسنون العمل بها في الاقل •

وقد استخلص ترتون قواعد وآراء عن حياة الصبيان المسلمين في الكتاتيب نورد بعضها هنا لاعتقادنا ان قسما منها ينطبق على مرحلة التعليم الاولى عند الامامية وذلك لان التربية عندهم ، كما اشرنا في مقدمة هذه الرسالة ، كانت فرعا من التربية الاسلامية •

اولا ـ يكون يوم السبت أول الاسبوع في الكتاب • ويخصص يوم الاربعاء بعد الظهر ويوم الخميس للاعادة والفحص ، ثم يكون مساء الخميس والجمعة عطلة الاسبوع • ويبدو ان العرف المدرسي المتضمن تخصيص يوم الخميس لفحص الصبيان في مادة الخط كان معروفا عند الامامية • وقد اشار كاتب امامي الى التقليد المذكور • وسنشير الى ذلك عند الكلام عن الامتحانات في فصل قادم (٢٥) •

ثانيا ـ تعطى للصبيان عطلة في عيد رمضان امدها ثلاثة ايام ، واخرى في عيد الاضحى يتراوح امدها بين ثلاثة ايام وخمسة ايام • وينقل ترتون رأي كاتب مسلم يقول فيه ان السبب الذي جعل قبول شهادة المعلمين في مجالس القضاء

(٢٥) ص ٢٢٨ •

غير مرغوب فيه هو انهم كانوا ممعنين في الكسل ويمنحون الصبيان عطلا كثيرة [٢٦] .

ثالثا ـ عندما ينجح [٢٧] الصبي في الكتاب يطاف به راكبا في شوارع المدينة ويسير الصبية حوله ناثرين اللوز . وحدث ان احد الصبية الناجحين قد فقد عينه الثانية ، بعد ان كان فقد الاولى بالجدري ، اثناء الاحتفال الذى أقيم بمناسبة نجاحه نتيجة لاصابتها بلوزة من نثار الصبية . ولم يحتج والده على ذلك ، كما انه لم يطلب تعويضا لعين ابنه ، وكل ما طلبه هو ان يخصص احد صبيان الكتاب لقيادة ابنه الى موضع الدرس[٢٨] .

رابعا ـ كان الصبيان ينصحون بعدم احضار الدراهم والاكل معهم الى الكتاتيب لان المدرسة ليست محلا لتناول الطعام ، ويفهم الصبى بأن عليه ان يعود لبيته لتناول وجبات الطعام . وكان المعلمون حريصين على ترخيص الطلبة وصرفهم لبيوتهم في الاوقات المعينة . وكان يصحب الصبيان فى غدوهم ورواحهم للمكتب شخص لايرتقى الشك الى سلوكه ، وقد عثرت على اشارة اوردتها فيما سبق عن الشخص الذى يوكل له اصطحاب الصبيان . وكان يسمى « السائق » ويشترط فيه ان يكون ثقة ، أمينا ، متأهلا[٢٩] . ويرى ترتون ان اسباب الحظر الذى وضع على احضار الصبيان للطعام معهم للمكتب هى :

١ ـ كان الناس حينذاك لايستسيغون عادة الاكل امام الجمهور .

٢ ـ لايستاغ الاكل فى المكتب مراعاة لشعور الفقراء من الصبية الذين قد يحسدون اولاد الاغنياء على تنوع مآكلهم ونفاستها .

٣ ـ احتمال خوف الآباء ، رغم عدم تصريحهم بذلك ، من حسد صبيانهم من الآخرين .

---

(٢٦) Tritton, Op, Cit, p. 13.

(٢٧) المعروف ان الاحتفال المذكور يجري عندما يختم الصبى القرآن الكريم .

(٢٨) Tritton, Op, Cit, p. 14.

(٢٩) ص ١١٠ .

خامسا ـ وجد بين الآباء من تعذر عليه ارسال ابنه للكتاب لانه لم يستطع تهيئة الملابس اللائقة له [٣٠] .

سادسا ـ كان الصبيان يمنعون من البصاق على المقاعد أو العبث بها بأرجلهم. وكان الكتاب مزودا بمحل خاص لشرب الماء ، ويطلب من الاولاد ان يسهموا في نفقات احضار الماء على ان يعفى اليتامى منهم من دفع المبالغ اللازمة للغرض المذكور [٣١] .

سابعا ـ كان قبول الاولاد السيئي الخلق محظورا لان قبولهم في المكتب يجلب سمعة سيئة لذلك المكتب ولمعلمه في الوقت نفسه . ويسبب ، فضلا عن ذلك ، خسائر مادية للمعلم[٣٢] . ويبدو ان ترتون يقصد بالخسارة المادية هنا ما يفقده المعلم من اجور نتيجة لامتناع الصبيان عن حضور الكتب المذكور رغبة في الابتعاد عن الدراسة في كتاب كهذا .

ثانيا ـ طلبة العلوم .

يطلق على طلبة العلوم احيانا اسم «غلام». كان حيدر بن محمد السمرقندي « من غلمان محمد بن مسعود العياشي »[٣٣] . وكان للحسن بن احمد الفارسي « غلمان حذاق » مثل عثمان بن جني وعلي بن عيسى الربعي . وكان عضد الدولة البويهي يقول « انا غلام » ابي علي النحوي في النحو ، و « غلام » ابي الحسن الرازي الصوفي في النجوم [٣٤] أما احمد بن عبدالله بن مهران فكان « احد غلمان يونس بن عبدالرحمن »[٣٥] . وكان احمد بن محمد بن الحسين الازدي « غلام » العياشي[٣٦] . وكان ابو الحسن السمسمي أحد غلمان محمد بن جعفر

---

(٣٠) Tritton, Op, Cit, p. 17.

(٣١ و ٣٢) Ibid, p. 19.

(٣٣) الطوسي ، الفهرست ، ص٩٠ .

(٣٤) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٧ ، ص٢٣٤ .

(٣٥) الحلي ، الرجال ، ص٩ .

(٣٦) الطوسي ، الرجال ، ص٤٤٠ .

ابن الفتح الهمذاني[٣٧] . ويظهر ان الاستعمال المذكور نادر الوجود اذ قلما نراه مكررا في المصادر .

ويسمى طالب العلوم احيانا بـ «متأدب ... ومتعلم » . وقد ورد اللقبان المذكوران بين الستة والثلاثين لقبا التي لقب بها المقدسي اثناء تجواله في البلاد الاسلامية[٣٨] .

ويسمى الطلبة احيانا بـ « تلامذة » فلما قدم الحسن بن احمد الفارسي بغداد علت منزلته في النحو « حتى قال قوم من تلامذته هو فوق المبرد واعلم منه »[٣٩] . وكان علي بن حسنويه « من تلامذة ... العياشي »[٤٠] . وكان تقي ابن نجم الحلبي « من تلامذة المرتضى »[٤١] . وكان علي بن الحكم الانباري « تلميذ ابن ابي عمير »[٤٢] . وكان ابراهيم القمي « تلميذ يونس بن عبدالرحمن ...»[٤٣]. وللفضل بن شاذان كتاب النقض على ابي عبيدة في الطلاق وكتاب جمع فيه مسائل متفرقة « سماه تلميذه ...»[٤٤] . وكان اسماعيل بن محمد « تلميذ القبائي »[٤٥] .

واطلق اهل السنة الاسماء المذكورة على طلبة العلوم . فأبو سلمة العسكري كان « احد غلمان ابي علي الجبائي »[٤٦] . قال ابو محمد الحسن بن عمر « كنت بالاندلس فقيل لي ان بها تلميذا لابي عثمان الجاحظ »[٤٧] . قال المرتضى

(٣٧) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص٣٠٢ .
(٣٨) احسن التقاسيم ، ص ٤٣ ـ ٤ .
(٣٩) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج٧ ، ص٢٣٤ .
(٤٠) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص٢٤٣
(٤١) ابن شهراشوب ، معالم العلماء (النجف ، ١٩٦١م) ص٢٩ .
(٤٢) ابن داود ، الرجال م ص٢٤٣ .
(٤٣) النجاشي ، الرجال ، ص١٣ .
(٤٤) الطوسي ، الفهرست ، ص ١٥٠ ـ ١ .
(٤٥) الطوسي ، الرجال ، ص٤٤ .
(٤٦) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص١١٩ .
(٤٧) ايضا ، ج٨ ، ص١٨٩ .

« كان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلاميذه »[٤٨] .

ومن التسميات النادرة للطلبة والتي يكاد استعمالها ينحصر عند أهل السنة دون سواهم ، اسم « فقيه »[٤٩] أو « متفقه » . وعندما احصى الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلس درس الشيخ احمد الاسفرايني ظهر انهم « اكثر من سبعمائة فقيه » وعلى رواية اخرى « ثلثمائة متفقه أو فقيه »[٥٠] . وقد وردت كلمة متفقه بمثابة اسم لطالب العلوم بين القاب المقدسي الستة والثلاثين السالفة الذكر[٥١] .

ان استعمال كلمة فقيه بمثابة لقب لطالب العلم نادر الوجود في الفترة التي تناولها بحثنا . ولعله كان من باب التجوز لان كلمة فقيه اطلقت على الشيخ والمدرس والعالم في اللغة وكل هؤلاء من معلمي العلوم .

ويبدو ان أكثر اسماء تلامذة العلوم شيوعا أو بالاحرى اسمهم الاصطلاحي ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، هو « الطلبة » وذلك لان الاسم المذكور أكثر ورودا في المصادر من غيره من الاسماء أو الالقاب الاخرى التي اشرنا اليها قبل قليل . روى الكاشاني ان النبي (ص) قال «ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع »[٥٢]. قال القمي (ت ٣٧٨ هـ) ان من فضائل الصاحب بن عباد وقف كتب كثيرة حوت أنواع العلوم واصناف الاشعار وفنون الاخبار « على

---

(٤٨) الامالي ، ج١ ، ص١٦٥ .

(٤٩) يرى بدرسن ان كلمة فقيه التي اطلقت تجوزا على الطلبة تعني الشيخ او المدرس لذا قال ان الف شيخ " Scholars " حضروا مجلس درس ابي علي الحسيني (ت٣٩٣هـ) . واذا كان بدرسن استعمل كلمة " Scholar " الانكليزية بمعنى عالم فان استعماله خطأ . انظر —
Pederson, J. " Masjid ". Encyclopaedia of Islam, 111, p. 353.

(٥٠) ابن خلكان . وفيات ، ج٢ ، ص٥٥ .

(٥١) احسن التقاسيم ، ص ٤٣ — ٤ .

(٥٢) الكاشاني ، المولى محسن الفيض ، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، ج١ (طهران ، ١٣٣٩) ص٢٠ .

الطلبة وأهل العلم » • وكان « اولئك الطلبة ••• » محرومين من مطالعة الكتب المذكورة في الماضي[٥٣] • وقد اسكن الشريف الرضي « طلبة العلم » الملازمين له في عمارة سماها دار العلم[٥٤] • وشاهد ابن بطوطة مدرسة عظيمة في النجف يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة[٥٥] • قال ابن الاثير كان من محاسن الوزير ابي الحسن بن الفرات انه « جرى ذكر اصحاب الادب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال أنا احق من اعانهم ••• »[٥٦] • وجاء في مخطوط يبحث في اداب المتعلمين اسم الطلبة مقرونا مرة بضرورة اختيار الشيخ والاستاذ أو غير ذلك مما له علاقة بالتعليم • جاء في الفصل الثالث ، الذي عنوانه « في اختيار المعلم والاستاذ ••• » • « ينبغي لطالب العلم ••• »[٥٧] وجاء في الفصل الرابع « لابد لطالب العلم من الجد والمواظبة ••• » • وجاء في الفصل الخامس « ولابد لطالب العلم من المطالعة والمناظرة ••• »[٥٨] وجاء في الفصل السادس « لابد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم ••• » وجاء في الفصل الثامن « ينبغي لطالب العلم ••• »[٥٩] وقد وردت كلمة « طالب » في أمكنة متعددة من كتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ « منية المريد في أدب المفيد والمستفيد » • قال الشهيد الثاني « اذا اساء بعض الطلبة ادبا على غيره لم ينهه غير الشيخ •••»[٦٠] قال الشهيد « اذا دعا الطالب الشيخ »[٦١] • وقال « فأن لم يجد الطالب من يذاكره ••• »[٦٢] وقال على الطلبة مراعاة الادب ••• »[٦٣] وللامثلة الاخيرة

---

(٥٣) القمي ، الحسن بن محمد ، تاريخ قمم (بالفارسية) (طهران ، ١٣٥٣) ص٦ •

(٥٤) الخونساري ، روضات ، ص٥٨٤ •

(٥٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج١ ، ص ٤١٤ •

(٥٦) الكامل ، ج٨ (القاهرة ، ١٢٩٠) ص ٥٢ •

(٥٧) المؤلف المجهول ، آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ٢ •

(٥٨) ايضاً ، ص٣ •

(٥٩) ايضاً ، ص٥ •

(٦٠) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص١١٨ •

(٦١) ايضاً ، ص١١٩ •

(٦٢و٦٣) ايضاً ، ص١٢٠ •

رغم تأخر زمان المؤلفات التى وردت فيها عن الفترة موضوعة البحث ، أهميـة لانها مستقاة من كتابين خاصين بعلم التربية عند الامامية •

آداب طلبـة العلـوم •

أود ان اشير قبل البحث فى اداب الطلبة ، الى انني اتخذت، بمثابة الاساس، نبحثي هذا ، كتابين تربويين وهما الكتاب الموسوم بـ « اداب المتعلمين » للمؤلف المجهـول •

والكتاب الموسوم ب « منية المريد في أدب المفيد والمستفيد » للشهيد الثاني • وذلك لاختصاصهما في الموضوع من جهة ، ولقلة توفر المعلومات عن آداب الطلبة في المصادر العامة من جهة اخرى • ويترتب على ذلك انني لا أستطيع الجزم بأن جميع المعلومات النظرية التى وردت بهما عن الطلبة كانت قد طبقت فى الحيـاة العملية • وبالرغم من تأخر زمن مؤلفى الكتابين المذكورين عن الفترة التى تناولها بحثي فأني أميل الى ان بعض توصياتهما ربما طبقت من قبل المعلمين والطلبة فى الماضى لاسيما ان المؤلفين كانا يستعملان احيانا ، بعد ذكر توصياتهما ، عبارة على عادة السلف الماضين من العلماء وسبق ان اشرنا الى ذلك فى حينه •

للطلبة آداب خاصة بهم • ويمكن ان نقسمها الى ما يأتي :

أ ـ آداب الطالب فى نفسه • ب ـ آدابه مع شيخه • ج ـ آدابه فى مجلس درسه • وقبل الحديث عن آداب الطلبـة نود ان نورد احاديث عن النبى (ص) والائمة (ع) ذات علاقة بالموضوع •

وردت مجموعة من الاحاديث عن النبي (ص) والائمـة (ع) تضمنت توصيات لطلبة العلم نورد فيما يأتي طائفة منها دون ان نجزم بتطبيقها فعلا مـن الطلبة • وبالرغم من ذلك فأنها تعكس وجهة نظر فيما يجب ان يكون عليـه طالب العلم • واليك طائفة من الاحاديث المذكورة :

أورد الكليني احاديث عن أهمية المناقشة في الدروس ، وضرورتها لطلبـة العلم • ومنها حديث رفعه الى الرسول (ص) قال فيـه : « تذاكروا ، وتلاقوا ، وتحدثوا ، فأن الحديث جلاء للقلوب ، ان القلوب لترين كمـا يرين السيف ، جلاؤها الحديث » • وروى الكليني ايضا حديثا رفعه الى الامام الباقر (ع) قال

فيه « تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة » .

كما روى الكليني حديثين عن أهمية السؤال بالنسبة لطالب العلم رفعهما الصادق (ع) قال فيهما الامام (ع) : « ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسئلة ». وذات مرة قال الامام (ع) « لحمران بن اعين في شيء سأله : انما يهلك الناس لانهم لا يسألون » .

وروى الكليني حديثين رفع احدهما للامام علي (ع) والثاني للامام الصادق (ع) بين فيهما الامامان أهمية التفهم والتواضع بالنسبة لطلبة العلم . قال علي (ع) « ... الا لا خير في علم ليس فيه تفهم ، الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ... » . وقال الصادق : «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ... »[(٦٤)أ] .

آ ـ آداب الطالب في نفسه .

١ ـ النية . لابد لطالب العلم من النية في تعلم العلم ، اذ النية هي الاصل في جميع الاحوال لقوله (ص) انما الاعمال بالنيات[(٦٤)ب] . وقال علي بن حشرم شكوت الى وكيع قلة الحفظ فقال استعن على الحفظ بقلة الذنوب ، وقد نظم ذلك في بيتين فقال :

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لايؤتاه عاصي[(٦٥)]

٢ ـ ان يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط وحالة الشباب ، وقلة الشواغل سيما قبل ارتفاع المنزلة والاتسام بالفضل والعلم فأنه اعظم صاد عن درك الكمال[(٦٦)] . قال الامام الباقر « كان ابي زين العابدين (ع) اذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم ، ادناهم اليه وقال مرحبا بكم انتم ودايع العلم ويوشك اذ انتم صغار قوم ان تكونوا كبار آخرين »[(٦٧)] .

---

(٦٤) آ . الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص ٤١ ، ٤٠ ، ٣٦ .
(٦٤)ب المؤلف المجهول ، آداب المتعلمين (مخطوط) ورقة ١ .
(٦٥) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٨٦ .
(٦٦) ايضاً ، ص٨٧ .
(٦٧) القمي ، عباس ، الانوار البهية (مشهد ، لا . ت) ص١٠٣ .

٣ ـ ان يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة من تمام الطلب وكمال الاجتهاد ، وقوة الجد في التحصيل ، روى الشهيد الثاني ان احدهم قال « لاينال هذا العلم الا من عطل دكانه ، وخرب بستانه ، وهجر اخوانه ، ومات أقرب اهله فلم يشهد جنازته » ويعلق الشهيد على ذلك بقوله • وهذا كله وان كان فيه مبالغة فالمقصود به أنه لابد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر • وقال « قيل العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك »[٦٨] •

٤ ـ ان يترك التزويج حتى يقضي وطره من العلم[٦٩] •

٥ ـ ان يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه في جميع اوقاته ليلا ونهارا ، سفرا ، وحضرا ، ولا يذهب شيئا من اوقاته في غير العلم عدا ما تقتضيه الضرورة[٧٠] •

أكد ائمة الامامية وشيوخهم على وجوب احترام الطالب لشيخه • قال الامام علي (ع) في نصيحة وجهها للطلبة • « ان من حق العالم ان لاتكثر السؤال عليه ، ولا تسبقه في الجواب ، ولا تلح عليه ولا تأخذ بثوبه اذا كسل ولا تشير اليه بيدك ، ولا تغمزه بعينك ، ولا تساره في مجلسك ، ولا تفشى له سرا ، ولا تغتاب عنده احدا •• وان تعم القوم بالسلام وتخصه بالتحية وتجلس بين يديه ، وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ، ولا تمل من طول صحبته ، فانما هو مثل النخلة فأنتظر متى يسقط عليك منها منفعة ، والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله ، واذا مات العالم انثلم فى الاسلام ثلمة لاتسد الى يوم القيامة وان طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربى السماء »[٧١] • وقال الصدوق • « وحق سايسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع اليه ، والاقبال عليه ، وان لاترفع صوتك عليه ، ولا تجيب احدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه احدا ••• »[٧٢] • واظهرت

---

(٦٨) منية المريد ، ص٨٨ •
(٦٩) ايضاً ، ص٨٨ •
(٧٠) ايضاً ، ص٨٩ •
(٧١) القمي ، عيون الاخبار ، ص٩٣ •
(٧٢) القمي ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٣٧٧ •

طائفة من الطلبة احتراما كبيرا لشيوخهم • وعندما يترجم الحسن بن علي بن داود الحلي لشيخه احمد بن موسى الطاووس (ت ـ ٦٧٣هـ) يقول « مصنف مجتهد كان اورع فضلاء زمانه قرأت عليه أكثر « البشرى » و « الملاذ » وغير ذلك من تصانيفه ورواياته • حقق الرجال والرواية تحقيقا لامزيد عليه ، رباني وعلمني واحسن الى ، واكثر فوائد هذا الكتاب من اشاراته وتحقيقاته ، جزاه الله عنى افضل جزاء المحسنين »[٧٣] •

ومن أهم آداب المتعلم مع شيخه ما يأتي :ـ

أ ـ اختيار المعلم • يقول المؤلف المجهول في معرض كلامه عن اختيار الطالب لمعلمه ، ينبغي ان يختار الطالب « الأعلم والاورع والاسن وينبغي ان يشاور في طلب العلم لا يتعجل في الاختلاف الى العلماء ، وان يصبر شهرين حتى كان اختياره للاستاذ لم يؤد الى تركه والرجوع الى الاخر فلا يبارك له ، فينبغي ان يثبت ويصبر على استاذ وكتاب حتى لايتركه ...»[٧٤] • قال ابن طاووس (ت: ٦٤٤هـ) لابنه محمد ادريس « الفقه المروى عن جدك سيد المرسلين وابيك أمير المؤمنين وعترتهما المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين ... فاشتغل بالقراءة في الفقه بالله جل جلاله والله جل جلاله على رجل صالح ورع من اهل هذا العلم الموهوب ، فانني ارجو من رحمة ربي ... ان يغنيك بالمدة اليسيرة عن المدة الكثيرة »[٧٥] • ويورد الشهيد الثاني تفصيلات حول موضوع اختيار الطالب لمعلمه فيقول « فان تربية الشيخ لتلميذه ونسبة اخراجه لاخلاقه الذميمة وجعل مكانها خلقا حسنا ، كفعل الفلاح الذي يقلع الشوك من الارض ويخرج منها النباتات الخبيثة من الزرع ، ليحسن نباته ويكمل ريعه ، وليس كل شيخ يتصف بهذا الوصف بل ما قل ذلك فانه في الحقيقة نائب عن الرسول (ص) وليس كل عالم

---

(٧٣) الرجال ، ص ٤٦ ـ ٧ •

(٧٤) آداب المتعلمين ، ورقة ٢ •

(٧٥) كشف المحجة ، ص١٢٩ •

يصلح للنيابة فيختر من كملت اهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، وعرفت عفته ، واشتهرت صيانته وسيادته ، وظهرت مرونه وحسن تعليمه »[٧٦] .

ويوصي الشهيد الثاني الطالب بالاحتراز من الدراسة على الشيخ الذي « اخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءته على الشيوخ خوفا من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف . قال بعض السلف من تفقه من بطون الكتب ضيع الاحكام ، وقال آخر اياكم والصحفيون الذين يأخذون من الصحف فأن ما يفسدون أكثر مما يصلحون . وليحذر من التقيد بالمشهورين وترك الاخذ من الصحف فان ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ... »[٧٧] .

ويعلل ترتون وجود التأكيد على التعليم الشفهي في النظام التربوي عند المسلمين بقوله ان دراسة علم الحديث وتدريسه احتلا الصدارة في النظام التربوي الاسلامي . ومن الادلة على ذلك ان البحث في الحديث والمحدثين شغل الجزء الاكبر من « تاريخ بغداد » و « تاريخ دمشق » معا . وكان التقليد التعليمي عند المسلمين في بداية الامر يؤكد على ضرورة سماع الحديث شفاها من شخص سمعه في الطريقة نفسها . والحديث لا يكون كاملا بنفسه ، بل أنه مرتبط بالاسناد أو سلسلة الرواة التي تنتهي عند أول من سمعه من النبي ، ولذا قيل ان من يريد معرفة العلوم الدينية دون التقيد بالاسناد يكون كمن يريد ان يرتقي سقفا بدون سلم . ويخلص ترتون الى القول بان الاعتقاد المذكور كان من أهم الاسباب التي أدت الى وجود ما نسميه بالرحلة في طلب العلم عند المسلمين .

وبالرغم مما سبق فأن الاعتقاد القائل بضرورة المشافهة في التعليم اخذ يضعف شيئا فشيئا . وقد تقوم انتقادات الطلبة التي وجهت لمعلمي العلوم الذين يعلمون من بطون الكتب دليلا على ذلك . ففي القرن الثالث للهجرة انتقد أحد الطلبة شيخه بقوله انه يحتفظ بمجموعة من المذكرات المدونة ويتظاهر بأنه سمعها

---

(٧٦) منية المريد ، ص٩٥ .

(٧٧) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٩٥ .

بنفسه • وانتقد شيخ آخر (ت ٢٨٢ هـ) بأنه يستعمل في تدريسه مادة يستخرجها من كتاب اشتراه من بائع الكتب • ووجه انتقاد لشيخ آخـر يستعمل مذكرات أبيه ويتظاهر بأنه سمعها منه مع ان اباه مات قبل ان يولد هو •

ويتابع ترتون حديثه بقوله ان عدم الاعتماد على الذاكرة في التدريس اخذ يظهر بصورة مبكرة بالرغم من القصص التي تتضمن خلاف ذلـك • ففي نهاية القرن الثالث رفض أحد الشيوخ، رغم عجب سامعيه ودهشتهم ، ان يملي لان متن محاضراته لم يكن معه • وذات مرة كان أحد معلمي العلوم يدرس موطأ مالك دون ان يكون معه متن الكتاب فأنقطع احد طلبته احتجاجا على ذلك(٧٨) •

وان انطبق ما قاله ترتون عن أهمية درس الحديث وتدريسه ، والرغبة في نقله مشافهة على النظام التربوي الاسلامي عامة فهو أكثر انطباقا على النظام التربوي عند الامامية خاصة ، وذلك لان الحديث عندهم ، كمادة للدرس والتدريس كان يحتل مركزا رفيعا جدا ، ويعود ذلك للاسباب الاتية :

اولا ــ يعتقد الامامية واسلافهم ان الاحاديث الثابتة روايتها عن ائمتهـم المعصومين اجدر من غيرها بالصحة والتوثيق لان أحاديث أهل السنة ، بحكم كون رواتها من غير المعصومين ، يكون تطرق الوضع والخطأ اليها أكثر احتمالا مـن الاحاديث الصادرة عن المعصومين (ع) •

ثانيا ــ ان عدد الاحاديث عند الامامية يفوق نظيره عند أهل السنة ، وذلك ان مجموع أحاديث « الكافي » للكليني يزيد عـلى مجموع أحاديث الصحاح الستة عند أهل السنة •

ب ــ ان يعتقد الطالب في شيخه أنه الاب الحقيقي والوالد الروحاني وهـو أعظم من الوالد الجسماني • روى الشهيد الثاني ان الشريف الرضي كان عظيم النفس لا يقبل لاحد منة بما في ذلك الخلفاء • وذات مرة قال له أحـد مشايخه « بلغني ان دارك ضيقة لا تليق بحالك ، ولي دار واسعة صالحة لك وهبتها لـك فانتقل اليها فأبى فأعاد عليه الكلام فقال يا شيخ أنا لم اقبـل بر ابي قط فكيف

(٧٨) Tritton . Op. Cit , P. 148 - 150.

اقبل من غيره• فقال الشيخ ان حقي عليك اعظم من حق ابيك لانى ابوك الروحاني وهو ابوك الجسمانى • فقال السيد قبلت الدار »[٧٩] •

ويرى ترتون ان المعلم يستحق احتراما أكثر عند المسلمين ممـا يستحق الاب لان الاب يربي جسم ابنه بينما معلمـه يربي عقله ، والتوبة تمحي الذنوب التي يرتكبها الابن تجاه ابيه ، ولكن ذنوب الطالب التي يرتكبها تجـاه معلمـه لا غفران لها[٨٠] •

جـ ـ ان ينظر الطالب شيخه بعين الاحترام والاجلال ، كان جابر الانصارى يأتى الباقر (ع) « فيجلس بين يديه فيعلمـه ••• وكان يقـول • يا باقر ، يا باقر ، يا باقر اشهد بالله قد اوتيت الحكم صبيا »[٨١] • وكان الخليل بـن احمد يزور تلاميذه • فعندما عاد بعض تلامذتـه قال له تلميـذه « ان زرتنا فبفضلك ، وان زرناك فلنضلك ، ولك الفضل زائرا ومزورا »[٨٢] • قال حمدان الاصفهانى « كنت عند شريك[٨٣] فاتاه بعض اولاد الخليفة المهـدى فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه ، واقبل علينا ثم عاد شريك بمثل ذلك فقال اتستخف بأولاد الخلفاء ؟ قال لا ولكن العلم أجل عند الله من ان اضيعه • فجثى على ركبتيه فقال شريك هكذا يطلب العلم »[٨٤] • ويقول الشهيد الثانى كان بعض السلف اذا ذهب الى شيخه تصدق بشـيء وقال اللهـم استر عيب معلمي عني ولا تذهب ببركة عمله مني • وقال آخر كنت اصفح الورقة بـين يدى شيخي صفحا رقيقا لئلا يسمع وقعها[٨٥] •

---

(٧٩) منية المريد ، ص٩٧ •

(٨٠) Tritton, Op. Cit, P. 48.

(٨١) القمي ، علل الشرائع ، ص٢٣٤ •

(٨٢) التوحيدي ، ابو حيان ، البصائر والذخائر ، ج١ ، ص٧١ •

(٨٣) كان شريك من شيوخ الامامية وعهد اليه الخليفة المهـدي بتاديب اولاده •

(٨٤) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٩٨ •

(٨٥) ايضا ، ص٩٧ •

د ـ ان يجتهد الطالب في ان يسبق الحضور الى المجلس قبل حضور الشيخ.

كان ابو علي النحوي المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ) من اشهر تلامذة سيبويه . وكان حريصا على الاشتغال والتعليم وكان يبكر الى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة ، فقال له يوما ما انت الا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب . وكان قطرب هذا ممن رووا عن الصادق (ع)[٨٦] .

ج ـ آداب الطالب في مجلس درسه :

وردت مجموعة من الاحاديث عن النبي(ص) والائمة (ع) تضمنت توصيات لطلبة العلم في مجالس دروسهم ، وحيثما وردت لا يمكن ان نجزم بتطبيقها فعلا من الطلبة :

١ ـ ينصح المؤلف المجهول طالب العلم ان يجلس تجاه القبلة عند الدرس، وان يكثر من الدعاء والصلاة لان ذلك عون على التحصيل والتعليم[٨٧] .

٢ ـ على طالب العلم ان يحمل معه ادوات الكتابة . روى عباد البصري انه جاء لابي عبدالله(ع) ومعه اناس من اصحابه فسأله حديثا فأخبره به " فكتب القوم الحضور عنه ذلك الحديث "[٨٨] . وسبق ان بينا ان اصحاب الكاظم (ع) كانوا يحضرون مجلسه ومعهم الواح ابنوس لطاف واميال يثبتون فيها ما يسمعونه عن الامام[٨٩] . ويقول الشهيد الثاني على طالب العلم ان يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح . وعليه ان يضبط ما يصححه لغة واعرابا ، واذا رد الشيخ عليه لفظه فظن أو علم ان رده على خلاف الصواب كرر اللفظة مع قبله لينتبه لها الشيخ أو يأتي بلفظ الصواب على وجه الاستفهام فربما وقع ذلك سهوا أو سبق لسان لغفلة ، ولا يقل بل هي كذا ، فان رجع الشيخ الى الصواب فذاك والا ترك تحقيقها الى مجلس آخر[٩٠] . ويقول المؤلف المجهول على الطالب أن يكون

---

(٨٦) اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٢ ، ص٣١ ، القمي ، الكنى والالقاب ج٣ ، ص ٦٥ .

(٨٧) آداب المتعلمين ، ضمن جامع المقدمات ، ص١٩٧ .

(٨٨) الكليني ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨٢ .

(٨٩) ص ١٣٥ .

(٩٠) منية المريد ، ص١١٣ .

مستفيدا في كل وقت حتى يحصل له الفضل • وطريق الاستفادة ان يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد • قيل ما حفظ فر وما كتب قر • وضرب للطلبة مثلا ان النبي (ص) قال لهلال بن يسار حين قرر له العلم هل معك محبرة[٩١] •

أما فيما يتعلق بتقسيم الطالب لاوقاته فقد وردت نصائح للشهيد الثاني في هذا الخصوص منها ما يتعلق بضرورة تقسيم الطالب لاوقات ليله ونهاره على ما يحصله • ومنها ان اجود الاوقات للحفظ الاسحار وللبحث الابكار ، وللكتابة وسط النهار ، وللمذاكرة والمطالعة الليل وبقايا النهار • ويعتقد الشهيد الثاني ان اقوال السلف والتجربة دلت على ان حفظ الليل انفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع انفع من وقت الشبع ، وينصح ان يكون الحفظ في المكان البعيد عن الملهيات ، كما ينصح الطالب ان يبكر بالدرس لان النبي(ص) قال " بورك لامتي في بكورها "[٩٢] •

ولترتون آراء وملاحظات جمعها من المصادر التي تبحث في النظام التربوي عند المسلمين نورد طرفا منها هنا لاعتقادنا ان بعضها ينطبق على الطالب الامامي كما ينطبق على غيره من الطلبة المسلمين • يقول ترتون ان الطالب المسلم كان ينصح بأن يتجه نحو مكة اثناء الدرس • ويورد قصة تضمنت ، فضلا عن قضية ضرورة الاتجاه نحو القبلة اثناء الدرس ، آراء من تبناها من المربين المسلمين عن اسباب النجاح والفشل في الدراسة لطالبين مسلمين • واشارت القصة المذكورة الى طالبين من طلاب العلم احدهما كان قد نجح بدروسه أما الآخر فقد فشل فيها • وبعد التقصي ظهر ان الطالب الناجح كان دائما يتجه نحو القبلة اثناء الدرس، وانه يتبع القول القائل بأن الحكمة لاتجد سبيلها الى قلب الطالب الذي لا يحمل كتابا في كمه بصورة مستمرة • على ان يكون الكتاب المذكور محتويا على اوراق بيض ، وان حامله يكون على استعداد لاخراج قلمه ومحبرته ليدون ما يسمع من

(٩١) المؤلف المجهول ، المصدر السابق ، ورقة ٦ •

(٩٢) منية المريد ، ص١١٤ •

الفوائد . ويرى قائل القصة انه من قبيل المخاطرة ان يتنكب الانسان الطريق الذي اثبت العرف صحة السير عليه . وتذهب القصة الى ان الطالب الفاشل بدروسه كان قد ركب هواه ونذر نفسه لمتابعة الامور التي تهدم عقل المرء ، وأنه قلد اليهود في كل ما يجلب سخط الله ، وكانت نتيجته ان باع كتبه وأمتعته الاخرى بدافع الفقر واضطر اخيرا للهجرة الى آسيا الصغرى[٦٣] .

وبعدما عدمت أود ان اشير الى حقيقة مهمه في النظام التربوي عند الامامية واسلافهم من الشيعة في الفترة موضوع البحث ، وهي ان علاقة الطالب بشيخه كانت تقوم في الغالب على الصلة الشخصيه بين الاثنين . وسأورد فيما يلي امثلة كثيرة تؤيد ما ذهبت اليه . وسنرى من الامثلة التالية ان كثيرا ما يكون اسم الطالب مقرونا بالامام الذي روى عنه او الشيخ الذي درس عليه . وهذا لايعني ان الطالب لايدرس الا على شيخ واحد ، أو ان الشيخ لايدرس الا طالبا واحدا ، فقد يكون لطالب واحد في زمن معين عدة شيوخ ، كما يكون لشيخ واحد عدة طلبة . وسبق ان بينت في الفصل الثاني من هذه الرسالة ان العياشي ، صاحب الدار المعروفة [٩٤] ، كان من بين الشيوخ الذين درسوا عددا كبيرا من الطلبة ، وقد اوردنا اسماء جملة من الطلبة المذكورين في حينه . وسنبين في الفصل الخاص بالاجازة ان هارون التلعكبري (ت : ٣٨٥ هـ) نال أكثر من عشرين اجازة من شيوخ مختلفين في عهد تلمذته عليهم .

وسأبدأ بأيراد امثلة عن الطلبة الذين رووا عن الائمة بعد ان درسوا عليهم، ثم اورد امثلة عن الطلبة الذين درسوا على شيوخ الامامية .

وكان ابان بن تغلب ممن لقي ابا محمد علي بن الحسين وابا جعفر وابا عبدالله (ع) وروى عنهم[٩٥] . أما اسماعيل بن مهران السكوني فانه « روى عن جماعة من اصحابنا عن ابي عبدالله (ع) ولقي الرضا (ع) وروى عنه »[٩٦] .

---

(٩٣) Tritton, Op. Cit, P. 90 - 1.

(٩٤) ص ٧٧ .

(٩٥) الطوسي ، الفهرست ، ص٤١ .

(٩٦) ايضاً ، ص٣٤ .

وكان ابان بن عثمان البجلي ممن « روى عن ابي عبدالله وابى الحسن موسى (ع) »[97] . قال الطوسي ان ابراهيم بن محمد بن يحى « روى عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) وكان خاصا بحديثنا ... وله كتاب مبوب في الحلال والحرام عن جعفر بن محمد عليه السلام »[98] . وقال ايضا ان ابراهيم بن سليمان « روى عن ابى عبدالله(ع) »[99] أما اسماعيل بن ابي خالد فقد « روى ابوه عن ابي جعفر الباقر(ع) وروى هو عن ابي عبدالله(ع) »[100] . وكان لاسماعيل بن موسى بن جعفر (ع) « كتب يرويه عن ابيه عن آبائه (ع) »[101] . وعندما يترجم ابن داود الحلي لرزام بن مسلم يقول « علمه الصادق (ع) دعاء »[102] . وكان لايوب بن نوح « كتاب وروايات عن ابى الحسن الثالث(ع) »[103] . روى الكشي ان يحى بن مبارك قال « كتبت الى الرضا (ع) بمسائل فأجابني »[104] . روى الصدوق ان علي بن الحسن بن علي بن فضال حدث عن ابيه قال سألت الرضا (ع) عن قول الله عز وجل (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)[105] . فقال ان الله تعالى لايوصف بمكان يحل فيه ... » وسألته عن قول الله عزوجل « (وجاء ربك والملك صفا صفا)[106] . فقال ان الله تعالى ... » وسألته عن قول الله عزوجل . (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)[107] قال يقول . هل ينظرون ....« قال » وسألته عن قوله تعالى (سخر الله منهم)[108]

---

(٩٧) ايضاً ، ص٤٢ .
(٩٨) ايضاً ، ص٢٦ .
(٩٩) ايضاً ، ص٢٧ .
(١٠٠) الطوسي ، الفهرست ، ص ٣٣ .
(١٠١) ايضا ، ص ٣٤ .
(١٠٢) الرجال ، ص ١٥٢ .
(١٠٣) الطوسي ، الفهرست ، ص ٤٠ .
(١٠٤) الرجال ، ص ٣٩٢ .
(١٠٥) المطففين . الاية : ١٥ .
(١٠٦) الفجر . الاية : ٢٢ .
(١٠٧) البقرة . الاية : ٢١٠ .
(١٠٨) التوبة . الاية : ٧٩ .

وعن قوله (الله يستهزىء بهم)[١٠٩] . وعن قوله . (ومكروا ومكر الله)[١١٠] وعن قوله (يخادعون الله وهو خادعهم)[١١١] فقال ان الله تعالى ... »[١١٢] . وروى الصدوق ايضا ان القاسم بن مسلم قال ان أخاه عبدالعزيز بن مسلم قال . « سألت الرضا (ع) عن قول الله عزوجل (نسوا الله فنسيهم)[١١٣] فقال ان الله تعالى لاينسى ... »[١١٤] .

ذكر الطوسي ان احمد بن ابي بشر السراج لقي الرضا (ع) ... وروى عنه كتابا[١١٥] . ويقول ايضا ان عمر بن رياح العلاء روى عن ابى عبدالله وابى الحسن موسى عليهما السلام[١١٦] . ان الامثلة التي اوردتها اعلاه كانت بمثابة نماذج تمثل أصحاب عدد من الائمة المعصومين (ع) . وترجم الطوسي في كتابه الموسوم ب « الرجال » لاصحاب كل امام على انفراد . ويعني الطوسي بالاصحاب الجماعة الذين سمعوا الحديث من الامام ورووا عنه . وكان أصحاب الامام الصادق، أكبر عددا من اصحاب أي امام آخر اذ بلغ عددهم اربعة آلاف رجل .

أما الطلبة الذين درسوا على شيوخ الامامية في الفترة موضوع البحث فعددهم كبير . ومن الامثلة على ذلك كان اسماعيل بن محمد الاسكاف تلميذ القبائي[١١٧] . ويقول الطوسي ان تقي بن نجم الحلي « قرأ علينا وعلى المرتضى »[١١٨] . وكان علي بن محمد القيتبي « تلميذ الفضل بن شاذان »[١١٩] . قال ابن طاووس ان

---

(١٠٩) البقرة . الاية : ١٥ .

(١١٠) آل عمران . الاية : ٥٤ .

(١١١) النساء . الاية : ١٤٢ .

(١١٢) عيون اخبار الرضا ، ج١ (قم ، ١٣٧٧) ص ١٢٥ ـ ٦ .

(١١٣) التوبة . الاية : ٦٧ .

(١١٤) عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص ١٢٥ .

(١١٥) الفهرست ، ص ٤٣ .

(١١٦) ايضا ، ص ٥١ .

(١١٧) الطوسي ، الرجال ، ص ٤٤٠ .

(١١٨) ايضا ، ص ٤٥٧ .

(١١٩) ايضا ، ص ٤٨٧ .

« سلار بن عبدالعزيز تلميذ المرتضى وسأله مسائل »[١٢٠] ، وانه كان يقرأ على المرتضى علوما كثيرة منها النجوم[١٢١] وكان ابراهيم بن هاشم القمي « تلميذ يونس بن عبدالرحمن »[١٢٢] ، وكان احمد بن عبدالله بن مهران « احد غلمان يونس بن عبدالرحمن »[١٢٣] ، روى الحلي ان بكر بن محمد المازني (ت٢٤٨هـ) كان « من غلمان اسماعيل بن ميثم في الادب »[١٢٤] وكان المظفر بن محمد الخراساني (ت : ٣٦٧هـ) « من غلمان ابى سهل النوبختي »[١٢٥] ، وقرأ يحى ابن وثاب على عبيد بن بصلة وكان « يقرأ عليه كل يوم آية ففرغ من القرآن في سبع واربعين سنة »[١٢٦] ، قال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي « املى علينا ابو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان ...»[١٢٧] ، وقال الطوسي ايضا « حدثنا شيخي(ر) قال حدثنا ابو عبدالله محمد بن محمد قال أخبرني ابو الطيب محمد بن احمد الثقفي قال ، قرأت على الحسين بن على الحجاج وهو ينظر في كتابه...» [١٢٨] ، روى الطوسي « عن شيخه (ر) قال املى علينا والدي رضي الله عنه ...» [١٢٩] ، قال عمرو بن ابى مسلمة « قرأت على ابى عمر الصنعاني ... »[١٣٠] ، كان على بن القاسم البرقي قد « رأى احمد بن محمد البرقي وتأدب عليه»[١٣١]، قال الطوسي كان لاحمد بن الحسين بن عبدالملك كتاب المشيخة « سمعنا هذه النسخة من احمد بن عبدون ، قال سمعنا من على بن محمد بن الزبير عن احمد بن الحسين

(١٢٠) ابن طاووس ، علي بن موسى ، فرج المهموم (النجف ، ١٣٦٥) ص٤١ .
(١٢١) ايضا ، ص ٥٥ .
(١٢٢) الحلبي ، الرجال ، ص ٤ .
(١٢٣) ايضا ، ص ٩ .
(١٢٤) ايضا ، ص ١٤ .
(١٢٥) ايضا ، ص ٤٨ .
(١٢٦) الحلي ، الرجال ، ص ٨٨ .
(١٢٧) الامالي ، ص ٢ .
(١٢٨) ايضا ، ص ٧ .
(١٢٩) ايضا ، ص ٣٠ .
(١٣٠) ايضا ، ص ٤٧ .
(١٣١) النجاشي ، الرجال ، ص ١٩٨ .

ابن عبدالملك»[١٣٢]. وكان اسماعيل بن سمكة من أصحاب احمد بن ابى عبدالله البرقي « وممن تأدب عليه »[١٣٣] . قال ابن داود الحلي عند ترجمته لاحمد بن موسى بن جعفر « قرأت عليه اكثر « البشرى » و « الملاذ » وغير ذلك من تصانيفه ... »[١٣٤] . كان عبدالرحمن بن ميمون ختن الفضيل بن يسارو « روى عنه سبعمائة مسئلة »[١٣٥] . روى احمد بن محمد عن ابراهيم بن ابى محمود مسائل موسى(ع) قدر خمس وعشرين ورقة »[١٣٦] .

يتبين من الامثلة التي اوردتها اعلاه ، سواء ما كان منها عن الائمة واصحابهم أو الشيوخ وطلبتهم ان التدريس ما كان يتم في معهد معين بل كان يقوم على الاتصال الشخصي بين معلم العلوم وتلميذه .

ولترتون رأى يقول فيه لقد كان متعارفا بين الطلبة المسلمين ان المعرفة التي ينالها الطالب عن طريق الاتصال بمعلم افضل من المعرفة التي ينالها بوسائل اخرى، لذا قيل الخطأ مع المعلم افضل من الصواب بدونه[١٣٧] .

وكان لتحصيل المعرفة ، وخاصة الحديث ، عن طريق الاتصال الشخصي بالمعلم ، فضلا عما ذكر ، مبررات اخرى في النظام التربوى عند الطلبة الامامية واسلافهم. وذلك انهم كانوا يعتقدون ان الحديث الذى يسمع من المعصوم لايمكن ان يرتقي الشك الى وثاقته لان المعصوم، كما يعتقدون ، منزه عن الخطأ والنسيان. وكان الطلبة الامامية ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، حريصين كل الحرص على السماع من الامام المعصوم أو من الشيوخ الذين يوثقهم ذلك الامام . وذات مرة قال جعفر بن عيسى للامام ابى الحسن الثاني (ع) «يا سيدى نستعين بك على هذين الشيخين يونس وهشام وهما حاضران ، وهما ادبانا وعلمانا الكلام فأن كنا يا

---

(١٣٢) الفهرست ، ص ٤٧ .
(١٣٣) ايضا ، ص ٥ .
(١٣٤) الرجال ، ص ٤٥ .
(١٣٥) ابن داود ، الرجال ، ص ٢٢٢ .
(١٣٦) الكشي ، الرجال ، ص ٤٢٠ .
(١٣٧) Tritton, Op. Cit, P. 31.

سيدي على هدى فقرنا وان كنا على ضلال فهذان اضلانا فمرنا بتركه »[١٣٨] .
وسنوضح موقف الإمامية واسلافهم تجاه سماع الحديث من ائمتهم عند كلامنا عن الرحلة في طلب العلم فيما يلي من الصفحات .

كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد العلمية والتعليمية المهمة عند الطلبة المسلمين بما فيهم الامامية واسلافهم في الفترة التي تناولها بحثنا . وامتازت الرحلة عند اسلاف الامامية وخلفائهم بكونها تحقق غرضين احدهما ديني امامي في طابعه والثاني علمي ويتحقق الغرض الديني في الرحلة ، خاصة في الفترة التي عاش فيها ائمة الامامية واسلافهم المعصومون والتي تنتهي في حدود ٢٦٠هـ لأن الحديث الذي يروى عن الامام يعتد في نظر الامامية كأنه مروى عن النبي(ص) لان الامام المعصوم عندهم مبلغ عن النبي الذي هو بدوره مبلغ عن الله . روى الكليني ان جماعة سمعوا « ابا عبدالله عليه السلام يقول حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدي ... وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله »[١٣٩].
وكان الصادق(ع) يصف احاديث ابيه بانها آثار النبوة فقال ـ « رحم الله زرارة ابن اعين لولا زرارة لاندرست آثار النبوة احاديث ابي(ع) »[١٤٠] . وقال الامام الباقر لجابر بن يزيد « يا جابر لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم »[١٤١] . وقد حفلت كتب الحديث والرجال بذكر أسماء الطلبة اسلاف الامامية الذين كانوا يتوافدون من مختلف الامصار للقاء الائمة وتلقي الحديث عنهم .

روى الكشي ان اقواما كانوا يأتون من الامصار ليسألوا أبا عبدالله الحديث[١٤٢] . وقال محمد بن معروف الهلالي « مضيت الى الحيرة الى جعفر بن محمد (ع) فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس »[١٤٣] . وقال احمد بن محمد بن

---

(١٣٨) الكشي ، الرجال ، ص ٤٧٥ .
(١٣٩) الكافي ، ص ٢٠ .
(١٤٠) المفيد ، الاختصاص (طهران ، ١٣٧٩) ص ٦٦ .
(١٤١) ايضا ، ص ٢٨٠ .
(١٤٢) الرجال ، ص ٢٤٩ .
(١٤٣) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ١٣٠ .

عيسى « خرجت الى الكوفة في طلب الحديث فلقيت الحسن بن علي الوشاء فسألته ان يخرج لي كتاب العلاء بن رزين وابان بن عثمان الاحمر ، فأخرجهما الي فقال يرحمك الله وما عجلتك ؟ اذهب فأكتبهما واسمع من بعد • فقلت لا آمن الحدثان • فقال لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه فأني ادركت في هذا المسجد تسع مائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد ... »(١٤٤) •

ولما كان ائمة الشيعة قد قضوا معظم حياتهم الى مابعد منتصف القرن الثالث للهجرة في الحجاز حيث الاماكن المقدسة ، وحيث وفرة الحديث والمشتغلين فيه، فكان اصحابهم وتلامذتهم يفدون عليهم لطلب الحديث في اوقات الحج في الغالب فأتحد بذلك الواجب الديني والرغبة في التعليم معا في رحلة كثير من الطلبة الجعفرية أو اسلاف الامامية خلال قرنين من الزمن • وهناك ادلة تؤيد الارتباط بين الحج والهدف التعليمي عند الطلبة اسلاف الامامية • قال ابو جعفر (ع) « تمام الحج لقاء الامام »(١٤٥) • وقال الصادق(ع) « النظر الى الكعبة عبادة ، والنظر الى الوالدين عبادة ، والنظر الى الامام عبادة »(١٤٦) •

وقال ابو جعفر (ع) « ابدأوا بمكة واختموا بنا »(١٤٧) • وعندما تولى الامام الجواد الامامة بعد ابيه وكان ذلك قبيل موسم الحج فلما « قرب وقت الموسم اجتمع فقهاء بغداد والامصار وعلماؤهم ثمانون رجلا وقصدوا الحج والمدينة ليشاهدوا أبا جعفر ... »(١٤٨) • وكان زياد بن عيسى الحذاء ممن تلمذ للصادق وابيه الباقر ، وكان حسن المنزلة عند آل محمد ، « وكان زامل أبا جعفر (ع) الى مكة »(١٤٩) •

---

(١٤٤) النجاشي ، الرجال ، ص ٣٠ـ١ •
(١٤٥) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص ٤٩ •
(١٤٦) ايضا ، ج٤ ، ص ٢٤٠ •
(١٤٧) ايضا ، ج٤ ، ص ٥٥٠ •
(١٤٨) المسعودي ، الوصية ، ص ١٨٤ •
(١٤٩) الحلي ، الرجال ، ص ٣٧ •

وقد وردت اشارة الى ان طائفة من تلامذة الائمة كانوا يفدون على ائمتهم في كل سنة للتعلم منهم • روى الحلي ان عمر بن محمد بن بريد بياع السابرى كان « أحد من يفد في كل سنة » •

وروى بياع السابرى هذا عن ابي عبدالله وابى الحسن(ع) واثنى عليه الصادق (ع) شفاها[150] • ومن اشهر الذين رحلوا في طلب العلم من اسلاف الامامية احمد بن علوية الاصفهاني الذى سمي « الرحال لانه رحل خمسين رحلة »[151] •

أما الغرض العلمي الذى عمل الطلبة اسلاف الامامية وخلفاؤهم على تحقيقه من الرحلة ، فضلا عما سبق ، فهو انهم كانوا يرون ان العلم الذى يكسبه الطالب مشافهة من الشيوخ اجدر بالاعتماد من العلم الذى يؤخذ من الدفاتر والكتب ، لذا كانوا يثنون على المشايخ الذين لم يستعملوا الكتب اثنـــاء تدريسهم • وكان احمد بن محمد الكوفي المعروف بابن عقدة (ت ٣٣٢ هـ) مسن اكابر الحفاظ الشيعة • وقال عنه الدار قطني « اجمع أهل الكوفة انه لم ير من زمن عبدالله ابن مسعود الى زمن ابي العباس بن عقدة احفظ منه » • وكان ابن عقدة يقول ـ « احفظ من الاحاديث بالاسانيد والمتون[151] الف حديث »[152] •

ويحذر كاتب أمامي متأخر الطالب من اخذ علمه من بطون الكتب ، وينصحه بالقراءة على الشيخ لان من « تفقه من بطون الكتب ضيع الاحكام »[153] •

وقد اخذت الرحلة في طلب العلم عند الامامية ، خاصة بعد نهاية عصـــر الائمة تتجه شيئا فشيئا نحو المراكز الدينية الامامية في الكوفة وقم وبغداد ثـم النجف في حدود بداية القرن الخامس للهجرة • وكانت بغداد ، بحكم كونها مركز الثقافة الاسلامية ، وكون مرقد الامام موسى (ع) ، فضلا عن المساجـد

---

(١٥٠) ايضا ، ص ٥٩ •

(١٥١) النجاشي ، الرجال ، ص ٦٩ •

(١٥٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٣٣٦ــ٧ •

(١٥٣) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٩٥ •

الشيعية المهمة أمثل براثا والعتيقة ، فيها ، ولكثرة الشيعة الامامية فيها خـــلال القرنين الرابع والخامس للهجرة ، من المراكز العلمية التي قصـــدها الشيوخ والطلبة الامامية رغبة في طلب العلم • وكان الشيخ الصدوق والطوسي مـن بين من قصدوها لهذه الغاية • وكان لتوفر الحرية للشيعة في العهـــد البويهي ، ولنشاط الشيخ المفيد والشريفين الرضي والمرتضى التعليمي اثر في نمو الدراسات الامامية في مشهد الامام موسى وفي المساجد الشيعية الاخرى ببغـداد • ولما زار المقدسي بغداد في أواخر القرن الرابع للهجرة وجد الحنابلة والشيعة هم المتغلبين فيها [(١٥٤)] • وعندما نصح الخليفة العباسي اثناء دخـول البساسيري الى بغداد سنة ٤٥٠ هـ ، ان يبيت في مشهد الامام موسى الكاظم (ع) امتنع وقال ان أهــل هذا المشهد من العلويين يعادونني [(١٥٥)] •

وكانت الرحلة في طلب العلم معروفة عند أهل السنة • روى السبكي ان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي (ت ٢٣٨ هـ) كان « احد ائمة الدين ••• سمع من عبدالله بن المبارك ••• وارتحل في طلب العلم سنة اربع وثمانين ••• وسمع في الرحلة من جرير بن عبدالحميد وســفيان بن عيينـــة وعبدالعزيز الدراوردي وفضيل بن عياض ••• وخلق سواهم » [(١٥٦)] • وقال ايضا عند ترجمته للربيع ابن سليمان المرادي (ت ٢٧٠هـ) « وكانت الرحلة في كتب الشافعي اليـه من الافاق نحو مائتي رجل » [(١٥٧)] •

وكان أهل السنة والشيعة يستوون في قضية تفضيل السماع مـن الشيخ • وعد بعضهم السماع من الشيخ ارفع مرتبة من القراءة عليـه [(١٥٨)] • وقالوا ان تشيخ الصحيفة يعد من البلية [(١٥٩)] •

---

(١٥٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٦ •
(١٥٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص ١٩٥ •
(١٥٦) طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٢٣٣ •
(١٥٧) ايضا ، ج١ ، ص ٢٦٠ •
(١٥٨) ايضا ، ج٢ ، ص ١٠٣ •
(١٥٩) ابن جماعة ، المصدر السابق ، ص ٨٧ •

ولترتون آراء وملاحظات عن الرحلة في طلب العلم عند المسلمين منها ـ ان رغبة الطالب في سماع الحديث مباشرة من الشيخ دفعته للقيام بالرحلة في طلب العلم . ويقول ترتون ان كاتبا مسلما متأخرا قال ان الطلبة يرحلون في طلب العلم فرارا من ثقل الواجبات العائلية التي من شأنها عرقلة تحصيلهم العلمي . ويتابع ترتون حديثه فيقول ان الرحلة في طلب العلم أستمرت ولكن هدفها تغير بحيث أصبح من يرحل في طلب العلم يجمع اسماء شيوخ درس عليهم بدلا من ان يجمع أحاديث منهم . وقد ادعى بعض الطلبة انه سمع أحاديث في مائة وعشرين موضعا كان من بينها ، فضلا عن المراكز الاسلامية الكبرى ، مدن آمد وبوشنج وتنيس . بينما ادعى آخر انه سمع من الف وثلثمائة رجل وثمانين امرأة . وادعى ثالث انه سمع من سبعة الاف شيخ(١٦٠) .

سن التعليم لطلبة العلوم والمدة اللازمة لاكمال التحصيل .

روى ان النبي (ص) قال : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد »(١٦١) . وانه قال « اطلبوا العلم ولو بالصين »(١٦٢) . وقد تلاقت الضرورات الاجتماعية للتعليم مع الواجب الديني على حث المسلمين على التعلم كلما وجدوا الى ذلك سبيلا . وسبق ان بينت ان السن التي يبدأ عندها الصبيان التعلم بالكتاب كانت تراوح بين السادسة والسابعة من عمرهم ، وان المدة التي يقضيها الولد في الكتاب كانت في حدود السبع سنوات تقريبا(١٦٣) .

أما السن التي يبدأ عندها تعلم العلوم فيصعب تحديدها ، ومثل ذلك ينطبق على المدة اللازمة لاكمال التحصيل . وبالرغم مما سبق فقد عثرنا على أشارات قد تصلح لاخذ فكرة عن هذا الموضوع . لقد وجد بين الامامية عدد من النوابغ ممن

(١٦٠) Tritton, Op. Cit, P. 148.

(١٦١) العسقلاني ، ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ١٢١ .

(١٦٢) الكاشاني ، محسن الفيض ، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، ج١ (طهران ، ١٣٣٩) ص ٢١ .

(١٦٣) ص ١٧٥ .

بدأوا تعلم العلوم في سن مبكرة • فالشريفان علي ومحمد اللذان عرفا فيما بعد بالمرتضى والرضي أرسلهما أمهما الى الشيخ المفيد وهم صغيران ليعلمهما الفقه[١٦٤] • وحدث ابن سينا تلميذه أبا عبيد الجوزجاني انه تعلم كتاب الصفات ، وأدب الكتاب ، واصلاح المنطق وكتاب العين ، وشعر الحماسة ، وديوان ابن الرومي ، وتصريف المازني قبل العاشرة من عمره • وقال له ايضا « فلما بلغت عشر سنين كانوا في بخارى يتعجبون مني ••• ثم شرعت في علم الطب وصنفت القانون وانا ابن ست عشرة سنة ••• فلما انتهى عمري الى اربع وعشرين سنة كنت أفكر في نفسي انه لا شيء من العلوم لا اعرفه »[١٦٥] • واستطاع الشريف غياث الدين بن طاووس ان يحفظ القرآن وله احدى عشرة سنة[١٦٦] • ان الامثلة السابقة تمثل النوابغ ، لذا لا يمكن ان يقاس عليهم الطلبة الاعتياديون •

واليك امثلة تشير الى السن التي يبدأ به الطلبة الاعتياديون دراسة العلوم • قال ابن عياش الكوفي (ت ١٩٣هـ) « بلغت وانا ابن ست عشرة سنة ••• واقبلت على الخير وقراءة القرآن ، فكنت اختلف الى عاصم في كل يوم ••• وكنت اذا قرأت على عاصم اتيت الكلبي فسألت عن تفسيره ••• »[١٦٧] • وقدم محمد بن الحسن الى بغداد وعمره (٢٣) سنة فتلمذ الى الشيخ المفيد[١٦٨] • وقال علي بن الحسين بن فضال في معرض الحديث عن ابيه « كنت اقابله وسني ثمان عشرة سنة بكتبه ، ولا افهم ادراك الروايات ولا استحل أن ارويها عنه ••• »[١٦٩] •

---

(١٦٤) الافندي ، عبدالله ، رياض العلماء ، مخطوط ، ورقة ، ٤٧٢ •

(١٦٥) القزويني ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ـ٣٠٠ •

(١٦٦) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص ٢٢٧ •
وبالرغم من انني لم اجزم بتشيع ابن سينا ، وانني أقرر أنه فيلسوف مسلم ، فأن المعلومات التي أوردتها عن حياته الدراسية مفيدة في توضيح ما أنا بصدد بحثه ، لاسيما اذا كانت المعلومات التي يتطلبها البحث غير متوفرة عن اشخاص لاشك في كونهم من الامامية •

(١٦٧) ياقوت ، معجم الادباء ، ج٧ ، ص ٩٦ـ٧ •

(١٦٨) القمي ، الكنى والالقاب ، ج٢ ، ص ٣٦٣ •

(١٦٩) النجاشي ، الرجال ، ص ١٩٥ •

قال ابن الصلاح « ان اهل البصرة يكتبون لعشر سنين واهل الكوفة لعشرين واهل الشام لثلاثين ... »[١٧٠] .

ولا يمكن ان نستنتج ، بالاستناد الى ماسبق ذكره من النصوص ، قاعدة عامة نستند اليها في تقدير السن التي يبدأ بها الطلبة تعلم العلوم . ولما كان الصبي ينهي تعليمه الاولى حوالى الرابعة عشر من عمره ، كما اقترحنا سابقا ، وان طائفة من الشيوخ كانوا لايسمحون للطالب الذى لم تنبت لحيته ان ينخرط في سلك حلقة الدرس[١٧١] ، يمكننا ان نقترح سن الخامسة عشر بمثابة بداية لمرحلة تعلم الطلبة للعلوم .

أما المدة اللازمة لاكمال التحصيل لدى طلبة العلوم ، فيصعب تحديدها ايضا . وبالرغم من ذلك وجدت اشارات يمكن ان يستنير بها الباحث في تقديره للمدة المذكورة . كان ثعلب يقول نظرت « في حدود الفراء وسني ثماني عشرة وبلغت خمسا وعشرين سنة ، وما بقيت علي مسألة للفراء الا وانا احفظها »[١٧٢]

وسبق ان ذكرنا ان ابن سينا عندما بلغ اربعا وعشرين سنة من عمره تصور انه عرف جميع العلوم المعروفة في عصره . فاذا فرضنا ان ابن سينا اشتغل بتعليم العلوم بعد ان بلغ خمس عشرة سنة يكون قد امضى حوالى ثماني سنين لاكمال تحصيله العلمي . وقد وردت اشارة في مصدر امامي متأخر مفادها ان السيد محمد صاحب المدارك وخاله الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني كانا يقرآن في النجف عند الزاهد احمد الاردبيلي ، وقد وصلا الى الاجتهاد والتصنيف في مدة ثماني سنين[١٧٣] . والاجتهاد والتصنيف يمكن ان يتخذ بمثابة دليل على اكمال التحصيل ، وذلك ان الاجتهاد عند الامامية دليل على الاستقلال العلمي .

وبالرغم من ان الاشارات السابقة لاترتقي الى مرتبة الجزم يمكن ان نقترح، على ضوئها ان المدة الصغرى لاكمال التحصيل والاستقلال العلمي تتراوح بين

---

(١٧٠) ابن الصلاح ، علوم الحديث (القاهرة ، ١٩٣١) ص ١٣٨ .

(١٧١) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٤٧ .

(١٧٢) ابن خلكان ، المصدر ذاته ، ج١ ، ص ٣٧ .

(١٧٣) الجزائري ، نعمة ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

ثماني وعشر سنوات تقريبا بعد الفراغ من الكتاب الذي كان مقاربا لمرحلة الدراسة الاولية عندنا •

ولما كانت دراسة العلوم ترتكز ، في الغالب ، على الاتصال الشخصي بين الطالب والشيخ أو الشيوخ المتعددين ، وانه لاتوجد حينذاك عند المسلمين ، بما فيهم الامامية ، مؤسسات تعليمية ذات انظمة معينة ، كما هي الحال عندنا ، فأن أي تقدير للمدة اللازمة للتحصيل ، أو المدة التي يبدأ بها طالب العلوم تحصيله ، لايعدو الحدس والتخمين • وقد سبق ان ذكرنا ان طائفة من الطلبة امضوا عشرات السنين يدرسون على شيوخهم « فيحيى بن وثاب ، مثلا ، امضى سبعا واربعين سنة حتى اكمل دراسة القرآن الكريم على عبيد بن فضلة »[(١٧٤)] • وتعجب الامام الصادق(ع) من سؤال تلميذه زرارة الذي استنكر فيه الاربعين عاما التي تضاها في السؤال عن مناسك الحج ، وقال « يا زرارة بيت يحج قبل آدم بالفي عام تريد ان تفنى مسائله بأربعين عاما »[(١٧٥)] • وبقى جابر الجعفي يدرس على الصادق(ع) ثماني عشرة سنة [(١٧٦)] • ويقول المؤلف المجهول « لابد من المداومة في العلم من اول التحصيل الى آخر العمر[(١٧٧)] • روى الشافعي ان ابن عيينة كان يحفظ عشرة آلاف حديث وان « ابن حبان جالس ابن عيينة عشرين سنة »[(١٧٨)] •

وقد توصل ترتون الى المعلومات التالية عن السن التي يبدأ بها طلبة العلوم تحصيلهم ، وعن المدة اللازمة لاكمال التحصيل المذكور • يقول ترتون ان الاحصاءآت المتعلقة باعمار الطلبة المسلمين في العصور الوسطى مفقودة ، ولم تصل الينا حول الموضوع المذكور الا الحالات النادرة • وحصل ان ولدا بدأ دراسة العلوم في التاسعة من عمره ، واصبح بمثابة مستملي في مجلس درس شيخ من

---

(١٧٤) المفيد ، الخصال ، ص ٥ •

(١٧٥) محمد حسن ، الجواهر ، ج٣ (النجف ، لا•ت) ص ٢٧٣ •

(١٧٦) الطوسي ، الامالي ، ص ١٨٦ •

(١٧٧) اداب المتعلمين ، ورقة ، ٥ •

(١٧٨) السبكي ، المصدر ذاته ، ج١ • ص ٢٦٤ •

الشيوخ في سن الثالثة عشرة من عمره • وتعلم ولد آخر القرآن في العاشرة من عمره واخذ يدرس في الثالثة عشرة من عمره • وان شخصا اسمه علي السبكي أخذ يدرس في سن السابعة • ويعلق ترتون على الحالة الاخيرة بقوله يا للعجب• ويمضي ترتون بحديثه فيقول يقابل ما ذكرنا حالات مضادة منها ان رجلا بدأ بتعلم قراءات القرآن في الثلاثين من عمره •

ويقترح ترتون ، مستندا على تكرر سن السادسة عشرة كبداية لدراسة العلوم ، ان السن المذكورة تعد بداية لدارسة تلك العلوم •

ويذكر ترتون حالة ثعلب حين درس حدود الفراء وانهى جميع مؤلفاته في الخامسة والعشرين من عمره كما بينا سابقا •

وينتقل ترتون الى الكلام عن الشيوخ الذين كانوا لايقبلون من لم تنبت لحيته من الطلبة في حلقة الدرس • وذات مرة جاء شاب امرد لينخرط في حلقة أحد الشيوخ ، فرفض الشيخ قبوله ولكنه ما لبث ان غير رأيه بعد ان تبين له بعد الامتحان ان الشاب المذكور كان واسع المعرفة • ويقول ترتون ان شابا آخر استعمل لحية مستعارة ليموه على الشيخ حتى يقبله في حلقة درسه [(١٧٩)] •

مركز الطالب الاجتماعي •

يبدو ان مركز الطلبة الاجتماعي كان محترما لان طلب العلم ، كما اسلفنا، كان يعد من الاعمال التعبدية • قال أمير المؤمنين(ع) « تفقهوا في الدين فأن من لم يتفقه منكم في الدين فهو اعرابي • وان الله عزوجل يقول في كتابه « ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »[(١٨٠)] • وقال زين العابدين علي بن الحسين(ع) « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج ، وخوض اللجج ، ان الله تعالى اوحى الى دانيال ان أمقت عبادي الى الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وان احب عبادي عندي التقي، الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، القابل عن الحكماء »[(١٨١)] •

---

(١٧٩) Tritton, Op. Cit, P. 122 - 3.

(١٨٠) الكاشاني ، المحجة البيضاء ، ج١ ، ص ٢٧ •

(١٨١) ايضا ، ص ٢٦ •

وقد ظهر من الائمة مايدل على احترامهم لطلبتهم • وذات مرة قدم عيسى ابن عبدالله القمي للقاء الامام الصادق • وعندما سأله أحـد اصحابه عنه قال ـ « عيسى بن عبدالله منا حيا ، منا ميتا »[182] • وعندما دخل عمران بن عبدالله القمي على الصادق « حدثه مليا فلما خرج قيل لابى عبدالله(ع) ـ من هذا ؟ قال نجيب من القوم النجباء •••»[183] • قال ابو الحسن(ع) لعبدالله بن جندب « انى راض عنك ، والله ورسوله •••»[184] • وكان الرضا (ع) يحترم تلميذه يونس بن عبدالرحمن وكان «يشير اليه في العلم والفتيا••»[185] • وكان يعقوب ابن اسحاق السكيت «•مقدما عند ابي جعفر الثاني وابي الحسن (ع) وكانا يختصانه وله عن ابى جعفر عليه السلام رواية ومسائل وقتله المتوكل لاجل التشيع ••»[186] • قال داود بن القاسم الجعفرى « عرضت على ابى محمد صاحب العسكر عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال لى تصنيف من هذا فقلت تصنيف يونس مولى آل يقطين فقال اعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيامة »[187] •

وقد اظهر طائفة من الشيوخ احترامهم لتلامذتهم • وكان سعيد بن جبير قد اخذ العلم عن ابن عباس • فقال له ابن عباس مرة « حدث فقال احدث وانت ههنا • فقال اوليس من نعمة الله عليك ان تحدث وانا شاهد فأن رضيت فذاك وان اخطأت علمتك»[188] • وحضر الشيخ المفيد مجلس السيد المرتضى يوما « فقام من موضعه واجلسه فيه وجلس بين يديه فأشار المفيد بأن يدرس فى حضوره وكان يعجبه كلامه اذا تكلم »[189] •

---

(١٨٢) الكاشاني ، المحجة ، ج١ ، ص ٣٦ •
(١٨٣) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٩ •
(١٨٤) ابن داود الحلي ، الرجال ، ص ٢٠٠ •
(١٨٥) النجاشي ، الرجال ، ص ٣٤٨ •
(١٨٦) ايضا ، ص ٣٤٩ •
(١٨٧) الكاشاني ، محسن الفيض ، النوادر ، ص ٩ •
(١٨٨) الخونساري ، روضات الجنات ، ص ٣٠٩ •
(١٨٩) الافندى ، رياض العلماء (مخطوط) ورقة ، ٤٧٢ •

وظهر على السنة الكثير من الخاصة وفي أفعالهم ما يدل على احترام طالب العلم وتقديره . قال الامام الباقر « كان ابي زين العابدين (ع) اذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم ، ادناهم اليه وقال مرحبا بكم انتم ودايع العلم ويوشك اذا انتم صغار قوم أن تكونوا كبار اخرين»[190] . وقال الصادق (ع) « لست احب ان ارى الشاب منكم الا غاديا في حالين اما عالما أو متعلما فأن لم يفعل فرط ، فأن فرط ضيع ، فأن ضيع اثم وان اثم سكن النار والذي بعث محمدا بالحق »[191] .

وكان أحترام طالب العلم تقليدا أسلاميا عاما يستوى فيه أهل السنة والامامية . فالشافعي مثلا كان يكن احتراما كبيرا لطلبته . روى السبكي ان الشافعي كان يحب تلميذه الربيع بن سليمان المرادى « وقال له يوما ما أحبك الي .. وقال له يوما يا ربيع لو امكنني انى اطعمك العلم لاطعمتك »[192] . وقال الشافعي ايضا في حق تلميذه اسماعيل بن يحيى المزني ، الذي يصفه السبكي بناصر المذهب وبدر سمائه « المزني ناصر مذهبي .. » . وعندما مرض الشافعي دخل عليه جماعة من تلامذته فتكلم مع كل واحد منهم . فقال للربيع ابن سليمان « وأما انت يا ربيع فأنت انفعهم لي في نشر الكتب » . وقال للبويطي « قم يا ابا يعقوب فتسلم الحلقة ..»[193] . وقال احمد بن حنبل في حق تلميذه سليمان بن داود « لو قيل لي اختر للامة رجلا أستخلفه عليهم استخلفت سليمان بن داود .. »[194] .

واود ان اشير هنا الى ان معلوماتنا عن حياة الطالب الاجتماعية تكاد تنحصر غالبا ، في الناحية الاكاديمية البحتة ، واعنى بذلك أتصاله بالشيخ أو اتصال الشيخ به في مجلس الدرس ، وقيامه بما يتطلب الدرس من تحضير وحفظ وغير

(١٩٠) القمي ، عباس ، الانوار البهية ، ص ١٠٣ .
(١٩١) الكاشاني ، محسن الفيض ، النوادر (طهران ، لا.ت): ص ١٠ .
(١٩٢) طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٢٦٠ .
(١٩٣) ايضا ، ج١ ، ص ٢٣٨ .
(١٩٤) ايضا ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

الطالب الخاصة ، وكيف يقضي اوقات فراغه ، وهل هناك وسائل تسلية معـدة للطلبة،وهل كانت للطلبةعطل طويلة شبيهة بعطلنا المدرسية أو مقاربةلها أو مختلفة عنها ، هذهامور لها اهميتها فيالنظامالتربوي ولكن معلوماتنا عنها قليلة•ومن المؤسف ان المربين القلائل الذين كتبوا عن التربية عند الامامية كانوا يزودوننا بتوصيات ، لا بوصف للواقع ، عن حياة الطالب الاجتماعية وخاصـة تقسيم أوقاته • لقـد سبق ان بينا ان الشهيد الثاني ينصح الطالب بأن يقسم أوقـات ليله ونهاره عـلى ما يحصله ، ويغتنم بقية عمره فأن بقية العمر لا قيمة لها ، ثم يقترح على الطالب أوقاتا للحفظ وأوقاتا للكتابة ، في أماكن بعيدة عن الملهيات ، ولكنه لم يذكـر شيئا عن أوقات فراغه ولعبه[١٩٥] • وينصح المؤلف الامامي المجهـول الطالب « ان يصبر في المشاق ويجتهد بقـدر الوضع فلا يصـرف عمـره في الدنيا الحقيرة »[١٩٦] • ويقترح الشهيد الثاني على الطالب ان « يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحا متقنا على الشيخ أو على غيره ممن يعينه ، ثـم يحفظه حفظا محكما • ثم يكرره بعد حفظه تكرارا جيدا ثم يتعاهده فـي أوقات يقررها »[١٩٧] • ويقترح المؤلف المجهول أوقاتا للحفظ ، ويطلب مـن الطالب ان يعيد السبق و « ان تكون بداية السبق يوم الاربعاء لما قال رسـول الله (ص) ما من شيء بدأ يوم الاربعاء الا وقد تم « ويوم الاربعاء نحس في حـق الكفار فيكون مباركا للمؤمنين »[١٩٨] • وعندما سئل أمير المؤمنين علي (ع) عن السبب الذي من أجله جعل يوم الاربعاء نحسا في حق الكفار قال «فيه قتل قابيل أخـاه ويوم الاربعاء القي ابراهيم في النار ، ويوم الاربعاء وضعوه في المنجنيق »[١٩٩].

---

(١٩٥) منية المريد ، ص ١١٤ •

(١٩٦) اداب المتعلمين ، ورقة ، ٢ •

(١٩٧) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ١١٢ •

(١٩٨) اداب المتعلمين ، ورقة ، ٣ •

(١٩٩) القمي ، علل الشرائع ، ص ٥٩٧ـ٨ •

ويستمر المؤلف المجهول بذكر وصاياه فيقول « ينبغي لطالب العلم ان يقدر لنفسه تقديرا في التكرار فانه لا يستقر حتى يبلغ ذلك المبلغ ، وينبغي ان يكرر سبق امس خمس مرات وسبق اليوم الذى قبله اربع مرات ، والسبق الذى قبله ثلاثا ، والذى قبله اثنان ، والذى قبله واحدة ••• ولا يجتهد جهدا يجهد نفسه لئلا ينقطع عن التكرار فخير الامور اوسطها ••• »[٢٠٠] •

ويبدو من توصيات المؤلفين السابقة انهما لم يتركا للطالب حين قسما اوقاته اليومية فرصة يلهو ويرتاح فيها • ويرغب الشهيد الثاني بخاصة ان يرى الطالب يطالع درسه في الصحراء ، وفي الاقبية المظلمة ، لان الخضرة ، والنبات ، والانهار في نظره من الملهيات • والذى اعتقده ان وعظ الشهيد الثاني وغيره لا يتلائم مع واقع الحياة لان سن للشباب ، وهو السن الذى ينال فيه طالب العلوم كثيرا من معلوماته ، له متطلباته وضروراته •

وقد عثرت على اشارات عابرة ، جاءت هي الاخرى على شكل توصيات لا تمثل الحياة العملية في الغالب ، عن حياة لطالب العلوم افضل مما صورها الشهيد الثاني سابقا • سبق ان اشرت في بداية هذا الفصل الى الحياة المنظمة التي يقترحها ابن سينا للصبيان • وبعد ان ينهي ابن سينا كلامه عن الصبيان ينتقل الى الكلام عن الرياضة الضرورية للكبار بما فيهم الشيوخ • يظهر ان ابن سينا ينهي منهج صبيان المكاتب عند سن الرابعة عشر من عمرهم • يقول ابن سينا « ويكون هذا النهج في تدبيرهم الى ان يوافوا الرابع عشر من سنيهم مع الاحاطة بما هو ذاتي لهم كل يوم من تنقص الرطوبات والتجفيف والتصلب فيدرجون في تقليل الرياضة وهجر المعننة منها ما بين سن الصبا الى سن الترعرع ويلزمون المعتدل ويعد هذا السن هو تدبير الانماء وحفظ صحة ابدانهم ••• » وينتقل ابن سينا الى كيفية حفظ صحة الشباب ، وهم المقصودون هنا • ويقول « لما كان معظم تدبير حفظ الصحة هو ان يرتاض ، ثم تدبير الغذاء ، ثم تدبير النوم ••• الرياضة حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به

---

(٢٠٠) اداب المتعلمين ، ورقة ، ٥ •

غناء عن كل علاج تقتضيه الامراض المادية والامراض المزاجية التي تتبعها وتحدث عنها ... واما انواع الرياضة فالمنازعة والمباطشة والملاكزة والاحضار وسرعة المشي ، والرمي عن القوس والزفن ، والقفز الى شيء ليتعلق به ، والحجل على احدى الرجلين ، والمثاقفة بالسيف والرمح ، وركوب الخيل ، والخفق باليدين ... »(٢٠١) . وكان لعضد الدولة سياسة حسنة « في تربية أولاده وقسمة ايامهم بين اداب البراعة والشجاعة واوقات الجد واللعب والاقتصاد فيما يجرى بينهم من الترافه والتهاجر ... »(٢٠٢) .

ويبدو ان المربيين الاماميين اللذين اقتبستهما قبل قليل ، لم يدققا ، عند رسمهما الصورة القائمة لحياة طالب العلم ، في بعض نواحي سيرة الأئمة (ع) الذين لم يقفوا موقفا سلبيا تجاه متطلبات الحياة الاعتيادية المشروعة لافرادشيعتهم بما فيهم طلبة العلم . فالامام علي (ع) لم يعترض على ابي رافع الذى كان يهتم بترويض الحسن والحسين (ع) . وربما كان ابو رافع يعمل بوحي من امامه . قال ابو رافع « كنت الاعب الحسن والحسين بالمداحي وهى احجار امثال القرصة كانوا يحفرون حفيرة ويدحون فيها بتلك الاحجار فان وقع الحجر فقد غلب صاحبها وان لم يقع غلب »(٢٠٣) . وسبق ان اشرنا الى ان الامام عليا (ع) أوصى آباء الصبية بأن يغسلوا صبيانهم من الغمر ليبعدوا عنهم الشيطان . وقال الصادق (ع) مرة لمؤدب اولاده اذا زكم احدهم فليعلمه (٢٠٤) .

وقد جمع ترتون معلومات كما ابدى آراء عن حياة الطلبة المسلمين في العصور الوسطى نورد شطرا منها هنا لاعتقادنا انها ربما تنطبق على حياة الطلبة الامامية لأن النظام التربوي عند الامامية ، كما سبق ان بينا ، فرع من النظام التربوي الاسلامي العام .

---

(٢٠١) ابن سينا ، القانون ، ج١ ، ص ١٥٨ـ٩ .
(٢٠٢) ابو شجاع، محمد بن الحسين، ذيل تجارب الامم(القاهرة، ١٩١٦)ص٧٠ .
(٢٠٣) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص ٨٣ .
(٢٠٤) البهائي ، الفصول ، ص ٤٤١ .

يقول ترتون كان ينتظر من الطلبة ان يحافظوا على النظام والهدوء في حلقة الدروس ، فأذا ضحكوا أو تكلموا أو بروا اقلامهم احتج الشيخ على تصرفاتهم المذكورة وحمل حذاءه وغادر حلقة الدرس •

وكان من بين العادات التي تراعى في ترتيب جلوس الطلبة في الحلقة ان أكبر الطلاب سنا يحتل المكان الاول في الحلقة ، وقد يحصل ان يتنازل ذلك الطالب عن مكانه الى اكثر طلاب حلقة الدرس نباهة وعلما • وقد حصل ان أحد الشيوخ اضرب عن تعليم تلامذته لسنة كاملة احتجاجا على سماحهم لاصغرهم سنا بأن يحتل المقعد الاول في الحلقة •

وكان المثل الشائع هو ان العجلة من الشيطان • وكانت العجلة شعار الطلبة والخدم ، وذلك أن الطالب يسعى دائما ليصل الى حلقة الدرس في الوقت المعين• وقيل ان مثل من يذهب لحلقة الدرس دون محبرة كمثل من يذهب الى الطاحون دون أن يأخذ معه الحبوب التي يراد طحنها • وينبغي للطالب أن يمتنع عن استعارة محبرة زميله • وقد وردت قصة فحواها ان استعمال محابر الطلبة الاخرين كان مباحا في الحالات الاضطرارية •

ويستمر ترتون في حديثه عن حياة طلبة العلوم المسلمين وشيوخهم في العصور الوسطى فيقول لقد عرف عن بعض معلمي العلوم انهم يأخذون طلبتهم احيانا للنزهة • وذات مرة أخذ شيخ طلبته بعد أن ادوا صلاة الظهر الى الحقول المجاورة حيث اباح لهم الركض والقفز بينما جلس هو متفرجا(٢٠٥) •

ويورد ترتون اشارة الى لباس طلبة العلوم في معرض حديثه عن شيخ (من علماء القرن الثالث) كان من المجددين في تدريسه • لقد وصفت حلقة درس الشيخ المذكور بأنها كثيرة النفع ، وانها عامرة بكل انواع المعرفة • وحدث ان مائة راكب من الكتاب والنبلاء مروا على المسجد الذي يحاضر فيه الشيخ المذكور فجلب انتباههم منظر الحلقة فوقفوا عند مدخل المسجد ، فلم يعر الشيخ اهتماما لاولئك الذين لبسوا الحرير وامتطوا جياد الخيل ، وملكوا الخدم ، وحصر اهتمامه بطلبته

---

(٢٠٥) Tritton, Op. Cit, P. 55 - 6.

الذين كانوا يرتدون العباءآت الممزقة والملابس العتيقة[٢٠٦] .

المركز المالي لطلبة العلوم .

ان المعلومات التي عثرت عليها عن مركز الطالب المالى قليلة جدا . لقد بينا ، عند الكلام عن حالة الشيخ المالية ، ان كثيرا من طلبة العلوم الامامية اعتادوا أن يتعلموا مهنة يعتاشون منها قبل طلبهم للعلم أو اثنـــاء طلبهم له[٢٠٧] . وكانت المهن التي اشرت اليها متنوعة امثال الحدادة ، والصيرفة ، وصنع الاحذية وغيرها .

ويظهر ان المهن المذكورة كانت تدر على اصحابها ارباحا معقولة فعندئذ تكون حالتهم المالية جيدة .

اما الذين لم تكن لهم مهنة او انهم في عوز مادي فأن بعضهم كما سنذكر عند كلامنا عن تمويل التعليم ، كان يتسلم معونة من موارد الحقوق الشرعية والوصية والوقف التي يدفعها الشيعة للأئمة (ع) . ويبدو ان المبالغ التى كان يتسلمها الأئمة من شيعتهم كبيرة . روى الكشي أن يونس بن عبد الرحمن قال « مات ابوالحسن (ع) وليس من قوامه أحد الا وعنده المال الكثير ، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته ، وكان عند علي بن ابى حمزة ثلاثون الف دينار»[٢٠٨] .

ومن الامثلة على صلة الأئمة لاصحابهم الذين يفدون عليهم لسماع الحديث ، ان الصادق اعطى احد اصحابه المعروف بجابر المكفوف ثلاثين دينارا[٢٠٩] . واعطى اخر من أصحابه ثلاثين درهما ودينارين ، ودعاه لأن يتعشى عنده كل ليلة طيلة مكثه بالمدينة[٢١٠] . ويبدو أن تبرعات الامراء والافراد كانت تسد قسما من نفقات التعليم . فعضد الدولة ، كما اسلفنا ، وسابور وغيرهما من البويهيين صرفوا مبالغ لتشجيع العلم . وكان الصاحب بن عباد من بين الامراء الذين انفقوا مبالـغ على العلماء والطلبة . « اذ كانت ايامه للعلوية والعلماء والادباء والشعراء وحضرته

---

(٢٠٦) Ibid, P. 35.

(٢٠٧) ص ١٦١ وما بعدها .

(٢٠٨) الرجال ، ص ٢٨٤ .

(٢٠٩) الرجال ، ص ٣١٥ .

(٢١٠) ايضا ، ص ٢٨٤ .

محط رحالهم وموسم فضلائهم ومترع امالهم ، وامواله مصروفة اليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم »[٢١١] واوقف الصاحب الكتب المنوعة لفائدة الطلبة واهل العلم[٢١٢] • ـ

ويوصي الامامي المجهول الطالب بان « يكون ذا همة عالية لايطمع في اموال الناس • قال النبي (ص) • اياك والطمع فانه فقر حاضر » • ولايبخل بماعنده من المال بل ينفق على نفسه وعلى غيره •• وكان في الزمان الاول يتعلمون الحرفة ثم يتعلمون العلم حتى لايطمع في اموال الناس »[٢١٣] • ويبدو ان معاونة طالب العلم كانت من الامور المحمودة • روى الديلمي ان النبي (ص) قال ـ « من اعان طالب العلم بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له بابا من نور في قبره »[٢١٤] • وقد وسع الشريف الرضي على طلبة العلم الملازمين له • وقد سبق ان بينا انه اعطى كل واحد منهم مفتاحا للمخزن الخاص بدار العلم ليأخذ ما يحتاج اليه منه • وكان أخوه المرتضى يمول « تلامذته جميعا »[٢١٥] • وقد اوقف قرية على كاغد الفقهاء[٢١٦] • وكان السيد المرتضى « يجري على جميع تلامذته ، وأنه قرر للشيخ الطوسي كل شهر أيام قراءته عليه اثنى عشر دينارا ، وعلى ابن البراج كل شهر ثمانية دنانير »[٢١٧] وكان المرتضى غنيا فليس من المستبعد ان يصح ما نسب اليه من سخاء في سبيل الطلبة وتشجيع العلم • ذكر ياقوت ان يحى بن الحسين العلوي الزيدي خاطب احدهم بعد ان مدحه بعض الشعراء وخرج ـ « يا ابا الفضل ، الناس ينظرون الي والى المرتضى ولا يفرقون بين الرجلين ، المرتضى يدخل عليه من املاكه كل سنة اربعة وعشرون ألف دينار ، وانا آكل من طاحونة لاختي ليس لي معيشة غيرها »[٢١٨] •

---

(٢١١) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٣ ، ص ٣٢ •
(٢١٢) القمي ، تاريخ قم (بالفارسية) ص ٦ •
(٢١٣) اداب المعلمين ، ورقة ، ٤ •
(٢١٤) ارشاد القلوب ، ج١ ، ص ١٧٢ •
(٢١٥) الافندى ، رياض العلماء ، (مخطوط) ورقة ، ٤٧١ •
(٢١٦) ايضا ، ص ٤٧٢ •
(٢١٧) الافندى ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٦ •
(٢١٨) معجم الادباء ، ج١٣ ، ١٥٤ •

الفصل الخامس

اساليب التعليم والمنـاهج

توطئـــــة .

سبق ان بينا في مواضع عدة من هذه الرسالة ان الهـدف الديني للتربية الاسـلامية ، في الفترة التي تناولتها بالبحث ، كان أهـم الاهـداف التي توخت تحقيقها تلك التربية ، واولاها بالعناية والتفضيل . ولم تنفرد الامة الاسلامية بتأكيدها التام على الهدف الديني للتربية ، بل يبدو ان ابراز الطابع الديني للانظمة التربوية في العصور الوسطى كان هدفا عاما تبنته الغالبية العظمى من الامم بما فيها الامة الاسلامية .

وبالرغم مما سبق فأن المربين المسلمين لم يهملوا الهدف الدنيوي للتربية بل خصصوا له نصيبا من عنايتهـم . ويترتب على ذلك ان التربية الاسـلامية كانت تستهدف تحقيق غايتين اولاهما واهمهما الاعداد للحياة الاخرة ، وثانيتهما تمكين الفرد من معرفة طائفة من العلوم والمهارات التي تساعده على النجاح في الحيـاة الدنيـــا .

وقد نال الاعداد للحياة الاخرة الاهتمام الرئيسي من قادة الفكر عند الامامية واسلافهم . ونظر اولئك القادة للعلوم الشرعية بأنها اساس المعرفة . قال الامام الصادق « وجدت علوم الناس كلها في اربع خلال ـ اولهـا ان تعـرف ربك ، والثانية ان تعرف ما صنع بك ، والثالثة ان تعرف ما اراد منك ، والرابعة ان تعرف ما يخرجك من دينك »[1] . وعندما يوصي السيد موسى ابن طاووس (ت : ٦٤٤هـ) ابنه يقول اريد « من الله جل جلاله ان يلهمك ، ومنك ان تقبل الهـامه ، وان تتعلم الفقه الذي فيه السبيل الى معرفة الاحكام الشرعية ، واحياء سـنة جـدك المحمدية ، ويكون قصدك بذلك امتثال أمر الله جل جلاله في التعليم وسلوك الصراط المستقيم »[2] .

(١) الطوسي ، الامالي ، ص ٢٠ .
(٢) ابن طاووس ، موسى بن جعفر ، كشف المحجة لثمرة المهجة ، ص ١٢٦ .

ويبدو ان بعضهم كان ينظر الى بعض المهارات ، كالخط مثلا ، بانها لاتعلم لذاتها بل هي واسطة لتحقيق غاية اخروية . يقول ابن طاووس مخاطبا ابنه محمد « فأوصيك بتعلم الخط على التمام فانه معونة لك على السلوك الى الله جل جلاله ودخول غاية رضاه في دار المقام » . ثم يوصي ابن طاووس ابنه بتعلم العربية « بمقدار ما يحتاج اليه مثلك من الطالبين للمراضي الالهية واحياء السنن النبوية »[٣] . ويقول ابن داود الحلي في مقدمة كتابه الموسوم بـ « الرجال » « الحمد لله الذي وفقني للتخلي عن الحركات الدنيوية والنظر في المهمات الاخروية »[٤] . أما غاية التعليم فهناك ما يدل عليها في الأدب الامامي ما دامت لاتتعارض مع الغاية الدينية . ويقوم بروز معلمين كفاة في حقول العلوم غير الشرعية بين الامامية دليلا على اهتمامهم بالغاية الدنيوية من التعليم . ففي اللغة والادب ، مثلا ، برز من بينهم ابو الاسود الدؤلي ، والخليل بن احمد الفراهيدي ، والمازني ، والمبرد ، وقطرب ، وابن السكيت ، وابن السكون وغيرهم . وفي حقل الفلسفة برز بينهم الكندي[٥] وابن سينا [٦] والفارابي . أما في علم النجوم فقد اورد ابن طاووس في كتابه الموسوم بـ « فرج المهموم في معرفة علم النجوم »[٧] طائفة من علماء الامامية وأسلافهم الذين اشتغلوا بالعلم المذكور ، بالرغم من أن بعضهم كان يتصور ان النظر في علم النجوم يخالف الشرع كما يظهر من الخبر التالي . قال عبدالرحمن بن سبابة « قلت لابي عبدالله(ع) جعلت لك الفداء ان الناس يقولون ان النجوم لايحل النظر فيها وهي تعجبني ، فان كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني ، وان كانت لا تضر بديني فوالله اني لاشتهيها واشتهي النظر فيها . قال . ليس كما يقولون لا تضر بدينك »[٨] .

---

(٣) ايضـــا ، ص ١٣٦ .
(٤) الرجال ، ص ٢ .
(٥) ص ٥٣ .
(٦) لقد وجدت عبارات في كتب ابن سينا تدل على تشيعه . يضاف الى ذلـك ان طائفة من الكتب الامامية يعدونه منهم .
(٧) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٣٦٨ هـ .
(٨) الكليني ، الروضة ، ص ٣٠٧ .

ومن العلوم غير الشرعية التي ألف بها الامامية واسلافهم الفلسفة والطب وغيرهما • قال الطوسي ان اسماعيل بن شعيب ألف مجموعة من الكتب « منهما كتاب الطب »[٩] • وان الحسن بن موسى النوبختي ألف كتاب « اختصار الكون والفساد » لارسطاليس وانه كان متكلما فيلسوفا ويجتمع اليه جماعة من نقلة كتب الفلسفة[١٠] • وكان ابان بن عثمان البجلي من أهل الكوفة وكان يسكنها تارة والبصرة اخرى « وقد اخذ عنه اهلها ابو عبيدة معمر بن المثنى وابو عبدالله محمد بن سلام واكثروا الحكاية عنه في اخبار الشعراء والنسب والايام»[١١] •

وتبدو الغاية الدنيوية من التعليم واضحة في قول الامام الصادق التالي « من الله عز وجل على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ولولا ذلك لتغالطوا »[١٢] • ويظهر من النص المذكور ان الخط والحساب علمان ضروريان لتنظيم حياة الناس العاجلة بغض النظر عن تقواهم أو عدمها •

وعندما يتكلم الديلمي عن العقل يؤكد كثيرا على فوائده الدنيوية للفرد • قال الديلمي « لكل أدب ينبوع ، وامير الفضل وينبوع الادب العقل ، جعله الله لمعرفته وللدين اصلا ، وللملك والدنيا عمادا ، وللسلامة من المهلكات معقلا فأوجب لهم التكليف بأكماله وجعل أمر الدنيا مدار به ، وألف بين خلقه مع اختلافهم وتباين اغراضهم ومقاصدهم وما استودع الله تعالى احدا عقلا الا استنقذه به يوما والعقل اصدق مشير ، وانصح خليل ، وخير جليس ، ونعم الوزير ، وخير المواهب العقل وشرها الجهل »[١٣] •

وبالرغم من الاهتمام الذي ابداه الامامية في العلوم غير الشرعية فأنهم ركزوا جل اهتمامهم ، في الفترة التي بحثناها ، بدرس علوم آل البيت وتدريسها • وكان هدفهم من وراء ذلك الاهتمام رضا الله لان دراسة العلوم المذكورة لم تكن

---

(٩) الفهرست ، ص ٣٤ •
(١٠) ايضا ، ص ٧١ •
(١١) ايضا ، ص ٤٢ •
(١٢) الكليني ، الكافي ، ص ٣٧٢ •
(١٣) الديلمي ، ارشاد القلوب ، ج١ ، ص ٢٠٦ •

تؤهلهم للعمل في ديوان السلطان • ويعود ذلك لسببين احدهما ان كثيرا من الامامية واسلافهم عزفوا عن خدمة سلطان غاصب ، في نظرهم ، كما سبق ان بينا في الفصل الاول من هذه الرسالة[14] ، وبكما يبدو من الرواية التالية ـ قال ابن طاووس في وصفه لخلاصه من وظيفة الافتاء التي طلب منه الخليفة العباسي اشغالها « فأول شرك نصبه الشيطان ليفرق بيني وبين الله ••• انه طلبني الخليفة المنتصر ••• للفتوى ••• فحضرت فاجتهد بكل جهد ••• انني ادخل في فتواهم فقواني الله ••• على مخالفتهم والتهوين بنفسي وما املكه في طلب رضاء الله ••• بالامتناع منهم والاعراض عنهم ••• فلو انني دخلت يا ولدي محمد ذلك اليوم معهم في هذه الفتوى الدينية ، ولعب اهل الدنيا وقواعدهم الردية ، كنت هلكت ابد الابدين وكانوا قد ادخلوني فيما يفرق بيني وبين رب العالمين»[15] •

ثم يقول ابن طاووس ان الخليفة عاد وكلفني « الدخول في الوزارة ••• فراجعت واعتذرت حتى بلغ الامر الى ان قلت ما معناه ان كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء يمشون امورهم بكل مذهب وكل سبب ••• وان اردت العمل في ذلك بكتاب الله ••• وسنة رسوله ••• فهذا أمر لا يحتمله من في دارك لا مماليكك ولا خدمك ولا حشمك ولا ملوك الاطراف ••• »[16] •

ويبدو من النص السابق ان ابن طاووس امتنع عن قبول منصب الافتاء ثم الوزارة لانه لايريد السير على التقاليد الدينية والسياسية السابقة لاعتقاده بعدم شرعيتها ونبه الخليفة الى انه ان سار على كتاب الله وسنة رسوله اثار غضب حاشية الخليفة وملوك الاطراف • وكان يقصد بالكتاب والسنة تفسير الكتاب الكريم ونقل السنة الشريفة كما ورد عن الائمة (ع) لان اصل الكتاب والسنة شيء واحد ، كما هو معلوم ، عند اهل السنة والشيعة •

أما السبب الثاني الذي من اجله كانت دراسة علوم آل البيت غير مؤهلة

---

(١٤) ص ٤٥ •

(١٥) ابن طاووس ، كشف المحجة لثمرة المهجة ، ص ١١١ـ١٢ •

(١٦) ايضا ، ص ١١٤ •

لاشغال عمل في ديوان السلطان هو ان الخلفاء ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، كانوا لا يقلدون من عرف عنه التشيع اعمالهم لاسيما المراكز الدينية منها • روى ياقوت ان علي بن محمد الفصيحي (ت : ٥١٦هـ) لما قدم بغداد « درس النحو بالنظامية ••• ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك فقال لا اجحد انا متشيع من الفرق الى القدم فأخرج من النظامية ورتب مكانه الشيخ ابو منصور موهوب ••• الجواليقي فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل اليها للقراءة عليه فقال لهم يوما داري بكري وخبزي بشري وقد جئتم تدحرجون الى اذهبوا الى من عزلنا بـه »[١٧] •

اساليب أو طرق التدريس •

قبل الحديث عن اساليب التدريس ، اود ان احدد طائفة من الالفاظ التي استعملها مؤلفو كتب الرجال والحديث للدلالة على تحمل الحديث ونقله عن الشيخ •

أ ـ السماع من لفظ الشيخ •

وينقسم الى املاء وتحديث من غير املاء ، وسواء كان من حفظ الشيخ أو من كتابه • وهذا القسم ارفع الاقسام عند الجماهير[١٨] • ويقول الراوي ١ ـ « سمعت » عند سماعه الحديث من الشيخ اذ لايكاد احد يقول سمعت في احاديث الاجازة والمكاتبة ولا في تدليس ما لم يسمعه • ٢ ـ يقول الراوي « حدثني وحدثنا » للدلالة على قراءة الشيخ عليه ، ولكن اللفظين الاخيرين يحتملان الاجازة ، على رأي بعضهم بخلاف سمعت • ٣ ـ يقول الراوي « اخبرنا » لظهور الاخبار في القول • ولكن لفظة « اخبر » تستعمل في الاجازة والمكاتبة فلذلك كان استعمالها ادون من العبارات السابقة في رقم ١ و ٢ • ٤ ـ يقول الراوي « انبأنا » ، وتغلب هذه اللفظة في الاجازة وهي قليلة الاستعمال هنا قبل ظهور الاجازة فكيف بعدها[١٩] •

---

(١٧) معجم الادباء ، ج٥ ، ص ٤١٥ •

(١٨) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص ١٤٠ •

(١٩) الشهيد الثاني ، الدراية (النجف ، لا•ت) ص ٨٦ •

ب ـ القراءة على الشيخ أو العرض •

يقول ابن الصلاح تتحقق القراءة سواء « كنت انت القارىء أو قرأ غيرك وانت تسمع ، أو قرأت من كتاب أو من حفظك أو كان الشيخ يحفظ مايقرأ عليه اولا يحفظ لكن يمسك اصله هو أو ثقة غيره »[٢٠] • ويقول الراوي في حالة العرض « قرأت » على فلان أو « قرىء » على فلان وانا اسمع فاقر به • وقد يقال حدثنا فلان قراءة عليه ، أو اخبرنا قراءة عليه ، ونحو ذلك وكذلك انشدنا قراءة عليه في الشعر[٢١] •

ج ـ الاجازة •

وسنورد عنها تفصيلات بعد قيل •

د ـ المناولة •

وهي كالاجازة من اقسام طرق تحمل الحديث وتلقيه • والمناولة على نوعين احدهما المناولة المقرونة بالاجازة ، ومن صورها ان يدفع الشيخ الى الطالب أصل سماعه أو فرعا مقابلا به ويقول هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه عني أو اجزت لك روايته عني • ثم يملكه أياه أو يقول خذه وانسخه وقابل به ثم رده الي أو نحو هذا ومنها ان يجيء الطالب الى الشيخ بكتاب أو جزء من حديثه فيعرضه عليه فيتأمله الشيخ وهو عارف متيقظ ثم يعيده اليه ويقول له وقفت على مافيه وهو حديثي عن فلان أو روايتي عن شيوخي فيه فاروه عني أو اجزت لك روايته عني • والنوع الثاني من المناولة هو المناولة المجردة عن الاجازة ، وتتم عندما يناول الشيخ تلميذه الكتاب ويقول هذا من حديثي أو من سماعاتي ولا يقول اروه عني أو اجزت لك روايته عني[٢٢] • ومن الجدير بالذكر انني لم اعثر في المصادر التي اطلعت عليها على امثلة للمناولة تعود للفترة التي بحثتها •

وننتقل الى الحديث عن طرق التدريس عند الامامية • ويمكن تقسيم الطرق المذكورة الى ما يأتي :

---

(٢٠) المقدمة ، ص ١٤٢ •

(٢١) ايضا ، ص ١٤٣ •

(٢٢) ابن الصلاح ، المقدمة ، ص ١٦٠ـ٣ •

اولا ـ طريقة السماع من المعلم(٢٣) .

روى ابن شهراشوب ان من كتب المفضل بن عمر كتاب « الاهليلجة(٢٤) من املاء الصادق عليه السلام في التوحيد »(٢٥) . ومن كتب الحسن بن خالد البرقي « تفسير العسكري من املاء الامام عليه السلام مائة وعشرون مجلدة »(٢٦). روى الطوسي أنه سمع عبدالواحد بن محمد بغداد في الكرخ سنة عشر وأربعمائة يقول « اخبرنا ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة املأ في مسجد براثا لثمان بقين من جمادى الأول سنة ثلاثين وثلثمائة »(٢٧) . قال الشيخ المفيد عند ذكره المجلس الاول من كتابه الموسوم ب « الامالي »(٢٨) « مجلس يوم السبت ، مستهل شهر رمضان سنة أربع واربعمائة بمدينة السلام في الزياريين في درب رباح منزل ضمرة ابي الحسن علي بن محمد ابن عبدالرحمن الفارسي أدام الله عزه بأملائه من كتبه »(٢٩) . وكان لمحمد بن احمد المعروف بالصفواني مصنفات كثيرة و « له كتب املاها من ظهر قلبه ...»(٣٠) . يقول النجاشي الف محمد بن عمر بن محمد التميمي « كتاب الشيعة من اصحاب الحديث وطبقاتهم وهو كتاب كبير سمعناه من ابي الحسن محمد بن عثمان »(٣١) . ويقول ايضا عند ترجمته لعلي بن ابي صالح الخياط ان حميدا قال « سمعت عنه كتبا عدة منها ... »(٣٢) . وقال ايضا « اخبرنا ابو عبدالله بن

(٢٣) نقصد بالمعلم هنا معلم العلوم سواء كان الامام أو الشيخ أو المدرس
(٢٤) يقول ابن النديم (الفهرست ، ليبزج ، ١٨٧١ ، ص ٣١٧) ان كتاب الاهليلجة لا يعرف مؤلفها ، ويقال الفها الصادق (ر) وهذا محال
(٢٥) معالم العلماء ، ص ٣٤ .
(٢٦) ابن شهراشوب ، معالم العلماء ، ص ١٢٤ .
(٢٧) الامالي ، ص ١٦٩ .
(٢٨) طبع الكتاب المذكور في النجف بدون تاريخ للطبع .
(٢٩) الامالي ، ص ٩ .
(٣٠) الحلي ، ابن داود ، الرجال ، ص ٢٩٤ .
(٣١) الرجال ، ص ٣٠٨ .
(٣٢) الرجال ، ص ١٩٥ .

شاذان قال حدثنا علي بن حاتم قال حدثنا علي بن سليمان بكتابه النوادر »[٣٣].

وقد الف شيوخ الامامية طائفة من كتب الامالى[٣٤]. وقد سبق ان أوردنا تفصيلات عن كتاب « الامالى » للشيخ الصدوق القمى عند كلامنا عن المجالس في الفصل الثاني من هذه الرسالة . وللشيخ المفيد كتاب « امالى » سبقت الاشارة اليه . ويحتوى امالي المفيد اثنين واربعين مجلسا تحتوى على مائتى مطلب نفيس في شتى البحوث مع أسنادها الموثوق بصدورها عن النبي وآل بيته(ع). وقد املى المفيد المجلس الاول بمدينة السلام يوم السبت مستهل شهر رمضان . (ص ٩) والثاني يوم الاربعاء لخمس خلون منه (ص ١٥) . والثالث السبت لثمان خلون منه . والمجلس الرابع يوم السبت النصف منه (ص ٢٥) . والخامس يوم الاثنين السابع عشر منه (ص٢٩) . والسادس الاربعاء التاسع عشر منه (ص ٣٤) . ولو عقدنا مقارنة بين « امالى » الصدوق الذى سبقت الاشارة اليه[٣٥] وبين « امالى » المفيد لرأينا ان الصدوق كان يتقيد بألقاء دروسه أو جلسات تدريسه (المجالس) مقرونة بأيام معينة من كل أسبوع ، كما أن الفواصل بين مجلس واخر ثابتة . يضاف الى ذلك ان الصدوق أنهى مجالسه بسنة كاملة . أما المفيد فان الفواصل بين مجالسه لم تكن ثابتة . فكانت الفاصلة بين المجلس الاول والثاني اربعة أيام وبين الثاني والثالث ثلاثة أيام ، وبين الثالث والرابع والخامس يومان فقط . يضاف الى ذلك ان المفيد لم يتقيد بايام معينة من كل اسبوع

---

(٣٣) ايضا ، ص ١٩٨ .

(٣٤) ذكر الشيخ اغا بزرك الطهراني (الذريعة ، ج٢ ، ص ٣٠٥) تحت عنوان الامالي ما نصه ـ « الامالي عنوان لبعض كتب الحديث ـ غالبا ـ وهو الكتاب الذى ادرجت فيه الاحاديث المسموعة من املاء الشيخ عن ظهر قلبه أو كتابه ، والغالب عليه مجالس السماع ، ولذا يطلق عليه (المجالس) أو (عرض المجالس) ايضا ، وهو نظير (الاصل) في قوة الاعتبار وقلة تطرق احتمال السهو والغلط والنسيان ولاسيما اذا كان املاء الشيخ عن كتابه المصحح أو عن ظهر القلب مع الوثوق والاطمئنان بكونه حافظا متقنا ، والفرق ان مراتب الاعتبار في افراد (الاصول) تتفاوت حسب اوصاف مؤلفيها وفي (الامالي) تتفاوت بفضائل ممليها ».

(٣٥) ص ٨١ .

لالقاء مجالسه كما فعل الصدوق • وثمة فارق اخر بين الصدوق والمفيد هو ان الصدوق أنهى مجالسه بسنة كاملة دون أنقطاع بينما المفيد أستمر بمجالسه سنوات عديدة • فالمجلس الاول كان في سنة اربع واربعمائة (ص ٩) • والمجلس العاشر كان « يوم الاربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة سبع واربعمائة » (ص ٥٩) • والمجلس الرابع والعشرون هو « مجلس يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان واربعمائة وهو اول مجلس املى فيه في هذا الشهر » (ص ١٣١) •

وبعد كتاب الامالي للشيخ الطوسي من كتب الامالي المشهورة عند الامامية• وكان الطوسي قد قسم كتابه المذكور الى اجزاء أو جلسات تدريسية املاها كلها بمشهد امير المؤمنين (ص ٢) • الاول بداه في شهر ربيع الاول من سنة ٤٥٥هـ (ص ١ – ٢٠) • والثاني املاه بمشهد مولانا امير المؤمنين في ربيع الاول من من سنة ٤٥٥ هـ « ص ٢٠–٣٨ » • والثالث في شعبان سنة ٤٥٥هـ (٣٨–٥٨) والرابع في المكان نفسه ولكن الطوسي لم يقرنه بذكر الشهر والسنة كعادته (ص ٥٨–٧٥) • والخامس أملاه في ٢٦ رمضان سنة ٤٥٧ هـ (٧٥–٩٣) • وهكذا يستمر الطوسي في ذكر الامكنة والازمنة التي املى فيها كتابه المذكور •

ولعل القارىء يستطيع الاستنتاج ، بالاستعانة بالمقارنة التي اوردتها قبل قليل ، ان طريقة الطوسي في القاء مجالسه وتعيين اوقاتها كانت اقرب الى طريقة المفيد منها الى طريقة الصدوق القمي •

وكانت طريقة السماع من الشيخ اكثر الطرق شيوعا عند طلبة الحديث المسلمين بما فيهم الامامية • ومن الامثلة عليها عند أهل السنة ما رواه السهمي من ان محمد بن احمد الاسماعيلي كان « اول من جلس للأملاء في حياة والده

ابي بكر الاسماعيلي •• في مسجد الصفارين الى ان توفى والده ، ثم أنتقل الى المسجد الكبير الذى كان والده يملي فيه ، ويملي في كل يوم سبت الى ان توفي سنة خمس واربعمائة »[٣٦]• قال ابو سعد احمد بن محمد المالينى « سمعت •• علي بن اسماعيل الصوفي يقول سمعت ابا الحسن المنصورى يقول سألت الجنيد متي يستوجب العبد ••• قال سمعت سريا يقول هو •••[٣٧] ، قال احمد بن اسحاق الضبعي « سمعت اسماعيل بن اسحاق السراج يقول قال لي احمد بن حنبل ••• »[٣٨]• قال الشهيد الثاني ان أبا سعيد الشيباني روى « في ادب الاستملاء ان المعتصم وجه من يحرز مجلس عاصم بن علي بن عاصم في رحبة النخيل من جامع الرصافة ، قال وكان عاصم يجلس على سطح المسقاط وتنتشر الناس في الرحبة وما يليها فيعظم الجمع جدا حتى سمع يوما يستعاد اسم الرجل في الاسناد اربع عشرة مرة والناس لا يسمعون ، فلما بلغ المعتصم كثرة الجمع امر من يحرزهم فحرزوا المجلس عشرين ومائة الف ••• »[٣٩] •

تظهر المبالغة في الرواية السابقة ، لانه يصعب تصور جلوس عشرين ومائة الف في قاعة واحدة • كما يصعب على الشيخ ان يوصل صوته الى جميع هؤلاء رغم أحتمال وجود عدد من المستملين يساعدونه في ذلك •

يضاف الى ذلك ان المستمعين قد يشعرون بأن الفائدة لا تتحقق من الأملاء لانهم كانوا حريصين على التأكد من صحة الالفاظ التى تملى لاسيما ان الدرس المذكور كان حديثا نبويا شريفا ، وان صحة الاسناد وسلامة المتن أمران ضروريان لصحة النقل •

---

(٣٦) تاريخ جرجان ، ص ٤١٠ •
(٣٧) السبكي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٣ •
(٣٨) ايضا ، ج٢ ، ص ٣٩ •
(٣٩) الدراية ، ص ٩٢ •

ثانيا ـ طريقة القراءة على الشيخ أو العرض(٤٠) .

بينا عند تحديدنا للالفاظ المستعملة في تحمل الحديث وتلقيه قبل قليل معنى القراءة على الشيخ ، وسنورد امثلة على هذه الطريقة . قال الطوسي ان لاسماعيل بن موسى بن جعفر كتبا يرويها عن ابيه عن ابائه (ع) ... قال حدثنا ابو علي محمد بن اسحاق بن الاشعث ... بمصر قراءة عليه من كتابه »(٤١) . قال النجاشي ان احمد بن الحسين قرأ « كتاب الصلاة والزكاة ومناسك الحج والصيام ... على احمد بن عبدالواحد في مدة سمعتها معه وقرأت أنا كتاب الصيام عليه في مشهد العتيقة ...»(٤٢) . قال الطوسي عند كلامه عن كتاب لابان بن تغلب « فأخبرنا به الحسن بن عبدالله قال قرأته على ابي بكر احمد بن عبدالله ... قال قرأته على ابي العباس احمد بن محمد بن سعيد »(٤٣) . وجاء في مستهل المجلس الخامس من كتاب « الامالي » للمفيد « ومما املاه في يوم الاثنين السابع عشر منه وسمعه ابو الفوارس ابقاه الله اخبرني الشيخ الجليل المفيد ... قراءة عليه»(٤٤) . وجاء في بداية المجلس الرابع من الكتاب المذكور « ومما املاه في مجلس يوم السبت النصف منه (يقصد الشهر) ولم احضره ولكن استنسخته وقرأته عليه . وسمع والدي ابو الفوارس ... يوم الخميس... « ثم يقول اخبرنا الشيخ الجليل المفيد ... قراءة عليه في هذا اليوم »(٤٥) .

ويبدو من النص المذكور ان المتكلم هو احد تلامذة المفيد وكان يقرأ عليه هو ووالده ابو الفوارس وكان يستنسخ الدروس من والده عند غيابه عنها ثم

---

(٤٠) يقول ابن الصلاح (المقدمة، ص١٤٢) ان أكثر المحدثين يسمون القراءة على الشيخ عرضا من حيث ان القارىء يعرض على الشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرىء .

(٤١) الفهرست ، ص ٣٤ .

(٤٢) الرجال ، ص ١٩٦ .

(٤٣) الفهرست ، ص ٤١ .

(٤٤) المفيد ، الامالي ، ص ٢٩ .

(٤٥) ايضاً ، ص ٢٥ .

يعرضها على المفيد للتأكد من صحة روايتها . ومما يؤيد ما ذهبت اليه ان المجلس الخامس من دروس المفيد المذكورة يبدأ بما يأتي - «ومما املاه في يوم الاثنين السابع عشر منه وسمعه ابو الفوارس ابقاه الله اخبرني الشيخ ... المفيد ... قراءة عليه »[٤٦] . وكذلك يبدأ المجلس السادس - «ومما املاه في يوم الاربعاء التاسع عشر منه وسمعه ابو الفوارس ... اخبرنا الشيخ ... المفيد ... قراءة عليه »[٤٧].

ويعبر الراوي عن هذه الطريقة ان اراد رواية ذلك بقوله «قرأت على فلان أو قرأ عليه وأنا اسمع فاقر الشيخ به »[٤٨] .

ومن الامثلة على طريقة العرض ، فضلا عما سبق ، ما يأتي - روى عبيد ابن محمد بن قيس البجلي عن ابيه قال « عرضنا هذا الكتاب (كتاب عبيد) على ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقال هذا قول امير المؤمنين عليه السلام انه كان يقول اذا صلى قال في اول الصلاة وذكر الكتاب »[٤٩]. روى النجاشي ان الحسن بن عبدالله قال - « جئت بالمنتخبات الى ابي القاسم بن قولويه رحمه الله اقرأها عليه ... »[٥٠] . وبعد ان يعدد الطوسي كتب المرتضى يقول - « قرأت هذه الكتب اكثرها عليه وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثيرة ... »[٥١].

وعندما يعدد الطوسي كتب المفيد يقول « سمعنا منه هذه الكتب كلها بعضها قراءة عليه ، وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع »[٥٢] . وقال الطوسي عند ترجمته لاحمد بن محمد السواق انه صنف كتبا منها كتاب الصيام « اخبرنا به الحسين بن عبدالله قال حدثنا احمد بن محمد الرازي قراءة عليه»[٥٣] .

---

(٤٧) ايضا ، ص ٣٤ .
(٤٨) الشهيد الثاني ، الدراية ، ص ٨٧ .
(٤٩) الطوسي ، الفهرست ، ص ١٣٤ .
(٥٠) الرجال ، ص ١٣٤ .
(٥١) الفهرست ، ص ١٢٦ .
(٥٢) ايضا ، ص ١٨٧ .
(٥٣) ايضا ، ص ٥١ .

ويبدو ان التعليم بطريقة القراءة على الشيخ او العرض يكون فرديا على الاغلب • ويكون الطالب حرا في اختيار الموضوع الذي يريد قراءته على الشيخ• ويعرض الطالب عند دراسته للموضوع المذكور الكتب الــذي يحتوي ذلك الموضوع • ويقرأ الطالب او غيره الكتاب الذي يراد درسه بحضــور الشيخ • وحينئذ يتحقق اطلاع الشيخ على المعلومات التي احتواها الكتاب او الكتب التي تدرس بأشرافه وبحضرته • وبعد أن تتم عملية التعليم يصــح للتلميذ ان يروي الكتاب او الكتب التي درسها على شيخه •

ولترتون رأي في طريقة القراءة على الشيخ يقول فيه ان طريقة الســماع على الشيخ افضل في نظر الطلبة من طريقة العرض او القراءة على الشيخ • وقد حدث مرة ان احد الطلبة قال انه قد فقد كل احترام لطريقــة العرض المذكورة عندما شاهد مالكا يغط في نومه في الوقت الذي كان احد الطلبــة يقرأ عليــه من كتاب(٥٤) •

ثالثا ــ طريقة المكاتبة • تقوم هذه الطريقة من طرق نقل الحديث عــلى كتابة الشيخ الى الطالب وهو غائب شيئا من حديثه بخطه او يكتب له ذلك وهــو حاضر • ويلتحق بذلك ما اذا امر غيره بأن يكتب له ذلك عنه اليه ،(٥٥) •وينقسم هذا النوع من طرق تحمل الحديث الى نوعين • أحدهما ان تتجرد المكاتبة عــن الاجازة • والثاني ان تقترن بالاجازة بأن يكتب اليه ويقول اجزت لك ما كتبته لك او ما كتبت به اليك او نحو ذلك من عبارات الاجازة •

ومن الامثلة على طريقة المكاتبة ما رواه ابن شهراشوب مــــن ان داود الصرفي كان ممن لقي زين العابدين عليه السلام ، له كتاب مسائل(٥٦) • وكــان للحلبي كتاب «المسائل عن الصادق عليه السلام»(٥٧) • وكان زكريا بن آدم

---

(٥٤) Tritton, Op. Cit, P. 40

(٥٥) ابن الصلاح ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ •

(٥٦) معالم العلماء ، ص ٥٠ •

(٥٧) ايضا ، ص ١٤٥ •

القمي « من اصحاب موسى بن جعفر عليهما السلام له مسائل ... »[٥٨] . وكان لصفوان بن يحيى « مسائل عن ابى الحسن موسى عليه السلام»[٥٩] . ولعلي بن يقطين « مسائل عن ابى الحسن موسى عليه السلام»[٦٠] . وكان لابى احمد محمد بن ابى عمير كتاب « مسائله عن الرضا عليه السلام »[٦١] . ولياسر الخادم مسائل عن الرضا عليه السلام »[٦٢] . وكان لايوب بن نوح بن دراج « كتاب وروايات ومسائل عن ابى الحسن الثالث(ع) »[٦٣] .

ويعد احمد بن اسحاق « من خواص ابى محمد (ع) ولقى صاحب الزمان « من كتبه .. مسائل الرجال لابى الحسن الثالث عليه السلام »[٦٤] . والف الشريف المرتضى « المسائل الموصلية الاولية الثلاث ، وهى المسائل فى الوعيد والقياس والاعتماد ، مسائل اهل الموصل الثانية ، مسائلهم الثالثة .. مسائل الخلاف في الفقه لم يتمه .. مسائل الخلاف فى اصول الفقه لم يتمهما .. مسائل مفردات في اصول الفقه .. المسائل الطرابلسية الاخيرة . المسائل الحلبية الاولة ، مسائلهم الاخيرة ، المسائل الديلمية في الفقه .. المسائل الجرجانية ، المسائل الطوسية لم يتمها ، المسائل الصيداوية ...»[٦٥] . وللشيخ الطوسى مجموعة من كتب المسائل منها « مسئلة فى الاحوال .. مسئلة فى تحريم الفقاع المسائل الحنبلانية اربع وعشرون مسئلة ، المسائل الرجعية ، المسئلة الرازية فى الوعيد مسئلة فى الفرق بين النبى عليه السلام والامام ، مسئلة فى مواقيت

---

(٦٥) ايضا ، ص ٧٠ .
(٥٨) ايضا ، ص ٣٥ .
(٥٩) ايضا ، ص ٥٩ .
(٦٠) ايضا ، ص ٦٤ .
(٦١) معالم العلماء ، ص ١٠٢ .
(٦٢) ايضا ، ص ١٣٣ .
(٦٣) ابن شهراشوب ، معالم العلماء ، ص ١٢٣ .
(٦٤) ايضا ، ص ٢٦ .

الصلاة ، المسائل الحلبية .. مسائل ابن البراج .. المسائل الجبرية نحو من ثلثماية مسئلة .. المسائل القمية »[٦٦] .

ويبدو ان كتب « المسائل » عبارة عن اجوبة لمسائل ارسلها او وجهها مباشرة ، طلبه للائمة او لمشاهير الشيوخ كالمرتضى والطوسي وغيرهما . ويدل اقتران تلك المسائل ببلدان مختلفة نائية ، احيانا ، كما يظهر من النصوص المذكورة ، انها ترسل ، على الاغلب ، للائمة او الشيوخ عند تعذر لقائهم . كما ان كثرة الكتب التي تحمل عنوان « المسائل » يدل على ان الشيخ بعد ان يجيب على تلك المسائل يجمع اجوبته او يجمعها احد طلبته ، خاصة عند صدورها عن الائمة ، في كتاب يطلق عليه اسم المسائل مقرونا احيانا بأسم المكان الذي ارسلت منه او الامام الذي اجاب عنها .

رابعا — الاجازة .

الاجازة في اللغة هي اعطاء الاذن ، ولهذا المعنى أشار الفيروزابادي بقوله « واجاز له سوغ له »[٦٧] ويقول الشهيد الثاني ان الاجازة في الاصل مصدر اجاز واصلها «اجوازة» تحركت الواو فتوهم انفتاح ما قبلها فأنقلبت الفا ، وبقيت الالف الزائدة التي بعدها فحذفت لالتقاء الساكنين ، فصارت اجازة[٦٨] . والاجازة طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله[٦٩] . ويقول الشهيد الثاني ان الاجازة في الاصطلاح « اذن وتسويغ ، وهو المعروف وعلى هذا فتقول اجزت له رواية كذا كما تقول اذنت له وسوغت له »[٧٠] . وللشيخ اغا بزرك الطهراني

---

(٦٦) ايضا ، ص ١١٥ .

(٦٧) القاموس المحيط ، ج٢ ، ص ١٧٠ ، مادة «جاز» .

(٦٨) الدراية ، ص ٩٣ .

(٦٩) ابن الصلاح ، المصدر ذاته ، ص ١٥١ .

(٧٠) الدراية ، ص ٩٤ .

رأى يقول فيه ان الاجازة تعني « الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على انشائه الاذن المشتملة على ذكر الكتب التي صدر الاذن في روايتها عن المجيز اجمالا او تفصيلا ، وعلى ذكر المشايخ كل واحد من هؤلاء المشايخ طبقة بعد طبقة الى ان تنتهي الى المعصومين عليهم السلام» (٧١) .

ويظهر مما سبق ان الاجازة اذن يمنحها الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه ، وتكون بهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ الى من اباح له نقل الحديث عنه . ويمنح الشيخ الاجازة لتلميذه بطريقتين احداهما الاجازة بالمشافهة وثانيهما الاجازة التحريرية (٧٢) . وقد عثرت على اشارات قليلة عن الاجازة التحريرية في الفترة التي تناولها بحثي هنا . يقول الطوسي عند ترجمته لاحمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٣ هـ) « اخبرنا بجميع رواياته وكتبه عن ابي العباس احمد بن محمد بن سعيد» (٧٣) . قال النجاشي ان احمد ابن عبدالله الوراق دفع «الى شيخ الادب ابو احمد عبد السلم بن الحسين البصري رحمه الله كتابا بخطه قد اجاز له فيه جميع روايته» (٧٤) . واقدم ما عثرت عليه من الاجازات المسجلة على كتاب معين ما رواه عبدالكريم بن طاووس (ت:٦٩٣هـ) من أنه كان يحتفظ بنسخة من مزار ابن داود القمي مقابلة بنسخة مكتوب عليها ما صورته « قد اجزت هذا الكتاب وهو اول كتاب الزيارات من تصنيفي وجميع مصنفاتي ورواياتي ما لم يقع فيها سهو ، ولا تدليس لمحمد بن عبدالله بن عبدالرحمان بن سميع اعزه الله فليرو ذلك عني اذا احب لا حرج عليه فيه ان يقول اخبرنا وحدثنا وكتب محمد بن داود القمي في شهر ربيع الاخر سنة ستين

---

(٧١) الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج١ ، ص ١٣١ .
ص ١٨٠ .
(٧٢) البهائي ، محمد حسين ، الوجيزة في الدراية ـ ضمن مجموعة رسالة عين الميزان . تح . محمد حسين كاشف الغطاء (صيدا ، ١٣٣٠)
(٧٣) الفهرست ، ص ٥٣ .
(٧٤) الرجال ، ص ٦٦ .

وثلثمائة حامدا الله شاكرا .. وهذه الرواية مطابقة لما اورده الطوسي بخطه[٧٥] .

ويمكن ان نستنتج من ندرة ورود الاجازات التحريرية في المصادر التي تعود للفترة التي تناولتها هذه الرسالة ، ان الاجازات المذكورة كانت غير شائعة في تلك الفترة .

اما الاجازات الشفهية فهي كثيرة الورود في الفترة موضوعة البحث ، وسنورد أمثلة عليها في الصفحات التالية . ومن أقدم ما ورد من الاجازات الشفهية عند اسلاف الأمامية اجازة منحها الامام جعفر الصادق لاحد تلامذته . روى ان التلميذ المذكور قال لامامه عند فراقه اياه ـ احب ان تزودني . فقال ـ « ايت ابان بن تغلب فأنه سمع مني حديثا كثيرا فما روى لك عني فاروه عني »[٧٦] .

ويستفاد من هذا الخبر ان الامام جعفر الصادق اجاز ابان مشافهة ان يروي الحديث عنه ، كما اجاز لتلميذه ان يعد ما يرويه له أبان كأنه صادر عنه . وكان ابان هذا من أشهر تلاميذ الباقر والصادق . وتعد أجازته من الاجازات الحديثية التي ينتهي اسنادها الى المعصومين (ع) . ومن بين الكتب التي رواها ابان بن عثمان عن المعصومين كتاب المبدء والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة . وقد اورد الشيخ الطوسي طبقات المشايخ الذين رووا الكتاب المذكور عن مؤلفه[٧٧] . روى ابن داود الحلي ان احمد بن علي البلخي (ت :٣٠٥ هـ) « اجاز للتلعكبري »[٧٨] . يقول النجاشي « اخبرنا ابو الحسن العباس بن عمر ابن عباس ... الكلوذاني (ر) قال أخذت اجازة علي بن الحسين بن بابويه لما قدم بغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بجميع كتبه »[٧٩] . وقال الطوسي ان اسماعيل بن رزين بواسط و « اخبرنا عنه برواياته كلها الشريف ابو محمد المحمدي وسمعنا هلال الحفار يروي عنه مسند الرضا وغيره فسمعنا منه واجاز

---

(٧٥) فرحة الغري (النجف ، ١٣٦٨) ص ١٤٠ـ١ .
(٧٦) النجاشي ، الرجال ، ص ١٠ـ١١ .
(٧٧) الفهرست ، ص ٤٢ .
(٧٨) الرجال ، ص ٣٢ .
(٧٩) الرجال ، ص ١٩٩ .

لنا باقي رواياته»[٨٠] • يقول الطوسي عند ترجمته للحسن بن محمد بن يحي صاحب النسب ان التلعكبري سمع منه « سنة سبع وعشرين وثلثمائة الى سنة خمس وخمسين •• وله منه اجازة»[٨١] • ويقول ايضا ان التلعكبري روى عن الحسن ابي محمد المرعشي الطبري « وكان سماعه منه اولا سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وله منه اجازة بجميع كتبه ورواياته•••»[٨٢] • ويقول ايضا ، سمعنا من الحسن بن عبيدالله الغضائري « واجاز لنا بجميع رواياته • مات سنة احدى عشرة واربعمائة »[٨٣] •

ويقول النجاشي كان لحسن بن زياد الطائي كتاب « اخبرنا اجازة الحسين ابن عبيدالله »[٨٤] • قال النجاشي كان للحسن بن السري الكاتب الكرخي « كتاب رواه عنه الحسن بن محبوب أخبرناه اجازة الحسين عن ابن حمزة عن ابن بطة »[٨٥] • ويقول ايضا الف الحسن ابن احمد بن المغيرة « كتاب عمل السلطان اجازنا بروايته ابو عبدالله بن الخميري الشيخ في مشهد مولانا امير المؤمنين (ع) سنة اربع مائة عنه»[٨٦] •

وكان التقليد التعليمي المتضمن اعطاء الاجازة واخذها من التقاليد الشائعة عند المسلمين كافة بما فيها الامامية واسلافهم • وقد اورد علماء الحديث بحوثا مفصلة عن الاجازة وشروط منحها • وكان ابن الصلاح (٦٤٣هـ) من بين علماء السنة الذين بحثوا في الاجازة وشروط صحتها ومنحها وغير ذلك مما له علاقة بموضوع الاجازة • وقد أورد ابن الصلاح تفصيلات عن الاجازة في كتابه الموسوم بـ « علوم الحديث » المعروف بمقدمة ابن الصلاح[٨٧] • كما وردت

---

(٨٠) الفهرست ، ص ٣٦ •
(٨١) الرجال ، ص ٤٦٥ •
(٨٢) الرجل ، ص ٤٦٥ •
(٨٣) ايضا ، ص ٤٧–١ •
(٨٤) ايضا ، ص ٣٧ •
(٨٥) ايضا ، ص ٣٨ •
(٨٦) ايضا ، ص ٥٤ •
(٨٧) طبع الكتاب المذكور بحلب سنة ١٩٣١م •

عن الاجازة تفصيلات في كتاب الشهيد الثاني الموسوم بـ «السدراية» • وقد سبقت الاشارة اليه • ومن الكتاب السنة المحدثين الذين بحثوا عن الاجازة السيد جمال الدين القاسمي • وقد أورد تفصيلات عن الاجازة في كتابه الموسوم بـ « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث[٨٨] • وقد اوردت تفصيلات عن الاجازة في كتابي الموسوم بـ « الاجازات العلمية عند المسلمين »[٨٩] •

ومن اقدم الاجازات الشفهية عند اهل السنة ما رواه بشر بن نهيك حسين قال « كتبت عن ابي هريرة كتابا فلما اردت ان افارقه قلت يا ابا هريرة اني كتبت عنك كتابا ، فارويه عنك • قال نعم • اروه عني »[٩٠] • ومن أقدم الاجازات التحريرية عند أهل السنة ، نقلا عن القاسمي ، ما قوله الامام ابو الحسن محمد ابن ابي الحسين بن الوزان قال ـ الفيت بخط ابي بكر احمد بن ابي خيثمة صاحب التاريخ ما مثاله « قد اجزت لابي زكريا يحي بن مسلمة ان يروى عني ما احب من كتاب التاريخ الذي سمعه مني ابو محمد القاسم بن الاصبغ ، ومحمد ابن عبد الأعلى كما سمعاه مني ، واذنت له في ذلك ، ولمن أحب من اصحابه فان احب ان تكون الاجازة لاحد بعد هذا ، فأنا اجزت له ذلك بكتابي هذا ، وكتب احمد بن ابي خيثمة بيده في شوال من سنة ست وسبعين ومأتين »[٩١] •

ومن الامثلة على الاجازات الشفهية عند اهل السنة ما قاله السبكي «اخبرنا ابو سعيد خليل بن كيكلدى الحافظ سماعا فيما احسب فأن لم يكن فهو

---

(٨٨) طبع الكتاب المذكور بدمشق سنة ١٩٢٥م

(٨٩) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٦٧م •

(٩٠) الخطيب ، تقييد العلم (دمشق ، ١٩٤٩م) ص ١٠١ •

(٩١) القاسمي ، جمال الدين ، قواعد التحديث (دمشق ، ١٩٢٥ م) ص ١٩٠ـ١ •

اجزة ....»[٩٢] . ويقول السبكي ايضا « قال ابن الصابوني سماعا وقال الدنيري اجازة »[٩٣] .

أنواع الاجازات . يرى الشهيد الثاني أن الاجـازات تقسم الى أربعة أقسام . وتكون الاجازة متعلقة بأمر معين لشخص معين أو عكسه ، أو بأمر معين لغيره أو عكسه »[٩٤] . ويفصل الشهيد الثاني ما قاله حين يذكر الاقسام المذكورة للاجـازة وهي :

أ ـ الاجازة لمعين بمعين . كأجزتك الكتاب الفلاني أو ما اشـتمل عليه فهرستي هذا . ومن الامثلة على الاجازة لمعين بمعين ما رواه الطوسي من ان احمد ابن عبدالله الكوفي صاحب ابراهيم بن اسحاق الاحمري«يروى عنه كتب ابراهيم كلها روى عنه التلعكبري اجازة »[٩٥] . وان احمد بن اسماعيل الفقيه « صاحب كتاب الامامة من تصنيف علي بن محمـد الجعفري ، روى عنـه التلعكبري اجـازة »[٩٦] .

ب ـ الاجازة لمعين بغير معـين كقولك اجزتك مسموعاتي أو مروياتي وما اشبه . ومن الامثلة على النوع المذكور من الاجازة ما قاله الطوسي عن ترجمته لاحمد بن محمد بن سعيد « واجاز لنا ابن الصلت عنه بجميع رواياتـه »[٩٧] . روى النجاشي ان العباس بن عمر الكلوذاني قال « أخذت اجازة على بن الحسن ابن بابويه القمي لما قدم بغداد سنة ٣٢٨ هـ بجميع كتبه »[٩٨] . قال الطوسي ان التلعكبري روى عن احمد بن احمد بن محمد الضبي و « سمع منه سنة اثنين

---

(٩٢) طبقات الشافعية ، ٢ج ، ص١٩٤ .
(٩٣) ايضا ، ج١ ، ص١٢٨ .
(٩٤) الدراية ، ص ٩٥ .
(٩٥) الرجال ، ص ٤٤٦ .
(٩٦) ايضا ، ص ٤٤٦ .
(٩٧) ايضا ، ص ٤٤٢ .
(٩٨) ايضا ، ص ١٩٩ .

وعشرين وثلثمائة وله منه اجازة بجميع ما رواه محمد بن زكريا الغلابي »[٩٩] .
ويقول ايضا ان التلعكبرى روى عن احمد بن ابراهيم الصميرى وقال ـ « كنا نجتمع ونتذاكر فروى عني ورويت عنه واجاز لى جميع رواياته ... »[١٠٠] .
وللتلعكبرى من الحسن بن محمد المرعشي « اجازة بجميع كتبه ورواياته »[١٠١] .

ج ـ الاجازة لغير معين كجميع المسلمين او كل من ادرك زماني او ما اشبه ذلك ، سواء كان بمعين كالكتاب الفلاني او بغير معين ، كما يجوز لى روايته ونحوه . ويرى الشهيد الثاني ان الفقهاء يختلفون فى تجويز النوع المذكور من الاجازة . ومما يقربه الى الجواز تقييده بوصف خاص كأهل بلد معين[١٠٢] .
ولم اعثر على امثلة في المصادر التي كتبت خلال الفترة التى هى موضوع البحث على النوع المذكور من الاجازة . وربما يعود ذلك الى ان الكتاب المعنيين تجنبوا ذكرها لاختلاف المحدثين فى تجويزها أو لانها لم تكن معروفة فى ذلك العصر . وبالرغم من ذلك فأنها كانت معروفة عند الامامية لان الشهيد الثاني يذكر امثلة عليها تعود الى بداية القرن الثامن للهجرة[١٠٣] .

د ـ المناولة :

وقد تكلمنا عنها سابقا[١٠٤] .

وبعد ما اوردته عن الاجازات وانواعها استنتج ما يأتي :

اولا ـ يظهر ان الاجازة الشفهية كانت اكثر شيوعا في الفترة موضوع البحث . وقد احصيت على سبيل المثال ، طائفة من اجازات الشيخ ابى محمد هارون بن موسى التلعكبرى (ت ٣٨٥هـ) الشفهية الواردة في رجال الطوسي[١٠٥]

---

(٩٩) ايضا ، ص ٤٤٢ .
(١٠٠) ايضا ، ص ٤٤٥ .
(١٠١) ايضا ، ص ٤٦٥ .
(١٠٢) الدراية ، ص ٩٦ .
(١٠٣) الدراية ، ص ٩٦ .
(١٠٤) ص ٢٠٥ .
(١٠٥) الصفحات ـ ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ، ٤٨٢ .

فقط فوجدت ان عددها يبلغ (٢٢) اجازة ، بينما لم اعثر للشيخ المذكور في كتاب الرجال او غيره ما يدل على انه منح اجازة تحريرية واحدة ٠

ثانيا ـ ان الاجازة اذن ورخصة شخصية ولا علاقة لها بمعهد تعليمي ٠ ويمنحها الشيخ عادة بعد ان يقتنع بصلاح المستجيز لرواية الحديث عنه ٠فالطالب للحديث يستجيز العالم علمه اي يطلب اعطاءه له على وجه يحصل به الاصلاح لنفسه ٠ وقد وردت اشارات يبدو منها انه ليس من الضروري ان يلتقي المستجيز بالشيخ لحصول الاول على الاجازة من الثاني ٠ قال الطوسي روى التلعكبري عن محمد بن الحسن القمي « وذكر انه لم يلقه لكن وردت عليه اجازته على يد صاحبه جعفر بن الحسن المؤمن بجميع رواياته »[١٠٦] ٠ وعندما يترجم الطوسي لمحمد بن الاشعث يقول :ـ « قال التلعكبري اخذ لي ولوالدي منه اجازة في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة »[١٠٧] ٠ ولما كانت وفاة التلعكبري سنة ٣٨٥هـ ، كما اسلفنا ، يكون سنه (١٢) عاما عندما منحت له الاجازة ويعني ذلك انه لم يكن في سن تصلح فيها دراسته على ابن الاشعث ثم حصول الاجازة منه ٠

ثالثا ـ ان تعدد الاجازات لطالب واحد من شيوخ مختلفين يقوم دليلا على ان الدراسة عند الامامية ، في الفترة التي تناولها بحثنا ، ما كانت مقيدة بمناهج معينة تشتمل على مواضيع مختلفة كالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك ، بل يدرس الطلبة كتبا مختلفة المواضيع على اكثر من شيخ واحد عادة ٠

ولترتون رأي عن نوع من انواع الاجازات وهو ما اطلقنا عليه قبل قليل الاجازة لمعين بمعين ، اي اجازة شيخ الى من يطلب الاجازة منه ان يروي كتابا او كتبا معينة عن ذلك الشيخ ٠

ولقد نسب الى مالك ، نقلا عن ترتون ، انه اشترط ثلاثة شروط لصحة الاجازة المذكورة وهي :

---

(١٠٦) الرجال ، ص ٤٩٥ ٠
(١٠٧) ايضا ، ص ٥٠١ـ٢ ٠

اولا – ان تقابل النسخة او الفرع مع الاصل ويثبت التوافق بينهما •

ثانيا – يجب ان يكون مانح الاجازة عارفا بموضوعه ، وعرف عنه انه من من العلماء الذين يعتمد عليهم •

ثالثا – يجب ان يكون طالب الاجازة من طلاب العلم المجدين ، وان تثبت جدارته للتعليم ، وذلك ان الاجازة يجب ان لا تعطى الا لاولئك الذين يبحثون عن المعرفة[108] •

ونختتم الكلام عن طرق التدريس بما اورده ابن شهراشوب (ت ٥٨٨هـ) في مقدمة كتابه الموسوم بـ « مناقب آل ابى طالب »[109] عن دراسته للحديث بالطرق المعروفة لنقله وتحمله • يقول ابن شهراشوب انه لم يبدأ بتأليف كتابه المذكور الا بعد ان اصبح مؤهلا لهذا الأمر : « وذلك بعدما اذن لي جماعة من اهل العلم والديانة بالسماع ، والقراءة ، والمناولة ، والمكاتبة ، والأجازة ، فصحت لى الرواية عنهم بأن اقول : حدثني ، واخبرني ، وانبأني ، وسمعت ، واعترف لى بأنه سمعه ، ورواه كما قرأته ، وناولني من طرق الخاصة » •

ومن الجدير بالذكر أن ابن شهراشوب يقصد بـ « الخاصة » الشيعة الأمامية واسلافهم • وهو اصطلاح يستعمله السلف مقابل « العامة » وهم اهل السنة والحديث •

مناهج التعليم •

اولا – منهج الكتاب •

يبدو ان الكتاتيب ، فى الفترة التي تناولها بحثنا ، ما كانت تتقيد بمنهج معين تقترحه جهة مسؤولة كما هي الحال فى أنظمة التعليم الحديثة •

وكان المعلمون كما يظهر يتمتعون بحرية كبيرة فى اختيار مواد الدراسة الأولية • وبالرغم من ذلك يظهر ان مواد معينة ، كالخط وتعلم القرآن الكريم ، كانت من بين مواد منهج التعليم الاولى الرئيسة • وقد وردت أشارات الى وجود

---

(١٠٨) Tritton, Op. Cit, P. 41.

(١٠٩) طبع الكتاب المذكور فى النجف الاشرف سنة ١٩٥٦ •

مادتي الحساب والشعر بين مواد منهج الكتاب . قال محمد بن احمد قلت للصادق (ع) « ان لنا جارا يكتب وسالني ان اسالك عن عمله . فقل مره اذا دفع اليه الغلام ان يقول لاهله اني انما اعلمه الكتاب والحساب واتجر عليه بتعليم القرآن كي يطيب له كسبه »(١١٠) .

وقد ورد ذكر الشعر والرسائل بمثابة مواد تعلم بالكتاب في حديث بين الصادق (ع) وحسان المعلم(١١١) . واوصى ابن طاووس ابنه محمد قائلا اوصيك بتعلم الخط على التمام فانه معونة لك على السلوك الى الله جل جلاله ... ثم بتعلم العربية بمقدار ما يحتاج اليه مثلك من الطالبين للمراضي الالهية واحياء السنن النبوية ، ثم تتعلم من القرآن الشريف ما تحتاج اليه لاقامة الصلاة وما يتعلق بمراد الله جل جلاله من تفسير تلك الايات بعاجل الحال ، وتحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والاجلال »(١١٢) .

وعند المقارنة بين المواد التي اقترح تعليمها للصبيان كتاب اماميون وبين المواد التالية التي يقترحها كاتب من السنة نرى تشابها كبيرا بين الاثنين . يقول الشيزري ان اول ما ينبغي للمؤدب ان يعلم الصبي السور الصغار من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ... ثم معرفة عقائد اهل السنة والجماعة ثم اصول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات والاشعار دون سخيفها ومسترذلها ...(١١٣) .

ويظهر مما سبق ان مواد الخط والقرآن والحساب والرسائل والشعر هي مواد مشتركة في مناهج الكتاتيب عند الشيعة والسنة معا . ولعل هذا التشابه يؤيد ما ذهبت اليه في الفصل الثاني من هذه الرسالة من ان الاختلاف في التعليم الاولي عند الطائفتين ضئيل .

---

(١١٠) الطوسي ، الاستبصار ، ج ٢ ، ص ٣٨ .
(١١١) ص ١١٧
(١١٢) كشف المحجة لثمرة المهجة ، ص ١٢٦ .
(١١٣) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٠٣ .

ثانيا – منهج تعليم العلوم

يبدو ان منهج تعليم العلوم عند الامامية ، في الفترة التى تناولها البحث ، لم يكن مقسما الى مواضيع معينة كالفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية ، بل كان الطلبة يدرسون العلوم المذكورة على ائمتهم او على شيوخ الامامية ، من كتب توارثها الائمة صاغرا عن كابر ، او الفها اولئك الشيوخ في العلوم الشرعية التي تلقوها مباشرة او بالواسطة من ائمتهم • ومن الجدير بالذكر ان طائفة من الكتب التي الفها الشيوخ واعتمدوها بمثابة اصول يدرسون منها ، كانت تبحث في مواضيع شتى لا تمت للعلوم الشرعية بصلة •

اما الاصول التي تبحث في العلوم الشرعية فكان عددها حتى نهاية عصر الائمة اربعمائة ، على رواية ابن شهراشوب التى يقول فيها ، ان المفيد قال « صنف الامامية من عهد امير المؤمنين علي عليه السلام الى عهد ابي محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه اربع مائة كتاب تسمى الاصول وهذا معنى قولهم – أصل »(١١٤) •

سبق ان اشرت في الفصل الاول من هذه الرسالة الى ان الائمة المعصومين ورثوا من علي (ع) صحفا فيها أحاديث دونها عن النبي (ص) • وكانت تلك الصحف من بين الاصول التى اعتمدها الائمة لتدريس شيعتهم منها • قال محمد ابن مسلم – «اقرأني ابو جعفر (ع) صحيفة كتاب الفرائض التى هي املاء رسول

---

(١١٤) معالم العلماء ، ص ٣ • الاصل هو الكتاب الذى جمع فيه مصنفه الاحاديث التي رواها عن المعصوم ، او عن الذى روى عنه (ع) • وبلغت عدة الاصول اربعمائة ، كلها الفت في عهد الأئمة المعصومين الذى ينتهى في حدود ٢٦٠ هـ • وقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي انه استفاد من احاديث الشيعة وكتبهم واصولهم عند تاليفه لكتابه الموسوم بـ « تهذيب الاحكام » (الاستبصار ، ١ : ٢) • يضاف الى ذلك ان الشيخ الطوسي ذكر عددا من اسماء الكتاب الامامية الذين الفوا تلك الاصول • قال الطوسي (الفهرست ، ص ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٢٢) « ان سعيد بن يسار له اصل » • و « صالح بن رزين له اصل » • و « علي بن اسباط الكوفى ، له اصل » • « وعلي بن حمزة البطائني • • له اصل » •

الله (ص) وخط على (ع) بيده فوجدت فيها ... وقرأت فيها ... »[115] . قال زرارة « وجدت في صحيفة الفرائض .. »[116] . وقال زرارة أيضا « سألت أبا جعفر (ع) عن الجد فقال ـ ما اجد احدا قال فيه الا برأيه الا امير المؤمنين (ع) قلت ـ اصلحك الله فما قال فيه أمير المؤمنين (ع) ؟ قال ـ اذا كان الغد فالقني حتى اقرئكه في كتاب .. فلما دخلت عليه اقبل على ابنه جعفر (ع) فقال له ـ اقرىء زرارة صحيفة الفرائض ... فقام [جعفر الصادق] فاخرج الي صحيفة مثل فخذ البعير »[117] . قال محمد بن مسلم « نظرت الى صحيفة ينظر فيها ابو جعفر (ع) فقرأت فيها مكتوبا ... فقلت لابي جعفر (ع) ان من عندنا لا يقضون بهذا القضاء ... فقال ابو جعفر اما انه املاء رسول الله (ص) وخط على (ع) من فيه بيده »[118] . وكانت احدى الصحف التي توارثها الائمة عن على تسمى كتاب على . قال ابو بصير « سألت ابا عبدالله (ع) عن شيء من الفرائض فقال لى ـ الا اخرج لك كتاب على (ع) فقلت ـ كتاب على (ع) لم يدرس . فقال يا ابا محمد ان كتاب على (ع) لم يدرس ؟ فاخرجه فاذا كتاب جليل واذا فيه ... »[119] . وكانت الصحيفة الاخرى تسمى بالجامعة قال ابو بصير « كنت عند ابي عبدالله (ع) فدعا بالجامعة فنظرنا فيها فأذا فيها ... »[120] . وكانت كتب على جامعة للعلوم الالهية كما يعتقد الامامية ، كما انه رواها عن النبي (ص) مباشرة . وكان على نفسه محيطا بتلك العلوم . وقد سمع مرة يقول ـ « وايم الله لو ثنى لى الوسادة لحكمت بين اهل التوراة بتوراتهم ، وبين اهل الانجيل بانجيلهم ، وبين اهل الزبور بزبورهم ، وبين اهل القرآن بقرآنهم حتى يزهر كل كتاب ويقول حكم فيه على

---

(115) الكليني ، الكافي ، ج7 ، ص 93 .
(116) ايضا ، ج 7 ، ص 93 .
(117) ايضا ، ج 7 ، ص 94 .
(118) ايضا ، ج 7 ، ص 113 .
(119) ايضا ، ج 7 ، ص 119 .
(120) ايضا ، ج7 ، ص 125 .

ابن ابي طالب بحكم الله »[١٢١] . وقد بينا في الفصل الاول من هذه الرسالة ان علم علي (ع) ، كما يعتقد الامامية ، كان ينتقل الى الائمة المعصومين بالتـوالي حتى وصل الامام الغائب صاحب الزمان بعد غيبته سنة ٢٦٠هـ .

واخذ شيوخ الشيعة في عهد مبكر يؤلفون الكتب التي اصبحت موضع درس لطلبة الشيعة في مختلف العلوم الشرعية .

وقدوردت اشارات يستدل منها على وجود تلك الكتب وعلى ضرورة العناية بها . روى عبيد بن زرارة أن الصادق (ع) قال : « احتفظوا بكتبكم فانكم سـوف تحتاجون اليها » . وقال (ع) للمفضل بن عمر : « اكتب وبث علمك في اخوانك ، فأن مت فأورث كتبك بنيك ، فأنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيـــه الا بكتبهم » . وقال محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة : « قلت لأبي جعفر الثاني (ع) جعلت فداك ان مشايخنا رووا عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) ، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب الينا . فقال (ع) حدثوا بها فأنها حق »[١٢٢] .

يقول ابن شهراشوب ان اول من صنف في الأســلام « امير المؤمنين عليــه السلام جمع كتاب الله جل جلاله ، ثم سلمان الفارسي رضى الله عنه ، ثم ابو ذر الغفاري رحمه الله ، ثم الاصبغ بـــن نباته ثـــم عبيدالله بـــن أبي رافع ثـــم الصحيفة الكاملة عن زين العابدين عليه السلام »[١٢٣] . قال مخول بن ابراهيم النهدي ، على رواية النجاشي ، « سمعت موسى بن عبدالله يقول سأل ابي رجل عن التشهد فقال هات كتاب ابن ابي رافع فأخرجه واملاه علينا »[١٢٤] . وكان لسليمان ابن صالح الجصاص الذي روى عن ابي عبدالله (ع) « كتاب يرويه عنه الحسين بن هاشم »[١٢٥] . وكان لسعيد بن احمد بن موسى « كتاب براهين الائمة (ع) رواه

---

(١٢١) ابن طاووس ، كشف المحجة ، ص ٥٨ .
(١٢٢) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص ٥٢ و ٥٣
(١٢٣) معالم العلماء ، ص ٢ .
(١٢٤) الرجال ، ص ٦ .
(١٢٥) ايضا ، ص ١٣٩ .

عنه هارون بن موسى ومحمد بن عبدالله قالا حدثنا سعيد ... »[126] . وكان لسعيد بن عبدالرحمن الذي روى عن ابي عبدالله (ع) « كتاب يرويه عنه جماعة اخبرناه عدة من أصحابنا »[127] . وكان لسعد بن ابي خلف الذي روى عن ابي عبدالله وابي الحسن (ع) « كتاب يرويه عنه جماعة منهم ابن ابي عمير ..[128] وكان لسعيد بن يسار الضبعي « كتاب يرويه عدة من أصحابنا ... »[129] . يقول النجشي « اخبرنا ابو عبدالله بن شاذان قال – حدثنا ابو الحسن علي بن حاتم بكتبه »[130] . وكان صباح بن صبيح الفزاري «امام مسجد دار اللؤلؤ بالكوفة ثقة عين روى عن ابي عبدالله (ع) له كتاب يرويه عنه جماعة ... »[131] . ولعبدالله بن زرارة الشيباني « كتاب يرويه عنه علي بن النعمان ... »[132] . يقول الطوسي كان لابي منصور الصرام كتاب سماه بيان الدين . وقد « قرأت على ابي حازم النيشابوري اكثر كتاب بيان الدين ، وكان قراءة عليه ..»[133] . وكان سندي بن محمد « ثقة وجها في اصحابنا الكوفيين له كتاب نوادر رواه عنه محمد بن علي بن محبوب »[134] . وكان سلام بن ابي عميرة الخراساني « ثقة روى عن ابي جعفر وابي عبدالله (ع) ... له كتاب يرويه عنه عبدالله ابن جبلة »[135] .

وفي بداية القرن الرابع للهجرة ظهر أول كتاب من كتب الشيعة الاربعة وهو كتاب « الكافي » للكليني ثم تلته كتب الشيخ الصدوق القمي ومن اهمها « كتاب من لا يحضره الفقيه » ثم كتب الشيخ الطوسي ومن اشهرها « التهذيب » و

---

(١٢٦) النجاشي ، الرجال ، ص ١٣٦ .
(١٢٧) ايضا ، ص ١٣٧ .
(١٢٨) ايضا ، ص ١٣٥ .
(١٢٩) ايضا ، ص ١٣٧ .
(١٣٠) ايضا ، ص ٢٠٠ .
(١٣١) النجاشي ، الرجال ، ص ١٥٢ .
(١٣٢) ايضا ، ص ١٦٥ .
(١٣٣) الفهرست ، ص ٢٢١ .
(١٣٤) النجاشي ، الرجال ، ص ١٤٢ .
(١٣٥) ايضا ، ص ١٤٣ .

« الاستبصار » • وقد اخذت الكتب الاربعة المذكورة تدريجا تحل محل الاصول الاربعمائة التي اشرت اليها قبل قليل • واخذ رجال الفكر الامامية يوصون الشيعة بدراسة الكتب الاربعة المذكورة والاعتماد عليها • وعندما ينصح ابن طاووس ابنه في تعلم الفقه يقول « وان تتعلم الفقه الذي فيه السبيل الى معرفة الاحكام الشرعية واحياء سنة جدك المحمدية ••• واذا اردت الاشتغال بالفقه فعليك بكتب جدك (ابي جعفر الطوسي) فأنه رحمه الله ما قصر فيما هداه الله جل جلاله وقد هيأ الله جل جلاله اليه ودله عليه[١٣٦] •

ويرسم ابن طاووس منهجا عاما لابنه محمد ويذكر له الكتب التي يجب ان يقرأها وهي « كتاب الحجة وما في معناه من كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني • وكتاب المعرفة لابراهيم بن اسحاق الثقفي ، وكتاب الدلايل لمحمد بن رستم بن جرير الطبرى الامامى ، وكتاب الدلايل لعبدالله بن جعفر الحميرى ، وكتاب الاحتجاج لابي منصور احمد بن على بن ابى طالب الطبرسي ، وكتاب المعجزات لهبة الله الراوندى ، وكتب الشيخ المسعود المفيد محمد بن محمد بن النعمان ، وكتب الشيوخ الثقات المتضمنة ما ذكروه من الآيات والمعجزات »[١٣٧]

ويمكننا ان نستنتج مما سبق ان الطلبة الامامية ، في الفترة التي تناولها البحث ، كانوا يدرسون كتبا في مواضيع شتى حسب رغبتهم ، وموضوع اختصاصهم ، اما تقسيم المنهج الدراسي الى مواضيع كالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك فيظهر انه لم يكن معروفا في تلك الفترة وربما حصل التقسيم المذكور بعد ظهور المدارس المعروفة •

وقد عثرت على تقسيم المنهج الدراسي الى مواضيع في كتابات كاتب امامي متأخر وهو الشهيد الثاني[١٣٨] • ولانستطيع الجزم بأن ما ذكره في هذاالخصوص كان مطبقا في الفترة التي تناولها البحث •

---

(١٣٦) ابن طاووس ، كشف المحجة ، ص ١٢٧ •
(١٣٧) ايضا ، ص ٣٥ •
(١٣٨) منية المريد ، ص ٧٩ •

ويورد ترتون اخبارا عن مناهج التعليم ، كما يبدى آراء فى الموضوع المذكور نورد فيما يلى طرفا منها ـ يقول ترتون ليس لدينا معلومات عما يعلم فى الكتاتيب ، ولكن هذا لا يمنع من أن نورد معلومات اقتبسناها من مناهج مقترحة وضعت على السنة عدد كبير من وجوه المجتمع الاسلامى • قيل علم اولادك السباحة وركوب الخيل ، وخاصة النسط على ظهورها ، والرمى • دع اولادك يتعلمون الامثال السائرة والشعر الجيد • افضل شيء يتعلمه البنات هو الغزل • لاتعلم بناتك القراءة ولاتسمح لهن بتعلم الشعر ، بل علمهن القرآن وخاصة سورة النور • وبالرغم من ذلك فقد كان المرء ينال الثناء اذا علم جاريته واعتقها وزوجها • وقيل ان من واجب الآباء تجاه أبنائهم ان يعلموهم الكتابة والحساب والسباحة • وقيل ايضا علم ولدك الحساب قبل الكتابة لان الحساب اكثر سهولة واكبر نفعا • وقال احدهم لمعلم ولده علمه السباحة قبل الكتابة لانه يجد من يكتب له ولكنه لا يجد من يسبح عنه • وقد وجدت اخبار متناقضة فيما يتعلق بتعليم النحو • فقال احدهم علمهم النحو كما تعلمهم قواعد الدين • وقيل ان ما من احد يتعمق بتعلم النحو دون ان يصبح معلما • وقالوا لا تعلم الأولاد النحو اكثر من القدر الذى يعصم السنتهم من الاخطاء الفاحشة ، واذا تجاوزت الحد المذكور ينقلب حينئذ النفع الى ضرر(١٣٩) •

اما فيما يتعلق بمناهج العلوم برى ترتون ان التعليم فى العصور الوسطى عند المسلمين كان يجرى لا على اساس المواضيع بل على اساس الكتب(١٤٠) •

الامتحانات :

قد يكون من الضرورى ان اشير الى انى لم اعثر فى الفترة التي تناولهما بحثنا على انظمة شكلية للامتحانات سواء فى مرحلة التعليم الاولى او فى مرحلة تعليم العلوم •

اولا ـ صبيان الكتاتيب :

عثرت على اشارة واحدة ذات صلة بالامتحان فى الكتاب • واليك الاشارة

(١٣٩) • Tritton, Op. Cit, P. 2-3.

(١٤٠) • Ibid, P. 200.

المذكورة . حكي عن الربيع بن خثيم « انه مر على الصبيان في المكتب يبكون فقال ما بالكم ما معشر الصبيان . قال ان هذا يوم الخميس يوم عرض الكتاب [الخط] على المعلم فنخشى ان يضربنا»[١٤١] .

ونظرا لصمت المصادر يمكننا ان نقرر هنا ان الامتحانات الشكلية المعروفة في العصور الحديثة كانت غير معروفة عند المعلمين في ذلك العصر . ويبدو ان المعلمين كانوا احرارا في تقرير الطريقة او بالاحرى اظهار القناعة الشخصية التي يقيمون بها معرفة الصبيان الذين يعلمونهم .

ثانيا ـ طلبة العلوم

يبدو ان الامتحانات الشكلية لم تكن ، في الفترة التي تناولها البحث ، معروفة لدى الشيوخ الامامية . وكان الشيخ حرا في اختيار الطريقة وتحديد الزمن الذي يعلن فيه تقدم الطالب العلمي وربما اهليته للتدريس . ولم تسعفني المصادر بمعلومات عن الامتحانات وعن كيفية اجرائها ، ولهذا سأكتفي بأيراد الاشارات القليلة التي عثرت عليها في هذا الصدد . روى ابن شهراشوب ان هشام بن الحكم كان ممن « لقي الصادق والكاظم عليهما السلام وكان ممن فتق الكلام في الامامة وهذب المذهب بالنظر ورفعه الصادق عليه السلام في الشيوخ وهو غلام . وقال ـ «هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده» وقوله عليه السلام « هشام بن الحكم رائد حقنا وسائق قولنا المؤيد لصدقنا والدامغ لباطل اعدائنا من تبعه وتبع اثره تبعنا ومن خالفه والحد فيه فقد عادانا والحد فينا»[١٤٢] . وقال النجاشي كان « احمد بن محمد بن عمران .. استاذنا رحمه الله الحقنا بالشيوخ في زمانه ..»[١٤٣] . ويبدو من المثالين السابقين ان الالحاق بالشيوخ يعني الاستقلال العلمي وربما الاهلية للتدريس . ولابد ان الشيخ عرف بوسيلة من الوسائل ، قد تكون الامتحان ، ان تلميذه حاز على قدر من المعرفة تؤهله الالحاق بالشيوخ .

---

(١٤١) البهائي ، المخلاة ، ص ١٥٤ .
(١٤٢) معالم العلماء ، ص ١٢٨ .
(١٤٣) الرجال ، ص ٦٧ .

ونصح الشهيد الثاني الشيخ بأن يحرض طلبته « على الاشتغال في كل وقت ويطالبهم في اوقات باعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات والمباحث فمن وجده حافظا مراعيا أكرمه واثنى عليه ، واشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بأعجاب ونحوه ، ومن وجده مقصرا عنفه في الخلوة وان رأى مصلحة في الملأ فعل فانه طبيب يضع الداء حيث يحتاج اليه وينفع»(١٤٤) .

ومن الجدير بالذكر ان عهد الشهيد الثاني ، كما اسلفنا ، متأخر عن الفترة التي تناولها بحثنا لذا لا نستطيع الجزم بأن نصائحه طبقت في الفترة موضوع البحث .

ويبدو من الاشارات التي اوردتها عما له صلة بالامتحانات ، سواء ما كان منها عن التعليم الاولي او عن مرحلة تعليم العلوم ، لا تمثل الامتحانات التي يرفع بها الطالب عادة من صف الى صف او يمنح بعدها شهادة مدرسية تبين مؤهلاته العلمية كما هي الحال عندنا اليوم .

ويرى خدا بخش انه لا يوجد في النظام التربوي الاسلامي شيء نسميه امتحانا في الفترة التي سبقت ظهور المدارس(١٤٥) .

---

(١٤٤) الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص ٧٠ .

(١٤٥) Khuda Bukhsh, Op. Cit, I, P. 442.

الفصل السادس

تمويل التعليم

ان وجود موارد مالية ثابتة ينفق منها على التعليم ومؤسساته امــر تقتضيه الضرورة ، رغم عزوف الاغلبية العظمى من معلمي العلوم من استيفاء اجرة عــلى تعليم علوم آل البيت كما بينا في الفصل الثالث من هذه الرسالة • ومن الجــدير بالذكر انني لم استطع العثور ، حتى نهاية القرن الثالث للهجرة ، على ما يشير الى وجود اوقاف عند الشيعة الامامية واسلافهم خاصة بالتعليم[1] • ويمــكن ان نعزو ذلك الى الاسباب الاتية :

---

(١) يعود وجود الاوقاف بشكلها العام عند الامامية الى عصر الراشدين • فعلي بن أبي طالب (ع) كان قد أوقف عين ابي نيزر والبغيبغة وكتب كتابا في ذلك هذا نصه ـ « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما تصدق به عبدالله علي امير المؤمنين ، تصدق بالضيعتين على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهمـا الله وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما » • (المبرد ، الكامل ، ج٢ ، ص ١٢٢) • وقال ابن طاووس (كشف المحجة ص ١٢٤) ان عليا « وقف أمواله وكانت غلتـه اربعين الف دينار » • ـ روى الطوسي ان ابراهيم بن هاشم كان عند ابي جعفر (ع) « اذ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم • فقال يا سيدى أجعلني من عشرة الاف درهم في حل فاني انفقتهـا فقال له انت في حل فلما خرج صالح قال ابو جعفر (ع) يثب على أموال آل محمد وايتامهم ومساكينهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم•••» (الاستبصار ، ج٢ ، ص ٣٤) • وروى الكليني (الكافي ، ج٧ ، ص ٣٦) ان علي بـن مهزيار قال « كتبت الى ابي جعفر (ع) ان فلانا ابتاع ضيعة فوقفها وجعل لك في الوقف الخمس ••• » • وذكر الحسن القمـــي (تاريخ قم ، ص ٢١١) • ان احمد بن اسحاق الاشعرى كان وكيلا للوقف بقم • روى المسعودى (مروج ، ج٤ ، ص ٨٢) ان المنتصر بن المتوكل أطلـق أوقاف آل ابي طالب • روى الطوسى (الغيبة ، النجف ، ١٣٥٨ ، ص ٢٢٥) أن أبا جعفر محمد بن علي الاسود قال : « كنت احمل الاموال التي تحصل في باب الوقف الى أبي جعفر محمد بن عثمان العمرى ••• » • وكـان العمرى وكيلا لاحد الائمة (ع) •

اولا ـ عدم وجود معاهد خاصة بالتعليم دون غيره عند الامامية خلال القرون الاسلامية الثلاثة الاولى ليحبس الواقف عليها اوقافه •

ثانيا ـ كان تعليم علوم ال البيت وتعلمها من اعمال التقوى لذا كان الائمة في حياتهم او وكلاؤهم من بعدهم يرون ان الصرف عليها من مواردهم ، المكونة من الحقوق الشرعية ومن وارد الوقف بمعناه العام ، امر يمليه الواجب الديني من جهة ويساعد على نشر قواعد المذهب الجعفري الذي عمل الائمة ووكلاؤهم لدعمه والحفاظ عليه من جهة ثانية • ويبدو ان الشيعة الامامية استمروا على تسليم الحقوق الشرعية الى علمائهم بعد نهاية عصر الأئمة • فأبو جعفر محمد بن عثمان العمري (ت: ٣٠٤/٥هـ) « كان يتولى هذا الامر نحوا من خمسين سنة يحمل الناس اليه اموالهم •••»[٢] •

ويترتب على ما سبق ان الوقف على التعليم خاصة يصبح امرا ذا اهمية ثانوية •

ثالثا ـ يبدو ان نفقات التعليم ما عدا الأولى منه في القرون الأسلامية الثلاثة الاولى كانت زهيدة لان معلمي العلوم ، كما اسلفنا ، كانوا لا يتقاضون اجرا على تعليمهم وان التعليم في الغالب يجري في امكنة غير مستأجرة كالمساجد ومنازل العلماء ، لذا كما يبدو ، لم تكن هناك ضرورات ملحة لتخصيص اوقاف للتعليم • اما نفقات التعليم الأولي فكان يدفعها آباء الصبيان دون غيرهم •

رابعا ـ ان اعتراف الأمامي بعصمة الائمة (ع) وتنزيههم عن الخطأ والانحراف يجعله قليل التساؤل عن اوجه صرف امواله التي يقدمها للاعمال الخيرية ويترك امر ذلك الى الامام ثم من بعده الى وكيله الذي ينتظر منه ان يتحلى بصفات النزاهة والأمانة التي تفرضها عليه خطورة منصبه • روى الطوسي رواية تفيد ان احد الأئمة فوض وكيلا له على قبض الحقوق الشرعية من الشيعة اسلاف الأمامية • ويظهر ان الأمامية بعدهم اتخذوا من الرواية المذكورة وامثالها

(٢) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٢٣ •

دليلا على ان تلك الحقوق تسلم بعد الأئمة لوكلائهم • واليك الرواية المذكورة •

قال ابو محمد (ع) لعثمان العمرى « امضي ياعثمان فانك الوكيل والثقة المامون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمانيين ما حملوه من المال ....»[3] •

ويبدو ان الاسباب السابقة مجتمعة هي التي جعلت الامامية في القرون الثلاثة الاولى لا يصرحون عند وقفهم لاموالهم بان الوقف المذكور خاص بالتعليم • ولو وجدت اوقاف كهذه لذكرتها المصادر مقرونة بالجهة التي اوقفت عليها •

وبعد ان ظهرت مؤسسات خاصة بالتعليم امثال دور الكتب ودور العلم ، وانتهى عصر الأئمة المعصومين (ع) في حدود ٢٦٠ هـ ، وكثرت نفقات التعليم لتعقد الحياة وتنوع مواد التعليم مع مرور الزمن ، ظهرت ، كما يبدو ، الحاجة لتخصيص اوقاف للتعليم • وقد حصل ذلك في العصر البويهي كما سنرى في الصفحات التالية •

اما نفقات التعليم في القرون الثلاثة الاولى ، فيبدو ان الائمة او نوابهم من بعدهم كانوا يسهمون فيها وذلك بدفع جزء منها من الحقوق الشرعية وايراد الاوقاف الخيرية التي كانوا يتسلمونها من الشيعة كما بينا في الفصل الثاني من هذه الرسالة[4] •

اما الشطر الثاني من النفقات المذكورة فكأن يأتي من هبات المحسنين •

وقد عثرت على ادلة قليلة ظهر منها ان الائمة (ع) كانوا يسهمون بنفقات تعليم علوم آل البيت وتعلمها • ومن الأدلة المذكورة ما يأتي :

آ ــ رواية الكشي عن المحدث جابر المكفوف الذي قال لعباس بن عامر دخلت على ابي عبدالله (ع) « فقال اما يصلونك ؟ قلت • بلى وربما فعلوا • قال• فوصلني بثلاثين دينارا • وقال يا جابر كم من عبد ان غاب لم يفقدوه ، وان شهد لم يعرفوه في اطمار لو اقسم على الله لأبر قسمه »[5] •

---

(٣) ايضا ، ص ٢١٦

(٤) ص ٤٨ وما بعدها •

(٥) الرجال ، ص ٢٨٤ •

ب ـ رواية الكشي عن محمد بن زيد الشحام التي قال فيها ـ « رآني ابو عبدالله (ع) وانا اصلي فارسل الي ودعاني فقال لي ـ من انت ؟ قلت من مواليك. قال فأي موالي ؟ قلت من الكوفة . فقال من تعرف من الكوفة ؟ قال ـ قلت بشير النبال وشجرة . قال ـ وكيف صنعهما اليك ؟ فقال ـ ما احسن صنعهما الي . قال ـ خير المسلمين من وصل واعان ونفع ، ما بت ليلة قط والله وفي مالي حق يسألنيه . ثم قال اي شيء معكم من النفقة ؟ قلت ـ عندي مائتا درهم . قال ارنيها . فاتيته بها فزادني فيها ثلاثين درهما وديناريين ثم قال ـ تعش عندي ، فجئت فتعشيت عنده . قال ـ فلما كان من القابلة لم اذهب اليه ، فارسل الي فدعاني من غده فقال ـ ما لك لم تأتني البارحة قد شفقت علي ؟ فقلت لم يجيئني رسولك فقال ـ فانا رسول نفسي اليك ما دمت مقيما في هذه البلدة ، اي شيء تشتهي من الطعام ؟ قلت اللبن فاشترى من اجلي شاة لبونا . قال ـ فقلت له علمني دعاء قال اكتب ـ « بسم الله الرحمن الرحيم ..»[6] .

وقد وهب الصادق (ع) لاحد اصحابه المعروف بقيس بن رمانة اربعمائة دينار[7] .

يضاف الى ما سبق ان الامام ابا جعفر الثاني (ع) عند مناقشته لوكيله على الوقف في قم ، حدد المنتفعين من الوقف بايتام آل محمد ومساكينهم وفقرائهم ، وابناء سبيلهم[8] . وبناء على ذلك يمكن ان يعد الطلبة او المعلمون المعوزون من فقراء آل محمد او من ابناء سبيلهم خاصة اذا كانوا ممن يفدون من الاقطار النائية لتعلم علوم آل محمد على يد الامام او شيوخ الشيعة . وان كلمة الصرف على «الدين» الواردة في النص تشمل فيما تشمل الصرف على المعوزين من الشيوخ والطلبة الذين يشتغلون بتدريس العلوم الدينية وتدريسها .

ونستنتج مما سبق ان الائمة كانوا يساعدون ، احيانا ، المعوزين من

---

(٦) ايضا ، ص ٣١٥ .
(٧) الكشي ، الرجال ، ص ١٦٢ .
(٨) ص ٥٠ .

طلبة العلم من اسلاف الامامية بمبالغ نقدية او بتهيئة وسائل العيش كما يظهر من الامثلة المشار اليها في اعلاه • وكان الائمة يقدمون النفقات المذكورة من الحقوق الشرعية التي يتسلمونها من شيعتهم لانها كانت موردهم الرئيسي • ومما يؤيد ذلك أن احد الائمة (ع) جعل الصرف على امور الدين من بين اوجه نفقات الحقوق الشرعية • وقال عبدالله السكوني للباقر « اني ربما قسمت الشيء بين اصحابي اصلهم به فكيف اعطيهم ؟ فقال اعطهم على الهجرة في الدين والفقه والعقل »[9] •

وكانت هبات المحسنين من الشيعة ، فضلا عما سبق ، تقوم بقسط من نفقات التعليم وانشاء امكنته وصيانتها • وقد حث النبي (ص) المؤمنين على وجوب اعانة الطلبة • روى الديلمي ان النبي (ص) قال - « من اعان طالب العلم بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة وفتح الله له بابا من نور في قبره »[10] •

وكان محمد بن مسعود العياشي من بين الذين انفقوا مبالغ كبيرة على التعليم • وقد انفق تركة ابيه البالغة (٣٠٠) الف دينار للغرض المذكور كما بينا في موضعه من هذا الكتاب •

ومن الجدير بالذكر ان قيام دولة بني بويه الشيعية في ايران والعراق في بداية القرن الرابع للهجرة ، هيأ للشيعة حرية مكنتهم من نشر تعاليم مذهبهم بصورة فعالة وعلنية • وكان من بين التدابير التي اتخذوها لتحقيق ذلك انشاء مؤسسات ثقافية وحبس الاوقاف عليها • وقد سبق ان اوردنا تفصيلات عن دور الكتب التي انشاها ابن سوار في البصرة وفي رام هرمز في الفصل الثاني من هذه الرسالة • ويبدو ان دارين للكتب كانتا موجودتين في البصرة في عهد عضد الدولة البويهي • وعندما هجم الاعراب على البصرة في سنة ٤٨٣ هـ احرقوا مواضع عدة وفي جملة « ما احرقوا دارين للكتب

---

(٩) القمي ، من لا يحضره الفقيه ، ج ٢ ، ص ١٨ •
(١٠) ارشاد القلوب ، ج ١ ، ص ١٧٢ •

احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليه وهي اول دار وقفت في الاسلام والاخرى وقفها الوزير ابو منصور شاه مردان ، وكان بها نفائس الكتب واعيانها ....»[11] . وقد فصلنا ذلك عند كلامنا عن دور الكتب .

واسس وزير عضد الدولة سابور بن اردشير دار العلم المعروفة « ووقف عليها الوقوف »[12] .

وقد سبق ان بينا ان دور الكتب اسهمت بالتعليم فأصبح من بين وظائفها .

وحبس البويهيون الوقوف ، فضلا عن دور العلم ودور الكتب ، على المارستانات ، وعندما اسس المارستان المؤيدي سنة ٤١٣ هـ بواسط اوقفت عليه الوقوف[13] . ومن الجدير بالذكر ان طلبة الطب يتعلمون الطب في البيمارستان . فذات مرة قال الطبيب ابو الحسن محمد بن غسان «كنت اختلف الى البيمارستان لتعلم الطب »[14] .

ولم يقتصر حبس الوقوف على مؤسسات التعليم على الامراء البويهيين ووزرائهم بل كان المحسنون من الشيعة ينفقون اموالهم للأغراض الثقافية .وكان الشريف المرتضى من بين هؤلاء[15] .

ولم تكن جهود البويهيين في تمويل التعليم عند الامامية مقصورة على حبس الوقوف لمؤسسات التعليم حسب ، بل انهم ساعدوا المشتغلين بالعلم والتعليم من الأمامية . ففي عهد عضد الدولة اطلقت « الصلات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوي الفاقة وادرت لهم الأقوات .. وكذلك فعل بالمشهدين بالغري[16] والحائر[17] وبمقابر قريش[18] .. »[19] .وسبق ان ذكرنا في

---

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٨ .

(١٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(١٣) ايضا ، ج ٨ ، ص ٨ .

(١٤) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ١٣٨ .

(١٥) ص ١٦٥ .

(١٦) النجف الاشرف .

(١٧) كربلاء (١٨) الكاظمية (١٩) مسكويه ، ج ٦ ، ص ٤٠٧ .

الفصل الثاني زيارة عضد الدولة للعتبات المقدسة في النجف وكربلاء ، وتفريقه الاموال على الناحة وكانت حصتهم الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء وكانت حصتهم ثلاثة الاف درهم ، وعلى العلويين وعددهم (٢٢٠٠) اسم[٢٠] .

ويبدو ان اهتمام بعض الامراء البويهيين بالمؤسسات الدينية والثقافية لم يكن مقتصرا على مؤسسات الشيعة وحسب بل تعداها الى تلك التي تخص غيرهم ، ففي سنة ٣٦٩ هـ « امر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد واسواقها .. وابتداء بالمساجد الجامعة .. ثم امر بعمارة ما خرب من مساجد الارياض المختلفة واعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات اشرف عليها نقيب العلويين»[٢١] .

وقد اسهمت طائفة من امراء الشيعة ومحسنيهم من غير البويهيين في تمويل التعليم عند الامامية . قال ابن الاثير كان من محاسن الوزير ابي الحسن ابن الفرات « انه جرى ذكر اصحاب الادب وطلبة الحديث وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال أنا أحق من اعانهم ، واطلق لاصحاب الحديث عشرين الف درهم ، وللشعراء عشرين الف درهم ، ولاصحاب الادب عشرين الف درهم ، وللفقهاء عشرين الف درهم ، وللصوفية عشرين الف درهم فذلك مائة الف درهم »[٢٢] . أما الصاحب بن عباد فأنه أعار الطلبة والعلماء شيئا من اهتمامه . روى القمي ، عند كلامه عن الصاحب بن عباد ، ان من فضائل « مولانا أدام الله قدرته أنه جمع كتبا كثيرة ودواوين تشتمل على أنواع العلوم وأصناف الاشعار وفنون الاخبار واوقفها على أهل العلم والطلبة ليطالعوها ويتعلموها ويستنسخوها ، وكان الوزراء قبله يحفظون تلك الكتب في خزائنهم كما يحفظون الذهب والفضة ويحرمون الطلبة وأهل العلم من قراءتها »[٢٣] .

---

(٢٠) ابن طاووس ، فرحة الغرى ، ص ١١٣ .
(٢١) مسكويه ، ج ٦ ، ص ٤٠٤ـ٥ .
(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٥٢ .
(٢٣) القمي ، الحسن بن محمد تاريخ قم « بالفارسية » ص ٦ .

أما جهود الشريفين المرتضى والرضي في تمويل التعليم فقد سبق ان أشرنا اليهما[٢٤] •

وبعد ما أسلفنا عن تمويل التعليم والوقف عليه عند الامامية نقول ـ

اولاً ـ يبدو ان الاوقاف عند الامامية كانت مرتبطة ، وجودا وعدما ، باحوالهم السياسية العامة الى حد كبير • ففي القرون الثلاثة الاولى للهجرة حين كان الامامية معرضين لرقابة السلطان وعلماء اهل السنة ، فلما نعثر على اوقاف ذي اهمية عندهم •

وقد يقوم الخبر التالي دليلا على تلك الرقابة • قال الطوسي في معرض كلامه عن ابي عمرو عثمان بن سعيد العمري « وكان الشيعة اذا حملوا الى ابي محمد (ع) ما يجب عليهم حمله من الاموال انفذوا الى ابي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله الى ابي محمد (ع) تقيه وخوفا »[٢٥] •

اما في العصر البويهي فقد وجدت الاوقاف على المؤسسات التعليمية الامامية وغيرهما •

ثانيا ـ تستثنى من الحكم السابق منطقة قم حيث تركز فيها الأمامية منذ عهد مبكر من جهة ، ولبعدها عن رقابة الخلافة من جهة اخرى • وقد وجدت اشارات يظهر منها ان اوقافا للأمامية كانت في قم خلال عصر الائمة المعصومين (ع) ومن الأدلة على ذلك : اولا ـ ظهر من المحادثة التي اجراها الامام ابو جعفر الثاني (ع) مع وكيله على الوقف بقم[٢٦] ، ان اوقافا للامامية كانت في قم في عهد الامام المذكور وان الوكيل المذكور احتجز عشرة الاف درهم من واردها ، دون موافقة الامام ابي جعفر الثاني •

ثانيا ـ لقد عقد الحسن بن محمد القمي (ت ٣٧٨هـ) في كتابه الموسوم بـ « تاريخ قم » المطبوع بطهران سنة ١٣٥٣ بابا خاصا ، وهو الباب الخامس عشر ، للتحدث عن الضياع والاسهم الموقوفة من ضياع في قم ، وذكر مقادير

---

(٢٤) ص ٩٣ •

(٢٥) الغيبة ، ص ٢١٤

(٢٦) ص ٣٨

الخراج التي تغله تلك الضياع ، وبين الاقسام العامرة والاقسام البائرة منها • كما تحدث القمي في الباب المذكور عن المتولين لوقف الامامية في قم والبالغ عددهم اربعين متوليا • ومن المؤسف ان المعلومات التي اوردها القمي عن الاوقاف في قم فقدت فيما فقد من اقسام الكتاب الاخرى ، اذ لم يبق بين ايدينا الا الفهرست وخمسة ابواب من مجموع عشرين بابا • واعتقد ان ما ذكره في الفهرست عن الاوقاف في قم لايخلوا من فائدة اذ يمكن ان يعدّ دليلا على وجود الاوقاف المذكورة • كما ان وجود اربعين من متولى تلك الاوقاف يدل على سعتها •

ويبدو ان اوقاف الأمامية في قم بقيت بعد عصر المؤلف القمي اذ يتحدث عنها باسهاب عبدالجليل القزويني الرازي الذي الف كتابه[٢٧] في حدود ٥٦٠هـ قال الرازي « كان لمشهد السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر (ع) اوقاف • ويوجد في قم ، فضلا عن ذلك ، مدارس ذات اوقاف • ويدير تلك المدارس فقهاء وعلماء يتناولون معاليمهم من وارد الأوقاف المذكورة • وكانت واردات تلك الاوقاف كافية لسد نفقات اولئك العلماء»[٢٨] •

اما اوقاف الأمامية في العراق وفي غيره من المناطق ، عدا قم ، فيبدو انهـا تعرضت بعد الحكم البويهي الى الأتلاف والتخريب • وقد سبق ان بينا ان دار علم سابور ذات الاوقاف الكثيرة احرقت على يد العامة ببغداد بعد استيلاء السلاجقة على العراق • كما ان داري الكتب اللتين اوقفهما عضد الدولة احرقهما الأعراب فيما احرقوا من محلات البصرة • ويظهر ان الحملة الرادعة التي تعرض لها الامامية في عهد السلاجقة تناولت معظم مؤسساتهم الدينية والتعليمية بما فيها اوقاف التعليم • ولم نعد نقرأ بالمصادر عن القرية التي اوقفها المرتضى لكاغد الفقهاء • ولعل استمرار وجود اوقاف الأمامية في قم ، رغم شدة حملة السلاجقة ومن والاهم من علماء اهل السنة ، يعود الى بعد تلك المنطقة عن عاصمة الخلافةالعباسية

(٢٧) النقض ـ من الكتب المؤلفة بحدود ٥٦٠ هـ ـ بالفارسية (طهران ، ١٣٧١ هـ) •

(٢٨) الرازي ، المصدر السابق ، ص ٥٠

حيث تنظم الرقابة وتشتد ، وربما يعود ذلك الى تكتل الامامية بقم في وجه خصومهم .

ومما يدل على ان الوقف على التعليم عند الامامية كان تقليدا معمولا به خاصة في الأوقات التي يزول فيها خطر ضياع الوقف بسبب تعدى العامة بالتعاون مع الخلافة ، هو ان فقيها اماميا متأخراً ، وهو الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) ينصح الشيخ في ان يدعو « للعلماء الماضين ... وان كان في مدرسة ونحوها دعا لواقف المكان ، وهذا وان لم يرد به نص على الخصوص فيه خير عظيم وبركة ، والمحل موضع اجابة ، وفيه اقتداء بالسلف من العلماء فقد كانوا يستحبون ذلك[٢٩] .

ثالثا ـ كانت خدمات الخزانة العامة لمؤسسات التعليم عند الشيعة ضئيلة أو معدومة لذا وفرت واردات الوقف والحقوق الشرعية على التعليم عند الشيعة ما تقاعست عنه الخزانة العامة ، وأصبح التعليم عندهم ذا صفة شعبية في الغالب يقوم تمويله على تبرعات الأفراد وعلى ما يوقفونه من أموالهم .

رابعا ـ ان اوقاف الامامية كانت قليلة ومحدودة المقادير ، وربما كان ذلك عائدا لاسباب سياسية لان الشيعة عاشوا ، في الغالب ، في ظل دول سنية وقلما تهيأت لهم السبل لوقف اموالهم على مؤسساتهم الدينية بما فيها مؤسسات التعليم ، لأن الحكام في الغالب وفقهاء السنة احياناً نظروا لمؤسسات الشيعة التعليمية انها كانت تعلم « البدع » .

الخلاصة

تناولت هذه الرسالة تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عصري الصادق والطوسي • وتتالف من مقدمة وستة فصول وملحقين • تضمنت المقدمة ، فضلا عن تعريف الامامية واسلافهم ، معلومات عن اهم عقـــائد تلك الفرقة امثال الامامة والعصمة والتقية وغيرها مما يمت بصلة اليها او يميزهـــا عن غيرها من الفرق الاسلامية •

خصص الفصل الاول من الرسالة للبحث عن العوامل المؤثرة في توجيـــه التعليم عند الامامية ، واهمها :

١ ـ اعتقاد الامامية بأن ائمتهم محيطون بالعلوم الالهية ، وان النبي كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، فنتج عن ذلك ان ما اخذ عنهم كان بمثابة ما اخـــذ عن النبي •

٢ ـ الضغط السياسي الذي تعرض له الأئمة ومواليهم • ونتيجـة للضغط المذكور نصح الائمة مواليهم بالامتناع عن المقاومة بالسيف ، والاكتفاء بالمقاومـــة المدنية واللجوء الى التقية •

٣ ـ وجود موارد مالية لدى الائمـــــة او نوابهم خصص بعضها للمشتغلين بعلوم آل البيت •

وتناول الفصل الثاني امكنة التعليم عند الامامية • وكانت المساجد ، بما فيها تلك التي احتوت على ترب الائمة ، ومنازل العلماء ، اهم تلك الامكنة • يضاف اليها الامكنة ذات الصلة بالتعليم امثال دور الكتب ودور العلم • ولعبت منـــازل العلماء دورا مهما في التعليم عند الامامية نظرا لعدم توفر الحرية الفـــكرية لهم في المساجد العامـــة •

وخصص الفصل الثالث للبحث عن كل ما يتعلق بالمعلمين • واوكـــــل التعليم الاولى للمعلم ، يساعده في ذلك ، احيانا ، المؤدب الذي هو معلم خـاص ينتدب لتعليم اولاد الخاصة وان لم يكن التعليم مهنته الاصلية •

اما معلمو العلوم فهم الامام المعصوم والشيخ والمدرس • وعالجت دور كل من هؤلاء المعلمين فى التعليم فتبين ان اسهام الأئمة فى التعليم ، لا يمكن أن يقارن باسهام الشيوخ فيه ، وذلك للصعوبات الجغرافية والسياسية التى حدت من نشاط الأئمة فى عملية التعليم • أما المدرس فلم تظهر اهميته الا بعد ظهور المدارس •

وكانت قضية اخذ الاجرة على التعليم او عدمه من القضايا التى جابهتها ، وذلك لتضارب آراء الفقهاء حول الموضوع • وتوصلت الى ان معلمى الكتاتيب كانوا يتقاضون الاجرة على التعليم عدا القرآن الذى ابيح لهم قبول الهدية على تعليمه ، فحلت الهدية محل الأجرة المحظورة نظريا • اما معلمو العلوم وخاصة الشرعية منها فكانوا ، الاماندر ، لا يأخذون اجرة على التعليم • وبينت الوسائل التى مكنتهم من العيش رغم عزوفهم عن تسلم الاجور •

وكانت نظرة المجتمع الى مهنة التعليم من القضايا التى تضاربت حولها آراء الكتاب • وظهر ان نظرة العامة لمعلمى الصبيان لا تنطوى على الاحترام ، بينما نظر الخاصة والعامة نظرة احترام لمعلمى العلوم •

اما الفصل الرابع فخصص للبحث فى حياة الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم • وكانت قضية السن التى يبدأ بها الطالب دراسته الاولية او دراسته للعلوم ، والمدة التى تستلزمها هاتان المرحلتان من القضايا الغامضة فى حياة الطلبة • ونظرا لعدم وجود احصاءات عمدت الى التقدير على ضوء المعلومات المتيسرة لذا جاءت النتائج التى توصلت اليها فى هذا الخصوص تقريبية •

ونظرا لعدم وجود معاهد تعليمية خاصة بالتعليم ، كانت علاقة الطالب بالشيخ شخصية اى أنه لا ينخرط بمعهد تعليمي •

وامتازت غالبية الطلبة بالجد والاجتهاد فى الدرس لانهم كانوا ، فى الغالب ، ينظرون الى تعلم العلوم ، خاصة الشرعية منها ، انه فرض كفاية • وما عدا ذلك فان معلوماتنا عن حياتهم الخاصة ناقصة لان المربين الامامية قلما أعاروا أهتمامهم لتلك الناحية • ونتيجة لنقص المعلومات جاءت النتائج فى هذا الخصوص تقريبية •

وكانت الرحلة في طلب العلم عند المسلمين بما فيهم الامامية من التقاليد التعليمية البارزة •

وكان مركز الطالب الاجتماعي جيدا ، فهو موضع تقدير العلماء وموضع عطف بعض المحسنين الذين ساعدوه على مواصلة دراسته •

أما الفصل الخامس فخصص للبحث في أساليب التعليم والمناهج •

ويمكن القول ان طريقة السماع من الشيخ شفاها كانت أكثر الطرق التعليمية شيوعا • ويعزى ذلك الى ان دراسة الحديث أحتلت الصدارة في النظام التربوي الاسلامي • اذ كان التقليد التعليمي يؤكد على ضرورة سماع الحديث شفاها من شخص سمعه بالطريقة نفسها • وتلي الطريقة الاولى القراءة على الشيخ أو العرض • وقد ثارت اعتراضات حول هذه الطريقة أبنتها في مواضعها من الرسالة • أما الطريقة الثالثة من طرق التدريس فهي الأجازة • وقد ظهر ان الاجازة اذن ورخصة شخصية ولا علاقة لها بمعهد تعليمي • وكانت الطريقة الرابعة هي المناولة • وهي كالاجازة من أقسام طرق تحمل الحديث • ولم نعثر على أمثلة عليها رغم ورودها بين طرق التدريس •

وظهر من دراسة المناهج أن معلمي الكتاتيب لم يكونوا مقيدين بمنهج تقترحه جهة مسؤولة ، ومثلهم في ذلك معلمو العلوم الذين كان منهجهم غير مقسم الى مواضيع بل كان الطلبة يدرسون كتبا تبحث في مواضيع مختلفة •

وقد أتضح ان الغاية الدينية من التعليم كانت أكثر أهمية في منهج العلوم ، ومع هذا فان الغاية الدنيوية منه لم تكن مهملة خاصة اذا كانت لا تتعارض مع الغاية الدينية •

أما فيما يتعلق بالامتحانات فلم أعثر على أنظمة شكلية لها سواء في مرحلة التعليم الاولى أو في مرحلة تعليم العلوم •

ويبحث الفصل السادس في تمويل التعليم • وكان الطالب ينال معونة من هبات المحسنين ومن واردات الوقف والحقوق الشرعية •

وللرسالة ملحقان أحدهما عن المشاهد الشريفة عند الامامية ، بينما تناول الثاني نبذا عن حياة الائمة المعصومين •

وبالرغم من ان النظام التربوى عند الامامية فرع من نظام تربوى أسلامي عام ، فأن له ميزاته التى تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الاخرى • فالامامية رغم اعتقادهم ان القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون ان غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما الحقيقية • ويعتقد الامامية ان حملة الشريعة الاسلامية الذين اناط بهم النبي (ص) توضيحها بأمر ربه هم الائمة المعصومون اولهم علي (ع) وآخرهم المهدى • وترتب على ذلك الاعتقاد ان تفاسير القرآن والسنة الموجودة عند المسلمين من غير الامامية عرضة للخطأ والاضافة والنقص لان نقلتها كانوا غير معصومين •

ونتج عن هذا الاختلاف فى الاعتقاد بين الامامية واسلافهم ، وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن • فالرحلة فى طلب العلم ، خاصة فى عصر الائمة ، اتخذت عند الامامية طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهى عندهم تحقق غرضا دينيا اماميا فى طابعه بالاضافة الى الغرض العلمي • فالطالب الامامي يرحل للقاء الامام ليأخذ الحديث من مصدره الذى لاشك فى قوله ، فى حين أن الطالب غير الامامي يرحل لتلقي الحديث من اناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الامامية •

ان هذه الخلاصة تمثل طرفا من ميزات التربية عند الامامية ومشكلاتها • وبتوضيحي لتلك المشكلات وذكرى لتلك المميزات آمل ان يكون هذا العمل قد أسهم بخدمة فى حقل البحث العلمي •

ولعل هذه الرسالة هي الاولى من نوعها فى حقل التربية عند الامامية ، وذلك لعدم العثور على مصادر ذات شأن نبحث فى التربية عندهم • هذا فضلا عن عدم وجود من تصدى، الا ما ندر ، للبحث عن التربية عند الامامية بين الكتاب المحدثين•

اللاحـــق

الملحق الاول

المشاهد الشيعية الشريفة ودورها في العلم والتعليم عند الامامية

لقد وردت في متن الكتاب اشارات متعددة الى ان الشيعة الامامية كانـــوا يزاولون درس وتدريس علومهم من فقه وحديث وما الى ذلك من علوم في طائفة من المشاهد الشيعية الشريفة التي حوت ترب جماعة من الائمة المعصومين، وكانت المساجد المقامة حول تلك الترب تستعمل فضلا عن الصلاة ، للدرس والتدريس.

لذا رأيت من المناسب ان نزود القارىء بمعلومات مقتضبة عن أصل تلك المشاهد ونشوئها خلال الفترة التي تناولتها بالبحث . أما فيما يتعلق بتطـــور المشاهد المذكورة وازدياد أهميتها من الناحيتين الفكرية والدينية عنـــد الشيعة الامامية ، ومتى اطلق عليها اسم (العتبات المقدسة) فموضعه في غير هذا الكتاب وسيجد القارىء معلومات مفصلة عن ذلك في مظانها (٢) ومن اهـــم المشاهد الشيعيــة :ـ

اولا ـ مشهد علي بن ابى طالب (ع) في النجف في العراق . قتل علي(ع) سنة ٤٠ هـ ، كما هو معلوم بالكوفة . ويبدو ان الظروف الصعبـــة المحيطـــة بالعلويين حينذاك ، من عدائهم للخوارج والامويين وانتقالهم من الـــكوفة الى

---

(١) يطلق اليوم في العراق على المشاهد الشيعية الشريفة أو ترب الأئمة المعصومين اسم (العتبات المقدسة) . اما في ايران فلا تزال تربـــة الامام الرضا (ع) تحمل اسم « مشهد » وتسمى « آستان قدس » باللغة الايرانية .

(٢) الخليلي ، جعفر « الناشر » موسوعة العتبات المقدسة ، دونا لدسن ، عقيدة الشـــيعة ، ترجمة ع . م (القاهرة ، ١٩٤٦) محجـــوبة » جعفـــر ماضـــي النجف وحاضرها ٣ اجزاء (النجف ١٩٥٨٤) . والحسني عبـــدالرزاق ، العراق قديما وحديثا (صيـــدا ١٩٥٨ م)

المدينه املت عليهم ان يخفوا موضع قبر الامام (ع) . ونتيجة لذلك عسر على طائفة من المؤرخين تحديد موضع القبر . فاليعقوبي في معرض كلامه عن مقتل الامام يقول « ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري »(٣) . اما الطبري فيقول « قتل علي (ع) ودفن عند مسجد الجماعه في قصر الامارة»(٤) .

وكان الائمة وخاصة شيعتهم ، كما سنبين بعد قليل على علم في موضع القبر ، واوصلوا لنا ذلك العلم عن طريق روايات كثيرة ، وكلها تحدد موضع قبر الامام علي في النجف حيث هو الان . يضاف الى ذلك ان عددا من المؤرخين غير الشيعة ايدوا الروايات الشيعية بهذا الخصوص . وفي ضوء ما سبق يصح لنا ان نهمل رواية الطبري وامثالها ، اعتمادا على وثاقة الروايات المخالفة(٥) لها من جهة وترجيحا للقول القائل بان ذوي المتوفى اعلم بموضع قبره من غيرهم . وقد ساق ابن قولويه ادلة لتفنيد الروايات القائلة بان الامام عليا دفن بالرحبة أو بمسجد الكوفة(٦) واليك طائفة من الروايات التي تعين موضع القبر في الغري اي النجف . قال ابن قولويه (ت:٣٦٧هـ) في خبر رفعه الى صفوان الجمال انه قال « كنت وعامر بن عبدالله بن جذاعة الازدي عند ابي عبدالله (ع) ـ جعفر الصادق ـ فقال له عامر ان الناس يزعمون ان امير المؤمنين (ع) دفن بالرحبة فقال لا . قال فأين دفن قال انه لما مات حمله الحسن (ع) فاتى به ظهر الكوفة قريبا من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة فدفن بين ذكوات بيض قال فلما كان بعد ذلك ذهبت الى الموضع فتوهمت موضعا منه ثم اتيته فاخبرته فقال اصبت اصبت ثلاث مرات ...»

وروى ابن قولويه ايضا خبرا رفعه الى الحسين الخلال عن جسده ، انه قال « قلت للحسين بن على صلوات الله عليهما اين دفنتم امير المؤمنين (ع) قال خرجنا به ليلا حتى مررنا على مسجد الأشعث حتى خرجنا الى ظهر ناحية الغري » .

---

(٣) التاريخ ، ج٢ (النجف ١٣٥٨ هـ) ص ١٨٩ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ، ع (القاهرة ١٩٣٩) ص ١١٧ .
(٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ (بيروت ١٩٦٥) ص ٣٩٦ .
(٦) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ٣٦

ويروي ابن قولويه خبراً ثالثاً رفعه الى محمد بن عبدالله بن سنان قـال « اتاني عمرو بن يزيد فقال لي اركب فركبت معه فمضينا حتى نزلنا منزل حفص الكناسي فاستخرجه فركب معنا فمضينا حتى اتينا الغرى فانتهينا الى قبر فقال أنزلوا هذا القبر قبر أمير المؤمنين (ع) • فقلنا له من أين عرفت هذا قال اتيته مع ابي عبدالله عليه السلام حيث كان في الحيرة غير مرة وخبرني انه قبره »[7] •

ومضى الشيخ ابن قولويه بايراد مجموعة كبيرة من الروايات المتضمنة تحديد موضع قبر الامام علي (ع) في النجف حيث هو موضعه في الوقت الحاضر[8] •

اما المقدسي فيقول « وبالكوفة ••• ثم اثارات علي وقبره ، وقبر الحسين ومقتله »[9] • وظهر ان المقدسي قصد في روايته السابقة بكلمة (الكوفة) الاقليم الكوفي باكمله لا المدينة وحدها • وتنصرف الرواية الى ان المقدسي حدد موضع القبر في اقليم الكوفة لا في المدينة نفسها ، فيكون موضع القبر والحالة هذه في النجف لان الرواة ، ومن بينهم ابن قولويه ، الذين جعلوا القبر خارج مدينة الكوفة حددوا موضعه ، كما اعلم ، في البقعة المعروفة بالنجف دون غيرها من البقاع التي تشمل عليها ولاية الكوفة • ويؤيد ابو الفرج الاصفهاني وابن الاثير في احدى رواياتهما دفن الامام علي بجنب الغرى اى في النجف حيث موضع القبر الان[10] • وقد عنى السيد عبدالكريم بن طاووس (ت : ٦٩٣هـ) في كتابه الموسوم بـ (فرحة الغرى)[11] بجمع الاخبار المتعلقة في تعيين موضع قبر

(٧) كامل الزيارات (النجف ، ١٣٥٦ هـ) ص ٣٣ـ٤ •
(٨) ايضا ، ص ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ •
(٩) احسن التقاسيم (ليدن ، ١٩٠٦) ص ١٣٠ •
(١٠) مقاتل الطالبيين ج١ (بيروت ، ١٩٦١) ص ٣٨ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص ٣٩٦ •
(١١) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٣٦٨ هـ •

امير المؤمنين علي (ع) ، كما تطرق الى عمارة مشهد الامام وتوسيعه في العصور المتعاقبة التي سبقت عصر المؤلف •

ويقول ابن طاووس انه رتب كتابه على مقدمتين وخمسة عشر بابا • تناول في المقدمة الأولى الدليل على ان الامام مدفون في الغري حسب ما يوجبه النظر • ثم تطرق المؤلف في المقدمة الثانية الى السبب الموجب لاخفاء قبره عليه السلام •

وتنـــاول المؤلف في ابواب كتـابه التسلسل ، الاخبـــار الواردة عن الرسول (ص) بهذا الخصوص ثم تلك التي وردت عن الائمة المعصومين حسب تسلسلهم المعروف ما عدا الامام المهدي (ع) • ثم خصص احد ابواب الـكتاب للأخبار الواردة عن زيد الشهيد ، كمـــا خصص بابا اخر للاخبار المتعلقة بقبر الامام (ع) والتي وردت عن الخليفتين المنصـــور والرشيد ومن زار القبر من الخلفاء من بعدهم •

وخصص المؤلف الباب الرابع عشر الى الاخبار التي وردت حـول تعيين موضع القبر • عن جماعة من بني هاشم وغيرهم من العلماء والفضـلاء • وختم ابن طاووس كتابه المذكور فيما ظهر عند الضريح الشـريف من الـكرامات •

ويبدو من دراسة كتاب ابن طاووس المشار اليه في اعلاه ان مؤلف الكتاب جمع كل ما تيسر له من معلومات حول الموضوع الذي تناوله كتابه • كما يبـدو من الاهتمام الكبير الذي اولاه ابن طاووس لموضـــوع تعيين قبر الامام علي (ع) ان عوامل ذات علاقة بنزاع الشيعة مع خصومهم تـدخلت في القضية المذكـورة ، وجعلت اولئك الخصوم يتخذون منها ذريعة للنـكاية بالشيعة كمـا جعلت ابن طاووس ينبري لاولئك الخصوم ويحاول تبديد شكوكهم التي اثاروها ، ربما عن قصد ، حول قضية ثانوية الاهمية •

واليك نبذا عن اهم تلك المشاهد :

اولا ـ تأسيس مشهد الامام علي في النجف ودوره في دراسة العلوم عنـد الامـــامية :

ان ما يهمنا بحثه هنا هو معرفة تاريخ تشييد مشهد في النجف حيث وجد قبر الامام علي (ع) كما أسلفنا في اعلاه أما المعلومات التي تخص تخطيط بناء المشهد ، وابعاده وما الى ذلك من قضايا تتعلق بهندسة البناء والمواد المستعملة فيه فلا يهمنا ايرادها هنا . وكل ما يهمنا هو وجود المشهد المذكور ، وانه كيف ومتى اصبح نواة لسكنى عدد من الشيعة كان بعضهم في الاصل منصرف لدرس علوم الشيعة وتدريسها . يضاف الى ذلك ان وجود المشهد وتوفر وسائل السكن والراحة في منطقته تجعل العلماء الوافدين لزيارته يطيلون المكث هناك للدرس او التدريس ، كما ان انعزال المشهد المذكور وبعده عن مراقبة السلطان ، وعلماء اهل السنة ، تجعله بمثابة موقع ملائم لنشر العلوم الاسلامية الشيعية التي كانت في الفترة التي تناولها بحثنا لا تلاقي قبولا من السلطان ومن علماء اهل السنة وقد اشرنا الى المضايقات التي تعرض لها العلماء الشيعة وطلبتهم عند تدريسهم ودرسهم العلوم التي تلقاها آل البيت عن النبي (ص) في المساجد العامة ، في مواضع من صلب الكتاب .

وردت روايات عديدة تشير الى ان قبر الامام علي (ع) في النجف كان يزار قبل بناء مشهد عليه . فالامام علي بن الحسين المعروف بزين العابدين (ت : ٩٥هـ) زار مرقد الامام علي في النجف ، «ووقف على القبر فبكى»[١٢] وعندما استقدم الخليفة العباسي ابو العباس جعفرا الصادق (ت : ١٤٨هـ) زار الامام القبر في النجف . قال الصادق (ع) « اني لما كنت بالحيرة عند ابي العباس كنت اتي قبر امير المؤمنين (ع) ليلا وهو بناحية النجف الى جانب الغري النعمان ...»[١٣] واورد ابن طاووس رواية عن ابن طحال تقول «ان الرشيد بنى عليه [قبر علي] بنيانا بآجر ابيض اصغر من هذا الضريح اليوم من كل جانب بذراع ، ولما كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنيا عليه تربة وجصا ، وامر الرشيد ان يبنى عليه قبة فبنيت من طين احمر وطرح على رأسها حبرة وهي في الخزانة اليوم»[١٤]

(١٢) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(١٣) ايضا ، ص ٣٧ .
(١٤) فرحة الغري ، ص ١٢٢ .

ويبدو من الرواية السابقة ان هارون الرشيد كان اول من بنى مشهدا على قبر امير المؤمنين علي (ع) • وكان ذلك في سنة ١٧٠هـ – ٧٨٦م • وبنى محمد بن زيد الداعي مشهد علي في عهد المعتضد(١٥) • وفي عهد عضد الدولة البويهي اقيمت على قبر علي (ع) عمارة جليلة حسنه (١٦) أ •

ويبدو ان جماعة من السكان اخذوا يسكنون بجوار المشهد بعد بنائه كما اسلفنا • ويقوم دليلا على ذلك ان عضد الدولة البويهي لما زار المشهد الغروي الشريف في سنة احدى وسبعين وثلثمائة ، وجد المنطقة التي حول المشهد عامرة بالسكان ، وأن عددا من اولئك السكان كانوا يشتغلون بالقضايا الفكرية حيث كان بينهم عدد كبير من الفقهاء • قال ابن طاووس في معرض كلامه عن زيارة عضد الدولة البويهي الى المشهد الغروي « وتوجه الى المشهد الغروي ••• وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم فأصاب كل واحد منهم واحد وعشرون درهما ، وكان عدد العلويين الفا وسبعمائة اسم وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة الف درهم وعلى المترددين خمسمائة الف درهم وعلى الناحة الف درهم ، وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتبين من الخازن والبواب•••»(١٦)ب وسبق ان بينا عند كلامنا عن الطلبة في متن الكتاب ان اصطلاح « فقراء » قد يعني طلبة العلم ، فيترتب على ذلك ان جماعة من الشيوخ والطلبة كانوا يقطنون مشهد علي في النجف عند ورود عضد الدولة اليها •

كما ان كلمة « المترددين » الواردة في النص السابق تعني الافراد غير المقيمين بصورة دائمية في مدينة النجف ، وقد يكون من بين هؤلاء عدد من العلماء والطلبة الذين وردوا لزيارة مرقد الامام للدرس والتدريس في الوقت نفسه • ومما يرجح وجود عدد من المشتغلين بطلب العلم بين المترددين كما قررنا آنفا هو التقليد المعروف بين المربين المسلمين ، بما فيهم الشيعة الامامية ،

---

(١٥) ابن طاووس ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ •

(١٦)أ ايضا ،ص ١٢٢ ، والبحراني، الكشكول،ج١(النجف ، ١٩٦١)ص٢٧٤ •

(١٦)ب فرحة الغري ، ص ١٣٣ •

بالرحلة في طلب العلم الذي كان من مقتضياته ان يرحل الطلبة الى لقاء الشيوخ لرواية الحديث عنهم • والتقى النجاشي احمد عند الرجال بجماعة من العلماء الشيعة « يوم الغدير سنة اربعمائة بمشهد امير المؤمنين (ع) »[(١٦)ج] •

وبعد نهاية الحكم البويهي في العراق في منتصف القرن الخامس الهجري تغيرت الاوضاع في العراق بعامة وفي عاصمة الخلافة بغداد بخاصة • ونتج عن ذلك ان تعرضت المؤسسات الفكرية الشيعية الى الخراب فنهبت دار الكتب التي اوقفها الوزير البويهي سابور ، ولم نعد نسمع بعد ذلك التاريخ عن دار علم الشريف الرضي وعن مصير طلبتها • كما ان طائفة من مفكري الشيعة الامامية ومن بينهم الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت : ٤٦٠هـ) تعرضت لاعتداء العامة ، مما دعا الشيخ الطوسي في سنة ٤٤٩هـ الى ترك بغداد والهجرة الى مشهد علي (ع) في الغري •

وتعد هجرة الشيخ الطوسي الى مشهد الغري والنجف من الاحداث المهمة في تاريخ تلك المدينة ، اذ انه واصل نشاطه العلمي والتعليمي في موطنه الجديد

وتمكن الشيخ المذكور من تأليف مجموعة من الكتب في الفقه والحديث وغيرهما ، احتلت مكانا بارزا في الدراسات الشيعية الامامية • وحسبك ان نعلم ان اثنين من كتبه وهما « التهذيب » و « الاستبصار » اصبحا من كتب الحديث الاربعة المعول عليها عند الشيعة الامامية •

ويظهر نشاط الشيخ الطوسي في التعليم وهو ما كان موضع اهتمامنا في صلب الكتاب من كتابه الموسوم بـ « الامالي »[(١٧)] وهي الدروس التي كان يمليها على طلابه • ويظهر من مقدمات تلك الدروس ان معظمها القيت في مشهد الغري او النجف •

جاء في مقدمة القسم الاول من الامالي ان ذلك القسم أملي بمشهد مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ••• في شهر ربيع الاول من سنة خمس

---

(١٦)ج النجاشي ، الرجال ، ص ٣٤٣ •
(١٧) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٩٦٤ م •

وخمسين واربعمائة .. وفي القسم الثاني انه أملى « بمشهد مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) .. في شهر ربيع الاول من سنة خمس وخمسين واربعمائة ... » وفي الثالث « بمشهد مولانا ... في سنة خمس وخمسين واربعمائة .. » وفي الرابع « بمشهد مولانا ... » وفي الخامس « بمشهد مولانا ... يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين واربعمائة ... »[18] .

ونستنتج مما قدمنا : اولا ـ ان جميع النماذج التي اقتبسناها من أمالي الطوسي القيت بمشهد علي (ع) .. ثانيا ـ لم يلتزم الشيخ أو الراوي بذكر تواريخ القاء الدروس من يوم وشهر وسنة .. ففي المثال (١) ذكر الشهر والسنة دون اليوم ، وفي (٢) اغفل اليوم ايضا ، وفي (٣) اكتفى بذكر السنة ، وفي (٤) اغفل التاريخ كلية ، وفي (٥) التزم بذكر التاريخ كاملا .. ثالثا ـ الفواصل بين الدروس لم تكن متساوية .. رابعا ـ ان عدم الالتزام بأوقات معينة لالقاء الدروس يعد بمثابة فجوة في طريقة التدريس عند الطوسي .

وبالرغم من كل ما سبق فأن انتقال الطوسي الى مشهد علي (ع) وقيامه بالتدريس هناك لهما اثر كبير في تنظيم الدراسة وتقدمها عند الامامية .

ثانيا ـ تأسيس مشهد الامامين الكاظم والجواد ببغداد ودوره في دراسة العلوم عند الامامية :

توفي الامام موسى الكاظم ببغداد في سنة ١٨٣هـ[19] . « ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي »[20] . وتقع مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد فيما يعرف بالكاظمية اليوم . وفي سنة (٢٢٠) هـ توفي الامام الجواد ببغداد ودفن مع جده في مقابر قريش ايضا[21] .

(١٨) الامالي ، ص ص ، ١ ، ٣١ ، ٦١ ، ٩٤ ، ١٢١

(١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦ ، ص ٤٧٢ .

(٢٠) اليعقوبي، التاريخ، ج٣ (النجف ، ١٣٥٨) ص ١٤٥ .

(٢١) المفيد ، الارشاد (طهران ، ١٣٧٧) ص ٣٠٧ ، والاصفهاني ، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين ، ج٢ ، ص ٣٦٦ .

ولا نعلم كيف ومتى شيد أول مشهد على ضريحي الامامين المذكورين ، كما لا نعلم كيف ومتى تحولت مقبر قريش الى منطقة سكنية اطلق عليها قديما اسم المشهد الغربي ، في الغالب ، كما يطلق عليها الكاظمية حديثا .

وتشير روايات ، اوردها الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه (ت:٣٦٧هـ) مرفوعة للامام الرضا (ت:٢٠٣هـ) ، الى ان نوعا من البناء في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة كان موجودا على القبر وان المنطقة المجاورة له اصبحت مأهولة بالسكان . واليك الروايات المشار اليها في اعلاه :

قال ابن قولويه « حدثني محمد بن عبدالله بن جعفر عن ابيه عن هارون ابن مسلم عن علي بن حسان الواسطي عن بعض اصحابنا عن الرضا (ع) في اتين قبر ابي الحسن «الكاظم»(ع) قال صلوا في المساجد حوله » . وروى المؤلف نفسه خبر آخر رفعه الى الرضا ايضا قال فيه ان الواسطي سأل ذات مرة عن فضل زيارة قبر الامام موسى (ع) وقال « فأن خفت ولم يمكن الدخول داخلا قال [الرضا] سلم من وراء الجدار » . وقال ابن قولويه في رواية ثالثة قال فيها السائل للرضا (ع) « جعلت فداك ان زيارة قبر ابي الحسن (ع)بغداد علينا فيها مشقة ، وانما نأته فنسلم عليه من وراء الحيطان ... »(٢٢) .

ونستنتج من الروايات آنفة الذكر ما يأتي : اولا ـ ان وجود مساجد حول المنطقة المدفون فيها الامام يبيح لنا ان نفترض وجود عدد من السكان حينذاك في المنطقة المذكورة لان المساجد لا تبنى عادة اذا لم يؤمها المصلون . ثانيا ـ ان خوف من يدخل لزيارة الامام من الرقابة يحمل على الظن ان من يقومون بتلك الرقابة ليسوا من الطارئين على المنطقة من موظفين وغيرهم حسب ، بل من السكان المتواجدين بتلك المنطقة بصورة دائمية ، لذا فأنها كانت مأهولة بالسكان .

ثالثا ـ ان وجود الجدران حول القبر في الرواية الثانية من روايات ابن

---

(٢٢) كامل الزيارات (النجف ، ١٣٥٦) ص ٢٩٩ـ٣٠٠ .

قولويه آنفة الذكر ، والحيطان في الثالثة ، يدل على وجود بناية حول القبر في حدود التاريخ الذي اقترحناه في اعلاه .

ويبدو أن البناية المقترحة كانت هي مشهد الامامين موسى الكاظم والجواد في أدواره الاولى ، وان السكان الذين افترضنا وجودهم حول المشهد كـــانوا نواة للسكان الذين تكاثروا فيما بعد ، وكونوا منطقة سكنية عرفت بالمشهد .

ولعل وجود قبرين لعالمين من علماء الشيعة وهما جعفر بن محمـــد بن قولويه ، والمفيد (ت:٤١٣هـ) لا يبعدان في الوقت الحاضر عن قبر الامـــامين صاحبي المشهد الا بضعة امتار ، يدل على ان قبة للمشهد كانت قد بنيت قبـــل وفاتهمـــــا .

ومن الادلة على وجود مدينة تعرف بالمشهد حول قبة الامامـين المذكورين خلال القرن الخامس الهجري .

اولا ـ لم يشهد المرتضى جنازة اخيه الرضي (ت:٤٠٦هـ) جزعا عليـــه « فاقام بالمشهد »[٢٣] .

ثانيا ـ ان الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) كان يسكن في تلك المدينـــة . ويصعب تصور سكنى رجل غني ، وكثير الاتباع في الوقت نفسه كالمرتضى في منطقة غير مأهولة بالسكان . وعندما توفي المرتضى دفن في داره . قال النجاشي توفي المرتضى « سنة ست وثلاثين واربعمائة وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها وتوليت غسله ومعي ... »[٢٤] . ولما كان قبر المرتضى ، أو موقع مدفنه الاول ، لان هناك من يقول انه نقل الى كربلاء ، موجودا اليوم في المسجد المنسوب اليه، يكون المسجد المذكور قد اقيم في موقع دار المرتضى .

ثالثا ـ تكلم ابن الأثير في حوادث ٤٤٣ هـ عن حصول فتنة « بين العامـة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام »[٢٥] .

---

(٢٣) ابن الاثير ، ج٩ ، ص ٢٦٢ .
(٢٤) الرجـال ، ص ٢٠٧ .
(٢٥) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٥٧٥ .

رابعا - يظهر من نص اورده ابن الاثير ان مدينة تعرف بالمشهد انشأت على انقاض مقابر قريش ، كانت موجودة في سنة ٤٤٨ هـ • قال ابن الاثير أمر الخليفة في سنة ٤٤٨ هـ « بأن يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرهما الصلاة خير من النوم»[٢٦] • ومما يؤيد ان المقصود بكلمة (المشهد) الواردة في النص تعني ما كان يعرف بمقابر قريش او ما هو معروف بالكاظمية اليوم ، هو ان اصطلاح (الصلاة خير من النوم) مختص بأهل السنة ، وفرض القول به على سكان الكرخ والمشهد لانهم شيعة في الغالب الاعم •

خامسا - وفي سنة ٤٤٩ « احترقت دار الشيخ الطوسي ففارقها الى المشهد الغربي »[٢٧] •

ويبدو ان اطلاق اصطلاح المشهد على ما كان يعرف بمقابر قريش لم يقض على الاسم الاخير لان ياقوت الحموي عرف المنطقة بمقابر قريش ، ووصفها بأنها محلة فيها خلق كثير ولها سور[٢٨] •

اما دور المشهد الغربي ، وهو مما يسمى بالكاظمية اليوم ، في العلم والتعليم عند الامامية فلا يمكن بحثه بصورة مستقلة عن دور بغداد عاصمة الخلافة وذلك لان المشهد المذكور كان محلة من محلاتها • وسنورد امثلة على النشاط العلمي والتعليمي للامامية في بغداد وبضمنها المشهد الغربي وذلك خلال الفترة التي تناولها بحثنا •

اولا - لقد اشرنا في صلب الرسالة الى المؤسسات العلمية والتعليمية عند الامامية ، ومن بينها دار علم سابور الوزير البويهي ، ودار علم الشريف الرضي ومن الجدير بالذكر ان المصادر التي اطلعت عليها حددت موقع دار علم سابور بغداد ، بينما اغفلت تحديد موقع دار علم الشريف الرضي • ونرجح ان موضع تلك الدار كان في المشهد الغربي • ويبنى ذلك الترجيح على وجود

---

(٢٦) الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص ٦٣٢ •
(٢٧) ايضا ، ج٩ ، ص ٦٣٨ •
(٢٨) معجم البلدان ، ج٨ ، ص ١٠٧ •

منطقه سكنية حول تربة الامامين الكاظم والجواد (ع) في عصــر مؤسس تلك الدار • وتكون حينئذ المنطقة الجديدة ، اى المشهد الغربي ، اصلح من غــيرها من مناطق بغداد لتاسيس دار علم الرضي • وذلك ان السكنى في المشهدالمذكور توفر حرية اكثر للطلبة الأمامية لكي يمارسوا حياتهم العامة من جهة ، ويقوموا بنشاطهم الفكرى على الوجه الأفضل من جهة اخرى • وقد ضربنــا في صلب الرسالة ، امثلة عن المضايقات التى تعرض لها اولئك الطلبة احيانا عند ممارستهم لنشاطهم الفكرى في المساجد •

ثانيا ـ ورغبة في تجنب المضايقات المشار اليها في رقم (١) اعلاه وسعيــ وراء توفر جو مناسب للطلبة والشيوخ الاماميـــة لكي يقوموا بنشاطهم الفكرى على الوجه الأمثل ، لجأ الامامية الى مزاولة دراسة علومهم في مساجد خاصة بهم في العاصمة بغداد ، ثم اخذ بعضهم ينتقل للمشهد الغربي بعد ان تحول مـــن مقبرة تسمى « مقابر قريش » الى منطقة سكنية تعرف باسم المشهـــد في اغلب الاحيان • وكان من بين المساجد الأمامية ببغداد مسجد براثا ، ومشهد العتيقة ، ومسجد الشيخ المفيد • وسبق أن أشرنا في صلب الرسالة الى بعض مظاهـــر نشاط الشيعة الفكرى في مسجد براثا ، كما اشرنا الى نشاطات المفيد في العلم والتعليم عند الامامية كذلك وفي الدفاع عن مذهبهم • اما فيما يتعلق بمشهد العتيقة فقال النجاشي ان محمد بن ابراهيم بن جعفر المعروف بابن زينب شيخ من اصحابنــا « رأيت ابا الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب يقرأ عليه كتاب الغيبة ••• بمشهد العتيقة •• »(٢٩) •

ثالثا ـ ظلت بغداد بالرغم من الظروف الصعبة التى احاطت احيانا بأهلهــا من الأمامية ، من مراكز النشاط الفكرى الرئيسة للامامية في الفترة التىتناولها بحثنا • وسنضرب امثلة عن العلماء الامامية الذين استوطنوا بغداد ، وعن اولئك الذين وردوا اليها ودرسوا او درسوا فيها • والامثلة التى سنوردها مقتبسة من

---

(٢٩) الرجـال ، ص ٢٩٨ •

كتاب الرجال للنجاشي (ت : ٤٥٠ هـ) لذلك يعد العلماء المشار اليهم فيها من علماء الفترة التي نحن بصدد البحث فيها • واليك معلومات مقتضبة تنحصر في الغالب بتعيين موطن اولئك العلماء :

١ ـ هشام بن الحكم • وكان هشام قد « انتقل الى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ••• ونزل قصر وضاح »(٣٠) وقد اشرنا بصلب الرسالة الى النشاط الفكري لهشام بن الحكم •

٢ ـ محمد بن يعقوب الكليني مؤلف كتاب (الكافي) المعروف • ومات الكليني ببغداد ودفن بباب الكوفة على رواية النجاشي • وظل كتاب الكافي من الكتب التي يدرسها الامامية بعد وفاة مؤلفه قال النجاشي « كنت اتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي وهو مسجد نفطويه النحوي اقرء القرآن على صاحب المسجد وجماعة من اصحابنا يقرؤن كتاب الكافي ••»(٣١) •

٣ ـ محمد بن احمد بن داود بن علي كان «شيخ هذه الطايفة وعالمها •• مات ابو الحسن بن داود سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ودفن بمقابر قريش »(٣٢) •

٤ ـ محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي • قال النجاشي « •• شيخنا وفقيهنا •• وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن •• اخبرنا بجميع كتبه وقرأت بعضها على والدي •• وقال لي اجازني جميع كتبه لما سمعنا منه ببغداد»(٣٣) •

٥ ـ محمد بن محمد بن احمد الكوفي البجلي « سكن بغداد وعظمت منزلته بها ، وكان ثقة فقيها •• وكانت له رياسة في الكرخ وتقدم الجماعة •••»(٣٤)

٦ ـ محمد بن جعفر بن محمد ابو الفتح الهمداني الوداعي المعروف

---

(٣٠) ايضا ، ص ٣٣٨ •
(٣١) ايضا ، ص ٢٩٢ •
(٣٢) ايضا ، ص ٢٩٩ •
(٣٣) ايضا ، ص ٣٠٦ •
(٣٤) ايضا ، ص ٣٠٧ •

بالمراغي « كان وجيها في النحو واللغة ببغداد حسن الحفظ ، صحيح الروايـة فيما يعلمه وكان يتعاطى الكلام ...» [35] .

٧ ـ محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري « خليفة الشيخ ابى عبدالله بن النعمان المفيد والجالس مجلسه متكلم فقيه .. مات سنه ثلاث وستين واربع مائة ودفن في داره » [36] .

٨ ـ معمر بن خلاد « بغدادي ثقة روى عن الرضا (ع) .. » [37] .

٩ ـ يحيى بن الحجاج الكرخي « بغدادي ثقة له كتاب ...» [38] .

١٠ ـ يعقوب بن يزيد بن حماد الانباري « روى عن ابى جعفر الثاني (ع) وانتقل الى بغداد وكان ثقة صدوقا ...» [39] .

١١ ـ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه « قدم العراق واجتمع مع ابى القاسم الحسين بن روح (ر) وسأله مسائل ...» وقال العباس الكلوداني «اخذت اجـازة علي بن بابويه لما قدم بغـداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة بجميع كتبـه .. » [40] .

١٢ ـ علي بن يقطين بن موسى « البغدادي سكنها وهو كوفي ... قـال اصحابنا روى علي بن يقطين عن ابى عبدالله (ع) وروى عن موسى(ع)» [41] .

١٣ ـ العباس بن موسى الوراق « ثقة نزل بغداد ومات بها .. له كتـاب المتعة .. » [42] .

١٤ ـ عيسـى بن السري الكرخي « بغدادي .. ثقـة روى عـن أبى عبدالله (ع) ...» [43] .

---

(٣٥) ايضـا ، ص ٣٠٧ .
(٣٦) ايضـا ، ص ٣١٧ .
(٣٧) ايضـا ، ص ٣٣٠ .
(٣٨) ايضـا ، ص ٣٤٧ .
(٣٩) ايضـا ، ص ٣٥٠ .
(٤٠) ايضـا ، ص ١٩٩ .
(٤١) ايضـا ، ص ٢٠٩ .
(٤٢) ايضـا ، ص ٢١٥ .
(٤٣) ايضـا ، ص ٢٢٧ .

١٥ ـ الفضل بن سليمان « الكاتب البغدادي •• روى عن ابي عبدالله وابي الحسن (ع)»[٤٤] •

١٦ ـ الفضل بن عبدالرحمن « بغدادي متكلم جيد الكلام ••» له كتاب « في الأمامة ••• »[٤٥] •

١٧ ـ الفضل بن يونس « الكاتب البغدادي ، روى عن ابي الحسن موسى (ع) ثقة له كتاب ••»[٤٦] •

١٨ ـ القاسم بن عمير « بغدادي وبها مات • روى عن ابي عبدالله (ع) له كتاب ••• »[٤٧] •

١٩ ـ محمد بن ابي عمير زياد بن عيسى « بغدادي الاصل والمقام لقي ابا الحسن موسى (ع) وسمع منه احاديث •• وروى عن الرضا (ع) جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين ••»[٤٨] •

٢٠ ـ محمد بن الخليل ابو جعفر السكاك بغدادي « صاحب هشام بن الحكم وتلميذه ، اخذ عنه»[٤٩] •

٢١ ـ ظريف بن ناصح اصله كوفي « نشأ ببغداد وكان ثقة في حديثه صدوقا ، له كتاب •• »[٥٠] •

ويمكن للقارىء ان يقدر دور بغداد وبضمنها مقابر قريش او المشهد في تدريس العلوم الدينية عند الأمامية في الفترة التي تناولناها بالبحث ، اذا علم انه فضلا عن الأمثلة التي اوردناها في اعلاه ، كان الامامان الكاظم والجواد (ع)

---

(٤٤) ايضـــا ، ص ٢٣٥ •
(٤٥) ايضـــا ، ص ٢٣٥ •
(٤٦) النجاشي ، ص ٢٣٧ •
(٤٧) ايضـــا ، ص ٢٤١ •
(٤٨) ايضـــا ، ص ٢٥١ •
(٤٩) ايضـــا ، ص ٢٥٢ •
(٥٠) ايضـــا ، ص ١٥٦ •

قضيا شطرا من حياتهما ببغداد ودرسا علوم آل البيت لشيعتهم فيها • كما كان الكليني ، والمفيد والشريفان الرضي والمرتضى والطوسي شيخ الطائفة والنجاشي من بين من درسوا ودرسوا فيها • واذا أضفنا الى ذلك انجازات البغداديين الأمامية في حقول اللغة والأدب وما الى ذلك من علوم يتضح لنا دورهم في الفكر الاسلامي بعامة •

ثالثا ـ الحاير او مشهد الحسين في كربلاء ودوره في العلم والتعليم عند الامامية :

أ ـ تأسيس الحاير في كربلاء •

استشهد الحسين (ع) كما هو معروف بالعراق في موضع يعرف بكربلاء • وقد وردت طائفة من الاحاديث عن النبي (ص) والائمة (ع) تشير الى موضع كربلاء والى انها ستكون موضعا لاستشهاد الحسين واصحابه[٥١] ويبدو أن موضع القبر كان محددا ومعروفا بعد استشهاد صاحبه بسنوات قليلة • روى الطبري أن سليمان بن صرد زعيم التوابين مر بقبر الحسين (ع) قبل ذهابه لحرب عبيدالله بن زياد[٥٢] ولا نعلم على وجه التحديد متى بنيت تربة الحسين (ع) ، كما لا نعلم متى تحولت المنطقة المحيطة بها الى منطقة سكنية عرفت بكربلاء احيانا او الحاير او الحير في احيان اخرى كما سنوضح ذلك بعد قليل • ويظهر من الرواية التالية التي اوردها ابن قولويه ان قرية تسمى كربلاء قد نشأت في المنطقة الواقعة حول القبر في حدود بداية القرن الثاني للهجرة • قال ابن قولويه في خبر رفعه الى ابي حمزة الثمالي قال فيه « خرجت في آخر زمان بني مروان الى زيارة قبر الحسين (ع) متخفيا من اهل الشام حتى انتهيت الى كربلاء فاختفيت في ناحية القرية حتى اذا ذهب من الليل نصفه اقبلت نحو القبر •• »[٥٣] : وسميت المنطقة نفسها بالحاير في الرواية التالية

---

(٥١) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ •

(٥٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ٤٥٦ •

(٥٣) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ١١٢ •

التي اوردها ابن قولويه ايضا • قال اسحاق بن عمـــار « قلت لابي عبدالله (ع) اني كنت بالحاير ليلة عرفة وكنت اصلي ••• فقال لي ابو عبدالله (ع) انـــه مر بالحسين (ع) خمسون الف ملك وهو يقتل •• »[٥٤] •

ويبدو ان كلمة الحاير أو الحير كانت تطلق على المنطقة التي تعرف بكربلاء كما تطلق على مشهد الامام الحسين أي القبر وما حوله من بناء يضم المرقـــد الشريف • وربما حصل ذلك من ان المشهد الذي سمي بالحير أو الحاير ، وهو أهم جزء في تلك المنطقة السكنية ، أطلق عـــلى منطقـــة كربلاء كلها بما فيها المشهد • واليك الروايات التي تشير الى ما سبق ان قررناه في اعلاه • أورد ابن قولويه رواية رفعها الى الصادق ، قال فيها الامام (ع) « •• وكلما دخلت الحاير (وفي رواية أخرى الحير) فسلم ثم امش حتى تضع يديك وخديك جميعا على القبر ••• » وجاءت الرواية آنفة الذكر بسند آخر عن الصادق ايضـــا « فاذا بلغت الرواح فقل هذا الكلام ••• كما قلت حين دخلت الحاير (الحير)•••»[٥٥] فالحاير يعني ، في الرواية آنفة الذكـــر بسنديها ، المشهد الـــذي يضم القبر الشريف • • وقد تعني كلمة « الحير » المنطقة السكنية القائمـــة في كربلاء بما فيها المشهد روى أن الصادق (ع) قـال « اتمام الصلاة فـــي اربعة مواطن بمكة والمدينة ومسجد الكوفة والحاير »[٥٦] ومن الجدير بالذكر ان المصادر ، كمـا أعلم ، لم تسعفنا بمعلومات كافيـــة حول أول بناية أقيمت بكربلاء حـــول قبر الحسين (ع) وعرفت بالحاير أو الحير • وسأورد فيمـا يلي الاشارات ، رغـــم غموض بعضها ، الواردة بهذا الصدد • روى أن الامام الصادق (ع) قال « تتم الصلاة في أربعة مواطن في المسجد الحرام ••• وحرم الحسين ••• » وسـمى ايوب بن نوح الذي عاش في القرن الثالث للهجرة مكة والمدينة والكوفة وقبر الحسين بـ « المشاهد »[٥٧] وروى ان الصادق (ع) قـال « اذا أردت زيارة قبر

---

(٥٤) ايضـــا ، ص ١١٥ •

(٥٥) ايضـــا ، ص ٢١٩ •

(٥٦) ايضـــا ، ص ٢٤٩ •

(٥٧) ايضـــا ، ص ٢٤٨ •

العباس بن علي (ع) وهو على شط الفرات بحذاء الحاير (الحير) فقف على باب السقيفة ..»[58] وفي سنة ٢٧٣ هـ سقطت سقيفة مشهد الحسين (ع)[59] .
ونستنتج من تسمية قبر الحسين بالحرم تارة ، وتارة بالمشهد ، ومن وجود سقيفة على قبره ومثلها على قبر أخيه العباس المجاور له بأن نوعا من الترب كانت موجودة على تلك القبور في القرن الثالث للهجرة .

وتحولت الترب المذكورة مع الزمن الى مشاهد تضم من الابنية ، والفسح ، والأواوين، وما الى ذلك من مشتملات جرى العرف أن تضمها أمثال تلك المشاهد.

وكان الشيعة ، ومازالوا ، يزورون مشاهد الائمة (ع) بما فيها مشهد الحسين في الحاير الذي نحن بصدد البحث في شؤونه . وتستهدف زيارتهم للمشاهد آنفة الذكر التبرك والدعاء من الله لغفران الذنوب . كما يرى الشيعة أن مكة والمدينة ، ومشاهد أئمتهم ، أمكنة يستحب فيها الدعاء . روى أن الامام علي ابن محمد (ع) قال « ان لله تعالى بقاعا يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحاير منها »[60] ويترتب على ما سبق يفضل الشيعة ان يسكنوا تلك المشاهد ويدرسوا العلوم الاسلامية التي تلقوها عن أئمتهم في تلك المشاهد .

ويبدو أن مشهد الحسين اتسعت رقعته ، وكثر سكانه في القرن الرابع للهجرة . ويظهر ان توسع المشهد ، ووجود اشياء ثمينة فيه اثارا جشع الأعراب المجاورين له فنهبوه . روى أبن الاثير أن ضبة بن محمد الاسدي « نهب مشهد الحسين » في سنة ٣٦٩ هـ[61] .

ب ــ دور مشهد الحسين في العلم والتعليم عند الامامية :ــ

كان مشهد الحسين ، كما أسلفنا ، من الامكنة الشريفة التي يؤمها الشيعة للزيارة والتبرك . وفي سنة ٣٧١ هـ ورد مشهد الحسين (الحاير) عضد الدولة البويهي « وتصدق واعطى الناس على اختلاف طبقاتهم ، وجعل في الصندوق

---

(٥٨) ايضا ، ص ٢٥٦ .
(٥٩) ابن طاووس ، فرحة الغرى ، ص ١٣٧ .
(٦٠) ايضا ، ص ٢٧٤ .
(٦١) الكامل ، ج٨ ، ص ٧١٠ .

دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم أثنان وثلاثون درهما ، وكان عددهم الفين ومائتي اسم ، ووهب العوام والمجاورين عشرة الاف درهم وفرق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة الف رطل ، ومن الثياب خمسمائة قطعة ، واعطى الناظر عليهم الف درهم »[62] وكان ابن الاثير ايضا قد اشار الى زيارة عضد الدولة الى مشهد الحسين[63] ويمكن ان يؤخذ كثرة السكان ، وانقسامهم الى طبقات ، قرينة على ان بعضهم في الاقل كانوا من بين طلبة العلم وشيوخه ، لاسيما أنهم كانوا مجاورين لمحل مخصص للعبادة .

وان تعلم العلوم الدينية وتعليمها كانا من أعمال العبادة كما وضحنا في صلب الرسالة وسنورد الاشارات التي وردت عن طائفة من العلماء الذين زاولوا التعلم أو التعليم أو اشتغلوا بالعلم في الحاير . روى النجاشي ان عثمان بن عيسى الكلابي كان قد « روى عن ابي الحسن (ع) وأقام بالحاير حتى مات ودفن هناك »[64] . وقال ابن طاووس ان أحد الشيعة قال « حدثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي شيخ من أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين عليه السلام »[65] . روى ابن طاووس ايضا قصة عن أحد المشايخ الذي صادف وجوده بمشهد الحسين سقوط سقيفة المشهد المذكور سنة ثلاث وسبعين ومائتين[66] .

وترجم النجاشي لحميد بن زياد الدهقان فقال : انه كوفي وسكن سوراء وانتقل الى « نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحاير على صاحبه السلام كان ثقة ... وجها فيهم سمع الكتب وصنف كتاب الجامع في أنواع الشرايع ، كتاب الخمس ... » . وروى النجاشي خبرا رفعه الى الحسين بن علي بن

---

(٦٢) ابن طاووس ، المصدر السابق ، ص ١٣٢-٣ .
(٦٣) الكامل ، ج٨ ، ص ٧٠٥ .
(٦٤) الرجال ، ص ٢٣١ .
(٦٥) فرحة الغرى ، ص ٨٧ .
(٦٦) ايضا ، ص ١٣٧ .

سفين قال « قرأت على حميد بن زياد كتابه الدعاء ... » ومات حميد سنة عشر وثلثمائة (٦٧) .

ونفيد مما سبق ان الحاير في كربلاء كان من بين المراكز الشيعية التي زاول فيها الشيعة الامامية نشاطهم العلمي والتعليمي . وسبق ان ذكرنا في صلب الرسالة أمثلة عن نشاط الامامية الفكري بمشهد الحسين أو الحاير .

رابعاً : مشهد الامام الرضا في طوس ودوره في العلم والتعليم عند الامامية:

أ ـ تأسيس المشهد :

توفي الامام الرضا ولي عهد الخليفة المأمون سنة ٢٠٣ هـ . ودفن الامام (ع) بجنب هارون الرشيد بطوس من ارض خراسان(٦٨) . وورد ذكر موضع قبر الامام (ع) مقرونا بمدينة طوس تارة ، وبخراسان ، بحكم كونها اسم الولاية التي تضم مدينة طوس ، تارة اخرى ، في حديثين عن الامام الجواد ابن الامام المتوفى وخليفته .. وحين سأل احد الشيعة ابا جعفر الجواد عن فضل زيارة قبر أبيه الرضا (ع) قال « أبو جعفر (ع) من زار قبر أبي بطوس غفر الله له....»(٦٩). وجاء في الحديث الثاني أن محمد بن سليمان قال سألت « ابا جعفر (ع) عن رجل حج حجة الاسلام ... ثم انصرف الى بلاده فلما كان وقت الحج رزقه الله ما يحج به فأيهما افضل لهذا الذي قد حج حجة الاسلام يرجع فيحج ايضا او يحج الى خراسان الى ابيك علي بن موسى الرضا ... قال بل يأتي خراسان فيسلم على أبي الحسن (ع) أفضل .. »(٧٠) .

ومن الجدير بالذكر ان الحديث آنف الذكر وامثاله كان مدعاة لحصول اللبس عند طائفة من خصوم الشيعة ، فقالوا ان الشيعة يرون ان زيارة أئمتهم تجزى عن حجة الاسلام ، والواقع ان حجة الاسلام فريضة يستوى في تقديسها الشيعي والسني من المسلمين ، بينما زيارة الأئمة (ع) ليست فريضة ولكنها

---

(٦٧) الرجال ، ص ١٠٢ .

(٦٨) الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، ج٢ (قم ، ١٣٧٧) ص ٢٦٠ .

(٦٩) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٧٠) ايضا ، ص ٣٠٦ .

مستحبة استحباباً مؤكداً عند الشيعة • ومن الأدلة على ذلك قول الامام ابي الحسن (ع) الثاني : « من لم يقدر ان يزورنا فليزر صالح موالينا يكتب له ثواب زيارتنا ••• »[71] • فالزيارة والحالة هذه أمر مستحب شأنه شأن التصدق على الفقراء مثلا ولا يعد تاركه مقصرا بأداء فريضة كالصلاة ، والحج الى مكة المكرمة ، وما الى ذلك من الفرائض •

ووورد ذكر موضع قبر الامام الرضا ، فضلا عن ذلك ، بواحد من أبيات قصيدة رثى بها شاعر معاصر وهو دعبل الخزاعي (ت : ٢٢٦ هـ) الامام الرضا (ع) واليك البيت المذكور :

اربع بطوس على قبر الزكي بـه ان كنت تربع من دين على وطر

كما ورد ذكر موضع القبر ببيتين لابي محمد اليزيدي :

ما لطوس لاقدس الله طوسـا كل يوم تحوز علقا نفيسـا

بـدت بالرشيـد فاقتبضتـه وثنت بالرضا علي بن موسى[72]

ولا نستطيع ان نعرف على وجه التحديد متى وكيف انشأ مشهد على قبر الامام الرضا (ع) • ولكننا ، مستندين على طائفة من القرائن ، نقرر انه انشأ على وجه التقريب في غضون القرن الثالث للهجرة ، أي في خلال قرن من وفاةالامام (ع) • واليك بعض تلك القرائن :

اشار الصاحب بن عباد (ت : ٣٢٦هـ) في ابيات الى وجود ذلك المشهد منها :

يا سايرا زائرا الـى طـوس مشـهد طهر وارض تقـديس

ابلغ سلامي الرضا وحط على اكـرم رمس لخـير مرمـوس[73]

ويظهر ان المشهد مع الزمن اصبح محاطا بمنطقة سكنية يقصدها النـاس للزيارة • واليك طائفة من الروايات التي اقتبسناها من الصدوق (ت : ٣٨١هـ) وتلك الروايات والحالة هذه تعود الى القرن الرابع الهجرى ان لم تكن اقدم من ذلك •• ومما حملنا على ذلك التقدير دون التحديد هو عدم عثورنا على سنوات

---

(٧١) ايضـا ، ص ٣١٩ •

(٧٢) الصدوق ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٥١ •

(٧٣) ايضـا ، ج١ ، ص ٤ •

وفاة اصحاب تلك الاخبار • روى ان ابا بكر الحمامي الفراء الذى كان من اصحاب الحديث قال « رأيت جماعة من الناس يتوجهون الى مشهد الرضا (ع) فخرجت معهم الى المشهد ••• » • وذات مرة قال رجل مصرى اسمه حمزة « انه خرج من مصر زائرا الى مشهد الرضا (ع) بطوس وانه لما دخل المشهد كان قرب غروب الشمس ••• فلما صلى العتمة اراد خادم القبر ان يخرجه ويغلق الباب •••»[٧٤] • وفي مرة اخرى جاء زائر آخر « وقال لخدام المشهد : خلوا لي المشهد هذه الليلة وادفعوا الي مفاتحه ••• »[٧٥] •

ويبدو من الروايات آنفة الذكر ان مشهد الرضا بطوس في عصر الصدوق وربما قبله اذا اخذنا ابيات ابن عباد وغيره بنظر الاعتبار ، كان بناء قائما وله ابواب ذات مفاتيح ، ويقوم على خدمة المشهد خدام •

ب ـ دور مشهد الرضا (ع) في العلم والتعليم عند الامامية :

نود ان نشير قبل الاشارة الى دور مشهد الرضا (ع) في درس العلوم وتدريسها عند الامامية ، ان عزلة المنطقة التي وجد فيها المشهد آنف الذكر وبعدها عن المراكز الشيعية الرئيسة امثال الكوفة وبغداد ، بما فيها المشهد الغربي الذى ورد ذكره فيما سبق من الحديث ، وقم ، ثم وجود ذلك المشهد فى منطقة كانت الغالبية العظمى من سكانها حينذاك من اهل السنة[٧٦] ، كل هذه العوامل جعلت دور مشهد الرضا وسكانه في العلم والتعليم عند الامامية ، فى الفترة التي تناولها بحثنا ، قليل الاهمية •

وسنورد هنا ما عثرنا عليه من اشارات تتعلق فيما نحن بصدد البحث فيه•• سبق ان ذكرنا في اعلاه ان ابا بكر الحمامي الذى زار المشهد مع جماعة من الناس كان من اصحاب الحديث • ومن المحتمل ان كان بين اولئك الزوار ، فضلا عن الحمامي ، من المشتغلين بدرس العلوم وتدريسها • كما ان الشيخ

---

(٧٤) ايضا ، ج٢ ، ص ٢٨٠ •
(٧٥) ايضا ، ج٢ ، ص ٢٨٢ •
(٧٦) راجع كتابنا الموسوم بـ « تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة » المطبوع ببغداد سنة ١٩٧٠ ، عن انتشار المذاهب السنية فى ايران بين القرنين الاول والرابع للهجرة ، الصفحة ٦٤ وما بعدها •

الصدوق الفقيه الامامي المعروف والذى وصفه النجاشي بأنه وجه الطائفة[77] زاول شيئا من نشاطه الفكرى في مشهد الرضا (ع) • فروى انه زار مشهد الرضا (ع) في رجب من سنة اثنين وخمسين وثلثمائة[78] • ثم ان الصدوق نفسه القى المجلس السابع والتسعين من اماليه التى ناقشناها بصلب الرسالة في مشهد الرضا • وكان ذلك في سنة ثمان وستين وثلثمائة[79] •

ومن الجدير بالذكر ان القاء الصدوق احد اماليه في المشهد يمكن ان يؤخذ قرينة على وجود عدد من طلبة العلم من ساكني المشهد أو من الوافدين عليه ، كانوا من بين من استمعوا الى درس الشيخ حين القاه • ولا شك ان جماعة العلماء من سكنة المشهد التي تلقت دروسا من امثال الشيخ الصدوق ، تكون توافة وصالحة لتلقي دروس من شيوخ آخرين مثله أو دونه ولكن التأريخ لم يسعفنا بمعرفة اولئك الطلبة وشيوخهم •

دور منطقة قم في العلم والتعليم عند الامامية :

بينا في صلب الرسالة ان قم مدينة مستحدثة ، استحدثها العرب بعد أن فتحوا ايران وامتازت قم من بين المدن الايرانية الاخرى في انها كانت اهم مركز للشيعة في ايران خلال الفترة التي نحن بصدد البحث عنها • ومن العوامل التى ساعدت على تمكن الشيعة بقم ، فضلا عن انتشار العلوم الاسلامية التى نقلها الأئمة المعصومون عن النبي (ص) لشيعتهم في تلك المدينة نشوء مشهد فاطمة بنت موسى الكاظم (ع) فيها •

أ ـ نشوء مشهد فاطمة بقم :

توفيت السيدة فاطمة بأرض قم من بلاد ايران • وكان ذلك في سنة ٢٠١ هجرية عندما كانت في طريقها الى زيارة اخيها الرضا (ع) بخراسان[80] • وورد

---

(٧٧) الرجال ، ص ٣٠٣ •

(٧٨) الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ج٢ ، ص ٢٧٩ •

(٧٩) الامالي ، طهران ، ١٣٨٠ ص ٦٧٤ •

(٨٠) القمي، الحسن بن محمد، تاريخ قم بالفارسية (طهران،١٣٥٣)ص٢١٣ •

ما يشير الى وجود قبر السيدة فاطمة بمدينة قم بحديث روى عن ابن اخيها الامام الجواد (ع) قال فيه « من زار قبر عمتي بقم ٠٠ »[٨١] ويظهر ان قبةاقيمت على القبر آنف الذكر بعد قليل من موت صاحبته ٠ اذ روى ان السيدة زينب بنت الجواد (ع) بنت اول قبة على قبر عمتها[٨٢] ٠ ويترتب على ذلك ان مشهدا للسيدة فاطمة كان قد وجد في النصف الاول من القرن الثالث للهجرة ٠ ويظهر ان اضافات وتوسيعات اجريت على المشهد المذكور فيما بعد ، وذلك عندما قام زيد بن احمد بن بحر الاصفهاني عامل بلدة قم بتوسيع المشهد واضافة ابنية اليه سنة ٣٥٠ هـ[٨٣] ٠

ب ـ دور مدينة قم في العلم والتعليم عند الامامية :

زخرت مدينة قم ، بحكم كونها من المراكز الرئيسة للامامية في الفترةالتي بحثناها بطائفة كبيرة من العلماء ، والمعلمين الكفاة ، وطلبة العلم ، الذين اسهموا بقسط كبير في التأليف والتدريس لمختلف صنوف العلوم الاسلامية التي تلقاها الشيعة الامامية عن أئمتهم ٠ ويعود بروز القميين في هذا المضمار الى ما يأتي :ـ اولا ـ بعد المدينة وعزلتها عن رقابة السلطان وعلماء أهل السنة ٠ ثانيا ـ كثرة العرب فيها

كان العرب ، كما فصلنا في كتابنا الموسم بـ « تأريخ الامامية واسلافهم من الشيعة »[٨٤] ، في القرون الاسلامية الاربعة الاولى يؤلفون الغالبية من الشيعة ، لذا كانت كثرتهم في قم مدعاة لقيام دراسات شيعية موسعة في المدينة المذكورة ٠ واليك امثلة عن النشاط الفكري الشيعي للعلماء القميين :

---

(٨١) ابن قولويه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ (٨٢) القمي ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ ٠

(٨٣) ايضا ، ص ٢١٤ ٠

(٨٤) انظر الصفحات : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ من كتابنا آنف الذكر ، المطبوع ببغداد سنة ١٩٧٠ م ٠

١ ـ محمد بن احمد بن داود بن علي « شيخ هذه الطائفة وعالمها وشيخ القميين في وقته وفقيههم . حكي ابو عبدالله الحسين بن عبيدالله انه لم ير احدا احفظ ولا افقه منه ولا اعرف بالحديث ... ورد بغداد واقام بها وحدث ... »[٨٥]

٢ ـ محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد ابو جعفر « شيخ القميين وفقيههم ، ومتقدمهم ووجههم ... ثقة عين مسكون اليه ، له كتب منها تفسير القرآن وكتاب الجامع ... مات ابو جعفر محمد بن الحسن ... سنة ثلاث واربعين وثلثمائة »[٨٦] .

٣ ـ موسى بن الحسن بن عامر بن عمران بن سعد الاشعرى القمي « ثقة عين جليل صنف ثلاثين كتابا ... اخبرنا ابن شاذان قال : حدثنا علي بن حاتم قال حدثنا الحميري عن موسى بن الحسن بكتبه »[٨٧] .

٤ ـ وهب بن محمد البزاز القمي « ثقة عين له كتاب ... اخبرنا ... عنه »[٨٨] .

٥ ـ زكريا بن ادريس الأشعرى القمي « قيل انه روى عن ابى عبدالله وابى الحسن الرضا (ع) له كتاب ... »[٨٩] .

٦ ـ سعد بن عبدالله الاشعري القمي « شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها ... سافر في طلب الحديث ... وصنف سعد كتبا كثيرة ... توفي سعد (ر) سنة احدى وثلثمائة وقيل سنة تسع وتسعين ومائتين .. »[٩٠] .

٧ ـ سعد بن سعد الاحوص الاشعري القمي « ثقة ، روى عن الرضا وابي جعفر (ع) ... »[٩١] .

---

(٨٥) النجاشي ، الرجال ، ص ٢٩٨ـ٩ .
(٨٦) ايضـا ، ص ٢٩٧ .
(٨٧) ايضـا ، ص ٣١٩ .
(٨٨) ايضـا ، ص ٣٣٦ .
(٨٩) ايضـا ، ص ١٣١ .
(٩٠) ايضـا ، ص ١٣٥ .
(٩١) ايضـا ، ص ١٣٥ .

٨ ـ سهل بن زاذويه ابو محمد القمي « ثقة جيد الحديث ، نقي الرواية ، معتمد عليه ... »[٩٢] .

٩ ـ عبدالله بن الصلت القمي « ثقة ، مسكون الى روايته ، روى عن الرضا (ع) ... »[٩٣] .

١٠ ـ عبدالله بن جعفر القمي « شيخ القميين ووجهم ، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ، وسمع اهلها منه فاكثروا ، وصنف كتبا كثيرة ... »[٩٤]

١١ ـ عبد العزيز بن المهتدي الاشعري القمي « ثقة ، روى عن الرضا (ع) له كتاب ... »[٩٥] .

١٢ ـ علي بن عبدالله العطار القمي « ثقة من اصحابنا له كتاب الاستطاعة ... »[٩٦]

١٣ ـ علي بن ابراهيم القمي « ثقة في الحديث ثبت معتمد صحيح المذهب سمع فأكثر وصنف كتبا ... »[٩٧] .

١٤ ـ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي « شيخ القميين في عصره ، ومتقدمهم ، وفقيههم وثقتهم كان قدم العراق واجتمع مع ابي القاسم الحسين ابن روح (ر) وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك ... »[٩٨] .

١٥ ـ العباس بن معروف « قمي ثقة له كتاب الاداب ... »[٩٩] .

ونفيد مما سبق ان قم كانت من المراكز الرئيسة للفكر الاسلامي الامامي في الفترة التي تناولها بحثنا . وذلك ان جميع تراجم العلماء آنفة الذكر منقولة عن النجاشي المتوفي سنة (٤٥٠ هـ) أي قبل نهاية الفترة التي نحن بصدد البحث عنها وهي الفترة التي تنتهي سنة (٤٦٠ هـ) بوفاة الطوسي شيخ الطائفة .

---

(٩٢) ايضا ، ص ١٤١ .
(٩٣) ايضا ، ص ١٦٠ .
(٩٤) ايضا ، ص ١٦٢ .
(٩٥) ايضا ، ص ١٨٤ .
(٩٦) ايضا ، ص ١٩٢ .
(٩٧) ايضا ، ص ١٩٧ .
(٩٨) ايضا ، ص ١٩٨ .
(٩٩) ايضا ، ٢١٥ـ٦ .

الملحق الثاني

الائمـة المعصومون ونبذ عن احوالهم

توطئة :

لم يكن غرضنا من اضافة هذا الملحق للرسالة تزويد القارىء بمعلومات مفصلة عن تأريخ الأئمة ، لان ذلك موضعه غير هذه الرسالة • والرسالة ، كما اتضح لمن قرأ اصلها لم تكن معنية بتأريخ الامامة • وهي ، كما يظهر من عنوانها ومحتوياتها ، معنية بالدرجة الاولى بتأريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة خلال الفترة التي نحن بصدد البحث فيها •

ونتيجة لذلك سنقتصر في الملحق التالي على ايراد معلومات مقتضبة عن الأئمة وعن مصدر علمهم الذى عرضت ضروب منه في صلب الرسالة • ونرجو ان يكون في تلك المعلومات ما يساعد القارىء على ازالة اللبس الذى قد يرد في طياتها ، نتيجة لاستعمال كنى الأئمة (ع) والقابهم مثلا ، دون ان تكون تلك الكنى والالقاب مقرونة بأسمائهم ، ويعود ذلك الى ان المصادر اوردت غالبية الاخبار الواردة عن الأئمة ، كما يظهر في صلب الرسالة ، مقرونة بكنى اولئك الأئمة والقابهم • يضاف الى ذلك ان غالبية الاحاديث الواردة في الرسالة كان سندها في المصادر نفسها ينتهي في الأئمة دون النبي (ص) • ورغبة في توضيح تلك الظاهرة ، فضلا عن ازالة ما يحتمل ان يكتنفها من غموض ، نقول ان نهاية سند الاحاديث في الأئمة لا يعني انهم كانوا يتلقون الوحي ، وكل ما في الامر ان الأئمة (ع) نقلوا الاحاديث التي ينتهي سندها بهم ، عن النبي (ص) مباشرة • والنبي (ص) ، كما يعتقد الشيعة ، معصوم ، فروى عنه علي (ع) ، وهو امام معصوم ، ايضا ، الغالبية العظمى[1] من العلوم الاسلامية • ونقل علي (ع)

---

(١) ان الامامية واسلافهم من الشيعة ، رغم تأكيدهم على ضرورة الرواية عن المعصوم كانوا يروون عمن يثقون بروايته من الصحابة • فالشيخ المفيد (الاختصاص ص ١٥) روى حديثا رفعه الى عمرو بن حمق الخزاعي • وروى الصدوق (من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص ١٥١) حديثا رفعه الى جابر بن عبدالله الانصاري • وروى الكليني (الكافي ، ج١ ، ص ٦٢) حديثا رفعه الى سليم بن قيس الهلالي •

بدوره تلك العلوم الى الامام المعصوم الذي خلفه من ذريته من فاطمة بنت النبي (ص) . وهكذا نقل الائمة الاثنى عشر المعصومون احاديث النبي (ص) الامام المتقدم منهم ينقلها الى الامام الذي يخلفه . وسنعود للكلام عن قضية انقطاع الوحي بعد النبي (ص) بعد قليل .

يعتقد الامامية واسلافهم من الشيعة بأمامة اثني عشر اماما ، احدهم امير المؤمنين علي (ع) والاحدى عشر الاخرون من ذريته من زوجته فاطمة بنت النبي (ص) . وكان جميع اولئك الأئمة حسب اعتقاد الشيعة الامامية واسلافهم من قبل، منصوص عليهم من الله عن النبي (ص) . واستدلوا على ذلك بأدلة وردت في مظانها[٢] . والنص عند الشيعة اسلاف الامامية كما عند خلفائهم الامامية نوعان : احدهما جلي والاخر خفي ، ووضح قضية النص ، الذي هو اسس التشيع وجوهره، عدد من الشيعة امثال الشيخ المفيد ، والشريف المرتضى والشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة . وتناول الطوسي فكرة النص بالبحث والتفصيل بكتابه الموسوم بـ « تلخيص الشافي » آنف الذكر . ونتيجة لاعتقاد الامامية واسلافهم من الشيعة بالنص سموا بأصحاب النص والتعيين . وقد اتينا على شرح عقائدهم الاساسية بصورة تفصيلية بكتابنا الموسوم بـ « تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة »[٣] .

والأئمة الاثنى عشر المعصومون مرجع الامامية واسلافهم في الاحكام الشرعية الاسلامية التي تلقاها اولئك الأئمة عن النبي (ص) ونقلوها بدورهم الى الشيعة . لذا كان دور الأئمة (ع) كما اسلفنا ، مقتصرا على نقل تلك الاحكام عن النبي (ص) .

قال الطوسي ان « الامام لا يكون عالما بشيء من الاحكام الا من جهة الرسول واخذ ذلك من جهته »[٤] . وقد بينا قبل قليل ان اولئك الأئمة (ع) لا يوحى اليهم لان الوحي منقطع بأجماع الامة الاسلامية بما فيهم الشيعة ، بعد وفاة النبي

---

(٢) الطوسي ، محمد بن الحسن ، تلخيص الشافي (النجف ، ١٩٦٣) ؛ الحلي ، الحسن بن يوسف ، الالفين في امامة امير المؤمنين (ع) النجف ، ١٣٧٢ هـ .

(٣) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٧٠ .

(٤) تلخيص الشافي ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

محمد (ص) . واشار الى ذلك سعد بن عبدالله الاشعري (ت : ٣٠١ هـ) في معرض كلامه عن حصر الوحي في النبي (ص) حين قال « لان الوحي من جميع جهاته وفنونه منقطع بعد النبي (ص) بأجماع الامة »(٥) .

والأئمة الاثنى عشر المعصومون ، كما يعتقد الامامية واسلافهم من الشيعة، منصوص عليهم بالامامة ، نص عليهم النبي (ص) جميعا بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو التالي :

١ ـ ابو الحسن علي بن ابي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها . ولد بمكة المكرمة وقتل في الكوفة . ومرقده في النجف الاشرف بالعراق . وامه السيدة فاطمة بنت اسد .

٢ ـ ابو محمد الحسن بن علي (الزكي) . ولد في المدينة المنورة سنة ٢ هـ وتوفي سنة ٥٠هـ . وقبره في البقيع بالمدينة المنورة . وامه السيدة فاطمة بنت النبي (ص) .

٣ ـ ابو عبدالله الحسين بن علي (سيد الشهداء) . ولد في المدينة المنورة سنة ٣هـ واستشهد بكربلاء سنة ٦١هـ . ومرقده بكربلاء في العراق وامه السيدة فاطمة (ع) .

٤ ـ ابو محمد علي بن الحسين (زين العابدين) . ولد في المدينة المنورة سنة ٣٨ هـ . وتوفي فيها سنة ٩٥ هـ . وقبره في المدينة المنورة في الحجاز وامه السيدة شهربانويه .(٦)

---

(٥) المقالات والفرق (طهران ، ١٩٦٣) ص ٩٧ .

(٦) السيدة شهربانويه او شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى . وكانت لشهربانويه أخت نحلها الامام علي (ع) لمحمد بن ابي بكر فولدت له القاسم . فعلي بن الحسين والقاسم بن محمد بن ابي بكر ابنا خالة (المفيد الارشاد ، ص ٢٣٧) .

٥ ـ ابو جعفر محمد بن علي (الباقر) • ولد سنة ٥٧ هـ في المدينة المنورة • وتوفي فيها سنة ١١٤ـ١١٩ هـ ، وقبره في المدينة المنورة • وامه السيدةفاطمة بنت الحسن •

٦ ـ ابو عبدالله جعفر بن محمد (الصادق) • ولد سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة • وتوفي فيها سنة ١٤٨ هـ ، وقبره في المدينة المنورة • وامه السيدة ام فروة •

٧ ـ ابو ابراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) • ولد سنة ١٢٨ هـ في قرية (الابواء) في الحجاز بين مكة والمدينة • وتوفى سنة ١٨٣هـ في سجن الرشيد ببغداد• ومرقده في الكاظمية على بعد (٨) اميال من بغداد عاصمة العراق وامه السيدة حميدة •

٨ ـ ابو الحسن علي بن موسى (الرضا) • ولد سنة ١٤٨ هـ في المدينة المنورة ، وتوفي سنة ٢٠٣ هـ بطوس في خراسان • ومرقده في مشهد في خراسان من بلاد ايران • وامه السيدة ام البنين •

٩ ـ ابو جعفر محمد بن علي (الجواد) • ولد في المدينة المنورة سنة ١٩٥ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٠ هـ • ومرقده بالكاظمية جوار بغداد • وامه السيدة سبيكة •

١٠ـ ابو الحسن علي بن محمد (الهادي) • ولد في المدينة المنورة سنة ٢١٢هـ، وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ ، ومرقده بسامراء في العراق • وامه السيدة سمانة•

١١ ـ ابو محمد الحسن بن علي (العسكري) • ولد في المدينة المنورة سنة٢٣٢هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤ هـ ، ومرقده بسامراء في العراق • وامه السيدة حديثة •

١٢ ـ ابو القاسم محمد بن الحسن (المهدي) • ولد بسامراء سنة ٢٥٦ هـ وامه السيدة نرجس ، وهو الحجة في العصر الحاضر أي الامام المنتظر ، وعند

خروجه ، كما يعتقد الامامية ، يملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت جوراء

ومن الجدير بالذكر انا اعتمدنا فيما قدمناه من معلومات عن الأئمة في هذا الملحق على كتاب المفيد الموسوم ب (الارشاد)[٧] • وسيجد القارئ تفصيلات وافية عن حياة الأئمة المعصومين في الكتاب المذكور ، وفي كتاب (مناقب آل ابي طالب)[٨] لابن شهراشوب وكذلك في كتاب بحار الانوار[٩] للمجلسي •

(٧) طبع الكتاب المذكور في طهران سنة ١٣٧٧ هـ •

(٨) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٥٦م •

(٩) طبع الكتاب المذكور في طهران سنة ١٣١٣ هـ •

فهارس الكتاب



١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الفرق والجماعات

٣ - فهرس الأمكنة والبقاع

٤ - فهرس الأعـــلام

اولا : فهرس الآيات القرآنية

(أ)

- الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ...

(التوبة ، ٩ : ٧٩) - ١٩٦ .

- الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون .

(البقرة ، ٢ : ١٥) - ١٩٧ .

- المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسو الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون .

(التوبة ، ٩ : ٦٧) - ١٩٧ .

- ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ...

(النساء ، ٤ : ١٤٢) - ١٩٧ .

(ك)

- كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .

(المطففون ، ٨٣ : ١٥) - ١٩٦ .

(و)

- ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

(آل عمران ، ٣ : ٥٤) - ١٩٧ .

- واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين .

(البقرة ، ٢ : ١٢٤) - ١٨ .

- وجاء ربك والملك صفاً صفا .

(الفجر ، ٨٩ : ٢٢) - ١٩٦ .

- وجعلها كلمة باقية فى عقبه ...

(الزخرف ، ٤٣ : ٢٨) - ١٨ .

(هـ)

- هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ...

(البقرة ، ٢ : ٢١٠) - ١٩٦ .

ثانيا : فهرس الفرق والجماعات

(أ)

(ب)

- ٧ .

الزيدية (شيعة زيد بن علي (ع))

- ١٣ ١٦ ١٧ ٢٢

(س)

السبائية (اصحاب عبدالله بن سبأ)

- ١٣ .

السلاجقة

- ٦ ٩٠ ١٠١ .

(ش)

الشيعة

- ٨ ٩ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩
٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٨ ٢٩ ٣٠
٣١ ٣٣ ٣٧ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٨
٥٠ ٥١ ٥٤ ٥٥ ٦١ ٦٢ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧
٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٣ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٨٢
٨٣ ٩١ ٩٥ ٩٧ ٩٩ ١٠١ ١١٧ ١٢١ ١٢٢
١٢٣ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤
١٣٥ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٦٠ ١٦٤ ١٦٥
١٦٦ ١٦٨ ١٧١ ١٧٧ ١٩٥ ٢٠٣ ٢١٥ ٢٢١
٢٢٥ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٥ ٢٤٧ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦
٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٩ ٢٧٢
٢٧٣ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨٤ ٢٨٦
٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٣ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ .

(ص)

الصابئة

- ٨ .

الصحابة

- ٥ .

ثالثا : فهرس الأمكنة والبقاع

(أ)

(س)

سامراء = سر من رأى ٠

- ٢٩٨ ٠

سر من رأى (مدينة في العراق اتخذها العباسيون عاصمة لهم)

- ٦٧ ١٣٣ ٠

سمرقند (مدينة في اواسط اسيا)

- ٧٧ ٧٨ ٠

السواد (منطقة في العراق تستد بين حربى والعلث شمالا الى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان شرقا الى القادسية غربا)

- ٤٤ ٠

سورا (مدينة مندرسة في منطقة الكوفة)

- ٢٨٧ ٠

(ش)

شارع دار الرقيق (شارع مندرس ببغداد)

- ٦٧ ٠

الشام (بلاد سورية)

- ٥ ٠

شيراز (مدينة في ايران)

- ٨٨ ٠

(ص)

صقلية (جزيرة في البحر المتوسط)

- ٥ ٠

الصين

- ٧ ٨٢ ٠

(ط)

الطائف (مدينة في الحجاز)

- ١٩٩ ٠

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

- ٥ ٩ ١٠ ٢٦ ٧٠ ٧١ ٧٣ ٢٥٩ ٢٦٩
٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٩٧ .

النظامية (مدرسة مندرسة في بغداد)

- ٧ ٩٢ ٩٧ ١٠٢ ٢٢٣ .

نيسابور (مدينة في ايران)

- ٦٠ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ .

نينوى (قرية على نهر العلقمي تقع الى جنب الحائر بكربلاء في العراق)

- ٤٤ ٢٨٧ .

(و)

وادى السلام (مقبرة مشهورة في النجف الاشرف بالعراق)

- ٧١ .

واسط (مدينة مندرسة في العراق)

- ٥ ٤٠ ٢٣٥ ٢٥٨ .

(هـ)

الهاشمية (مدينة مندرسة في العراق اتخذها العباسيون عاصمة لهم قبل بناء بغداد)

- ١٦٨ .

الهنـد

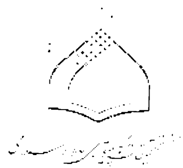
- ٥ .

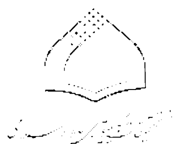
(ي)

اليمـن

- ٨٢ .

رابعا : فهرس الأعلام







(ب)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

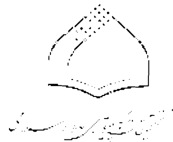
(ص)

(غ)

(ك)

(م)





(ن)

(ي)

المصادر

أ ـ المخطوطات :

مؤلف مجهول (من علماء القرن العاشر الهجري)

رسالة في معرفة مشايخ الشيعة • مخطوط ذو رقم (٧٥٩) ـ الأنساب والتاريخ ـ مكتبة كاشف الغطاء • النجف •

مؤلف مجهول (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)

آداب المتعلمين • مخطوط • خزانة الشيخ محمد علي النجف آبادي في النجف الأشرف •

الأفندي ، عبدالله • ت ١١٣٠هـ •

رياض العلماء وحياض الفضلاء • مخطوط • خزانة كتب الشيخ اغا بزرك الطهراني في النجف •

ب ـ المطبوعات :

ابو مخنف (المنسوب) لوط بن يحيي • ت : ١٥٧هـ •

في مقتل الامام ابي عبدالله الحسين (النجف ، ١٩٥٦م) •

المنقري ، نصر بن مزاحم • ت : ٢١٢هـ •

وقعة صفين (القاهرة ، ١٣٦٥هـ) •

ابن هشام ، عبدالملك • ت : ٢١٨هـ •

السيرة • ٤ اجزاء (القاهرة ، ١٩٤٨م) •

الجاحظ ، عمرو بن بحر • ت : ٢٥٥هـ •

البيان والتبيين • ٤ اجزاء (القاهرة ، ١٩٤٨م) •

وطبعة اخرى (القاهرة ، ١٩٣٢م) •

ــــــ الرسائل ـ باعتناء السندوبي (القاهرة ، ١٩٣٣م) •

ــــــ الحيوان ، ج١ (القاهرة ، ١٩٣٨م) •

ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم . ت : ٢٧٦هـ .
عيون الاخبار . ج٢ (القاهرة ، لا . ت) .
البلاذري ، احمد بن يحي . ت : ٢٧٩هـ .
فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٠١م) .
النعماني ، محمد بن ابراهيم (من علماء القرن الثالث) .
الغيبة (طهران ، ١٣٨٢هـ) .
اليعقوبي ، احمد بن واضح . ت : ٢٨٤هـ .
التاريخ . ٣ اجزاء (النجف ، ١٣٥٨هـ) .
ـــــــ البلدان (النجف ، ١٩٥٧م) .
المبرد ، محمد بن يزيد . ت : ٢٨٥هـ .
الكامل . جزءآن (القاهرة ، ١٣٠٨هـ) .
النوبختي ، الحسن بن موسى . ت.ح : ٣٠٠هـ .
فرق الشيعة (استنبول ، ١٩٣١م) .
الطبري ، محمد بن جرير . ت : ٣١٠هـ .
تاريخ الرسل والملوك . ٨ اجزاء (القاهرة ، ١٩٣٨م) .
ـــــــ التفسير . ج١ (القاهرة ، ١٣٧٤ هـ) .
الكليني ، محمد بن يعقوب . ت : ٣٢٨ / ٢٩هـ .
الكافي . ٨ اجزاء (طهران ، ١٣٧٧هـ) .
وطبعة اخرى ـ حجر (تبريز ، ١٣١٢هـ) .
الكشي ، محمد بن عمر . ت.ح : ٣٤٠هـ .
الرجال (بمباى ، ١٣١٧هـ) .
وطبعة اخرى (كربلاء ، ١٣٨٣هـ) .
المسعودى ، على بن الحسين . ت : ٣٣٦هـ .
التنبيه والاشراف (ليدن ، ١٨٩٣م) .

ـــــــ مروج الذهب . ٤ اجزاء (القاهرة ، ١٩٥٨م) .

وطبعة اخرى (القاهرة ، ١٣٥٧هـ) .

ـــــــ الوصية . (النجف لا.ت) .

الاصفهاني ، ابو الفرج . ت : ٣٥٦هـ .

الاغاني . ٢١جزءاً (بيروت ، ١٩٥٦م) .

ـــــــ مقاتل الطالبيين ٣ أجزاء (بيروت ، ١٩٦١م) .

وطبعة اخرى (القاهرة ، ١٩٤٩م) .

القمي ، حسن بن محمد . ت : ٣٧٨هـ .

تاريخ قم ـ بالفارسية ـ (طهران ، ١٣٥٣هـ) .

القمي ، محمد بن علي . ت : ٣٨١هـ .

الامالي (قم ، ١٣٧٣هـ) .

وطبعة اخرى (طهران ، ١٣٨٠هـ) .

ـــــــ الخصال (طهران ، ١٣٢٠هـ) .

ـــــــ كتاب من لا يحضره الفقيه . ٣اجزاء (النجف ، ١٣٧٨هـ) .

ـــــــ علل الشرائع . (النجف ، ١٩٦٣م) .

ـــــــ عيون اخبار الرضا . جزءآن (طهران ، ١٣١٨هـ) .

وطبعة اخرى (قم ، ١٣٧٧هـ) .

ـــــــ معاني الاخبار (طهران ، ١٣٧٦هـ) .

التنوخي ، المحسن بن علي . ت : ٣٨٤هـ .

جامع التواريخ . ج٨ (دمشق ، ١٩٣٠م) .

ـــــــ الفرج بعد الشدة (القاهرة ، ١٩٥٥م) .

الهمذاني ، بديع الزمان . ت : ٣٩٨هـ .

الرسائل (القسطنطينية ، ١٢٩٨هـ) .

العكبري ، الشيخ المفيد . ت : ٤١٣هـ •
ــــــ الاختصاص (طهران ، ١٣٧٩هـ) •
ــــــ الارشاد (اصفهان ، ١٣١٢هـ) •
وطبعة اخرى (اصفهان ، ١٣٦٤هـ) •
ــــــ الامالي (النجف ، ١٣٥١هـ) •
ــــــ الفصول • جزءآن (ايران ، لا.ت) •
وطبعة اخرى (النجف ، لا.ت) •
مسكويه ، احمد بن محمد . ت : ٤٢١هـ •
تجارب الامم . ج٦ (القاهرة ، ١٩١٤م) •
ابن سينا ، الحسين بن علي . ت : ٤٢٨هـ •
القانون . ج١ (القاهرة ، لا.ت) •
الثعالبي ، عبدالملك • ت : ٤٢٩هـ •
يتيمة الدهر . ٤اجزاء (دمشق ، ١٢٨٥هـ) •
المرتضى ، الشريف . ت : ٤٣٦هـ •
الأمالي . جزءآن (القاهرة ، ١٩٥٤م) •
ــــــ تنزيه الانبياء (النجف ، ١٩٦٠م) •
ــــــ مجموعة في فنون علم الكلام ـ تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ (بغداد ، ١٩٥٥م) •
ابن النديم ، محمد بن اسحاق . ت : ٤٣٨هـ •
الفهرست • تح • فلوغل (ليبزغ ، ١٨٧١م) •
وطبعة اخرى (القاهرة ، ١٣٤٨هـ) •
الصابي ، هلال بن المحسن . ت : ٤٤٨هـ •
رسوم دار الخلافة (بغداد ، ١٩٦٤م) •
النجاشي ، احمد بن علي . ت : ٤٥٠هـ •
الرجال (طهران ، لا.ت) •

الماوردي ، علي بن محمد . ت : ٤٥٠هـ .
ادب الدين والدنيا (القاهرة ، ١٣٧١هـ) .
الطوسي ، الشيخ محمد بن الحسن . ت : ٤٦٠هـ .
الاستبصار . ٣اجزاء (لكنهو ، ١٣٠٧هـ) .
وطبعة اخرى (النجف ، ١٣٧٥هـ) .
———— الامالي (ايران – حجر – ١٣١٣هـ) .
وطبعة اخرى (النجف ، ١٩٦٤م) .
———— تهذيب الاحكام . عشرة اجزاء (النجف ، ١٩٥٩م) .
———— الخلاف (ايران ، لا.ت) .
———— الرجال (النجف ، ١٩٦١م) .
———— الفهرست (النجف ، ١٩٣٧م) .
الخطيب البغدادي ، احمد بن علي . ت : ٤٦٣هـ .
تقييد العلم (دمشق ، ١٩٤٩م) .
———— الكفاية في علم الرواية (حيدر اباد الدكن ، ١٣٥٧هـ) .
الغزالي ، محمد بن محمد . ت : ٥٠٥هـ .
احياء علوم الدين . ج١ (القاهرة ، ١٩٣٩م) .
———— المنقذ من الضلال (القاهرة ، ١٩٥٢م) .
الحريري ، القاسم بن علي . ت : ٥١٦هـ .
المقامات (القاهرة ، ١٣٢٦هـ) .
الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم ، ت : ٥٤٨هـ .
الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٤٧م) .
الطبرسي ، الحسن رضي الدين . ت : ٥٤٨هـ .
مكارم الاخلاق (القاهرة ، ل١٣١هـ) .
الطبرسي ، احمد بن علي . (من مشايخ ابن شهر اشوب المتوفى ٥٨٨هـ) .

الاحتجاج على أهل اللجاج (النجف ، ١٣٥٠ هـ) .
القزويني ، عبدالجليل . ت.ح : ٥٦٠ هـ .
النقض ـ بالفارسية ـ (ايران ، ١٣٧١ هـ) .
السمعاني ، عبدالكريم . ت : ٥٦٢ هـ .
ادب الاملاء والاستملاء (ليدن ، ١٩٥٦م) .
ابن شهراشوب ، محمد بن علي . ت : ٥٨٨ هـ .
مناقب آل ابي طالب ، ٣ اجزاء (النجف ، ١٩٥٦م) .
ـــــ معالم العلماء (النجف ، ١٩٦١م) .
ابن الجوزي ، عبدالرحمن .ت : ٥٩٧ .
المنتظم . ج٦،ج٧،ج٨ (حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ) .
ـــــ مناقب الامام احمد بن حنبل (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) .
الزرنوجي . (من علماء القرن السادس) .
تعليم المتعلم (القاهرة ، لا.ت) .
الحموي . ياقوت . ت : ٦٢٦ هـ .
معجم الادباء ، الاجزاء ٣،٦،٥،٧،١٣ (القاهرة ، ١٩٢٣م) .
ـــــ معجم البلدان . ج٤ (بيروت ، ١٩٥٥م) .
ابن الاثير ، علي ابن ابى الكرم . ت : ٦٣٠هـ
الكامل . الاجزاء ١٠،١١،١٢ (القاهرة ، ١٢٩٠ هـ)
ابن الصلاح ، عثمان بن عبدالرحمن . ت ٦٤٣ هـ .
المقدمة (حلب ، ١٩٣١م).
ابن طاووس ، موسى بن جعفر . ت : ٦٤٤هـ .
كشف المحجة لثمرة المهجة (النجف ، ١٩٥٠م) .
ابن الجوزى ، سبط . ت : ٦٥٤ هـ .
تذكرة خواص الامة فى معرفة الائمة (ايران،١٢٨٧هـ) .

ابن ابی الحدید ، عبدالحمید • ت : ٦٥٤ هـ •

شرح نهج البلاغة • ج٢ (حجر ، ١٣٠٢هـ) •

ابن طاووس ، علي بن موسى • ت : ٦٦٤ هـ •

فرج المهموم (النجف ، ١٣٦٨ هـ) •

ابن خلكان ، احمد • ت : ٦٨١ هـ •

وفيات الاعيان • ج١ و ج٣ (القاهرة ، ١٩٤٠م) •

ابن داود الحسن بن علي الحلي (من علماء القرن السابع الهجری)

الرجال (طهران ، ١٣٤٢ هـ) •

القزوینی ، زکریا بن محمد • ت : ٦٨٣ هـ •

آثار البلاد واخبار العباد (بيروت ، ١٩٦٠م) •

ابن طاووس ، عبدالکریم • ت : ٦٩٣هـ •

فرحة الغری (النجف ، ١٣٥٨ هـ) •

الحلی ، الحسن بن یوسف • ت : ٧٢٦ هـ •

الرجال (طهران ، ١٣١١ هـ) •

وطبعة اخرى (النجف ، ١٩٦١ م) •

الدیلمی ، محمد (من علماء القرن الثامن الهجری) •

ارشاد القلوب جزءان (بيروت ، ١٣٨١ هـ) •

وطبعة اخرى (النجف ، ١٣٤٢ هـ) •

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابی بکر • ت : ٧٥١ هـ •

مفتاح دار السعادة • ج١ (القاهرة ، ١٣٢٣ هـ) •

الیافعی ، عبدالله • ت : ٧٦٨ هـ •

مرآة الجنان ، ٣ اجزاء (حیدر آباد الدکن ، ١٣٣٨هـ) •

السبکی ، عبدالوهاب • ت : ٧٧١ هـ •

طبقات الشافعية ، ٤ اجزاء (القاهرة ، لا • ت) •

ابن خلدون ، عبدالرحمن • ت : ٨٠٨ هـ •

المقدمة (القاهرة ، ١٩٣٠م) .
ابن جماعة ، محمد بن ابراهيم . ت : ٨١٩ هـ .
التذكرة (حيدر آباد الدكن ، ١٣٥٣ هـ) .
العسقلاني ، ابن حجر . ت : ٨٥٢ هـ .
نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر (كلكتا ، ١٨٦٢ هـ)
——— فتح الباري . ج١ (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
الشهيد الثاني ، زين الدين العاملي . ت : ٩٦٥ هـ .
منية المريد في اداب المفيد والمستفيد (ايران ، ١٣١٤ هـ) .
وطبعة اخرى (النجف ، ١٩٦٢م) .
البهائي ، محمد بن الحسين . ت : ١٠٣١ هـ .
الكشكول . جزآن (القاهرة ، ١٣٠٢هـ) .
——— الفصول (النجف ، ١٣٧٨هـ) .
——— المخلاة (القاهرة ، ١٣١٧) .
——— الوجيزة – ضمن كتاب الرجال للحلي (ايران ، ١٣١١ هـ) .
الكاشاني ، محسن الفيض . ت : ١٠٩١ هـ .
المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء . ج١ (طهران، ١٣٣٩ هـ) .
النوادر (طهران ، لا . ت) .
المجلسي ، محمد باقر . ت : ١١١٠ هـ .
بحار الانوار . ٢٦ مجلدا (طهران ، ١٣١٥ هـ) .
البحراني ، يوسف . ت : ١١٨٦ هـ .
الكشكول . ٣ اجزاء (النجف ، ١٩٦١م) .

ج - المراجع الثانوية .

اولا - المراجع العربية والمترجمة .

ـــ الخونساري ، محمد باقر .

روضات الجنات في احوال العلمـــاء والسادات ، ٤ اجزاء (طهران ، ١٣٦٧ هـ) . وطبعة اخرى (اصفهان ، ١٣٨٢ هـ) .

شلبي ، احمـــد .

تاريخ التربيه الاسلامية (بيروت ، ١٩٥٤ م).

الصدر ، حسن .

تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام (بغداد ، ١٩٥١م) .

الطهراني ، اغا بزرك .

الذريعة الى تصانيف الشيعة .ج١وج١٠ (النجف١٩٣٦م) .

ـــــــــ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال (طهران ، ١٩٥٩م) .

عواد ، كوركيس .

خزائن الكتب القديمة في العراق (بغداد ، ١٩٤٨م) .

عنيمة ، محمد عبدالرحيم .

تاريخ الجامعات الاسلامية (تطوان ، ١٩٥٣م) .

فلهاوزن ، يوليوس .

الخوارج والشيعة - ترجمة عبدالرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٥٨ م) .

القاسمي ، جمال الدين .

قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث (دمشق ١٩٢٥م).

القمي ، عباس .

الانوار الالهية (مشهد ، لا.ت) .
ــــــ الكنى والالقاب ، ٣ اجزاء (النجف ، ١٩٥٦م) .
ــــــ كشف الغطاء ، محمد حسين .
اصل الشيعة واصولها . (بيروت ، لا.ت) .
ــــــ عين العرفان (صيدا ، ١٣٣٠ هـ) .
كولدزيهر ، اجناس ،
العقيدة والشريعة في الاسلام - ترجمة محمد يوسف وعبد العزيز عبدالحق (القاهرة ، ١٩٤٦ م) .
المظفر ، محمد رضا .
عقائد الشيعة (النجف ، ١٩٥٤ م) .
ميتز ، آدم .
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى - ترجمة عبد الهادى ابو ريده - جزءآن (القاهرة ، ١٩٤٠م) .

ثانيا ـ المراجع الاجنبية :

A- Books:

Donaldson, D.M., The Shi'te Religion, London, 1933.

Grunebaum, G.E., Von, Medievial Islam, Chicago, 1956.

Guillaume, A., Islam. Edinburgh' 1954.

Mez, A., The Renaissance of Islam, London, 1937.

Tritton, A.S., Materials on Muslim Education in the Middle Ages, London, 1957.

Vloten, G.V., Recherches sur la Domination arabe, le Chiitisme et les Croyances Messianiques sous le Khealifat des Omayades, Amsterdam, 1894.

Watt, W.M., Islam and the Integration of Society, London, 1961.

B- Encyclopaedias:

Goldziher, I., " Education ", E.R.E., V.

Pederson, J., " Masjid ", Encyclopaedia of Islam, III,.

C- Periodicals:

Khuda Bukhsh, " The Educational System of the Muslims in the Middle Ages ", Islamic Culture, 1, 1927.

Mu'id Khan, M.A., " The Muslim Theories of Education during the Middle Ages," Islamic Culture, 18, 1944.

Tawfiq, M.A., " A Sketch of the Idea of Education in Islam ", Islamic Culture, 17, 1943.

Tibawi, A.L., " Muslim Education in the Golden of the Caliphate ", Islamic Culture · 28 · 1948.

Tibawi, A.L., " Philosophy of Muslim Education ", Islamic Quarterly, 4, 1957.

Tritton, A.S., " Muslim Education in the Middle Ages ", Muslim World, 43, 1953.

للمؤلف

١ ـ تاريخ البرامكة (نفد) .
٢ ـ تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنه ١٩٢٠ (نفد) .
٣ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء .
٤ ـ الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة .
٥ ـ مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء .
٦ ـ مشاهداتي في تركية .
٧ ـ مشاهداتي في ايران .
٨ ـ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة .
٩ ـ الأجازات العلمية عند المسلمين .
١٠ـ مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (ذي قار) .
١١ـ محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية .
١٢ـ تاريخ الأمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري .
١٣ـ الحركة الفدائية في الاسلام قديما وحديثا .
١٤ـ تاريخ التربية عند الأمامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي .
١٥ـ مشاهداتي في المانيا الديمقراطية .

من كتب المؤلف المعدة للطبع

١٦ـ تدوين التاريخ عند المسلمين .
١٧ـ الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة .
١٨ـ السلطة بين الخلفاء والأمراء في عهد الخلافة العباسية .
١٩ـ تاريخ الكوفة في العصر الأموي .

دراسات في المجلات

١ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية بغداد • المجلد الرابع ١٩٥٥م •

٢ ـ أ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية بغداد • المجلد الخامس ١٩٥٦م •

ب ـ نقد وتعليق على كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » للدكتور صالح أحمد العلي •

٣ ـ « الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام » مجلة الاستاذ • تصدرها كلية التربية ـ جامعة بغداد • المجلد العاشر ١٩٦٢م •

٤ ـ « الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » مجلة الأستاذ • العدد الحادي عشر ، ١٩٦٣م •

٥ ـ « التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين » مجلة الأستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م •

٦ ـ أضواء على مشكلات الأصلاح الزراعي في لواء الناصرية • من الأبحاث المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥ ـ ١٧ آب ١٩٦٣م •

٧ ـ « المثل عند الغزالي » مجلة رسالة الاسلام ـ تصدرها كلية أصول الدين بغداد • العدد الثالث ١٩٦٦م •

٨ ـ « دور الأمام الصادق في التربية والتعليم عند الأمامية » رسالة الاسلام ـ تصدرها كلية أصول الدين بغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٦م •

٩ ـ « كتب الأمالي عند الشيعة الامامية » بحث ألقي في المؤتمر الثقافي لجمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف . نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية المذكورة (النجف ، ١٩٦٦) .

١٠ـ « الخلافة العباسية في العهد البويهي » مجلة رسالة الاسلام . تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان الأول والثاني ١٩٦٧م .

١١ـ « الخلافة العباسية في عهد السلاجقة » مجلة رسالة الإسلام . تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م .

١٢ـ دور الامامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الأمامية » . مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان السابع والثامن ١٩٦٨م .

١٣ـ « التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس » القسم الاول ، مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الثالث والرابع ١٩٦٩م .

١٤ـ « التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس » القسم الثاني ، مجلة رسالة الاسلام . تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان الخامس والسادس ١٩٦٩م .

١٥ـ « الفدائيون من أهل الثغور وواجبنا نحوهم » مجلة رسالة الاسلام . تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان التاسع والعاشر ١٩٦٩ .

١٦ـ « الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منهما » مجلة رسالة الاسلام . تصدرها كلية أصول الدين ببغداد . العددان الثالث والرابع ١٩٧٠م .

١٧ـ « دور العلم وخزائن الكتب في العصر البويهي » المجلة التاريخية تصدرها الجمعية العراقية للتاريخ والآثار ، العدد الأول ، ١٩٧٠م .

الفهرس

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
حواد	حوادث	١٣	٩١
تغم	تنمّ	١٨	١١٤
اكثرهن خمسة	اكثرهن من خمسة	٤	١٢٨
سيعه	معيه	٣	١٥١
عليه (ع)	عمم عليا (ع)	٢	١٧١
عبيد بن بصلة	عبيد بن فضلة	٧	١٩٨
اما غاية التعليم	اما غاية التعليم الدنيوية	٨	٢٢٠

الرموز المستعملة في الكتاب :

تح : تحرير او نشر

تر : ترجمة

لا.ت : تاريخ الطبع غير موجود

ت : توفي

Imamete students travelled in quest of learning to meet mainly the infalliable Imams for transmition of their Hadith. Non-Imamete Muslims'travel,according to the Imamete belief, was destinated to uninfailiable persons who may commit an error.

I hope that my investigation into the history of Imamete education will be of certain contribution to further researches in this field .

The present dissertation might be the first of its kind written on Imamete education. In the light of the lack of sources, and that of rare modern studies on Imamete educational system, the present study may fill a gap in its own field.



is the religious purposes. The mundane objects were not neglected as long as they did not conflict with the religious ones.

In so far as examinations are concerned, I have not come across any systematic regulations, whether in the early stages of elementary education or in higher levels of 'Ulum teaching.

The sixth chapter deals with funds needed for the financing of the Imamete educational system. Funds needed for the financing education were partly paid by the Imams orby their envoys after the elapse of the formers' era. The Imams as well as their envoys used to collect a sort of religious taxes (Huquq Shar'iyah) according to Islamic techn. terms, and to receive endowment income from the Shi'a.

The dissertation has two appendices; the first deals witth the holy shrines (al-Mashahid al-Sharifah) of the Shi'i Imams. The Shi'i educational activitites which took place in those shrines were referred to in the text of the book as well as in the appendix. The second appendix gives a summary of biographies of infalliable imams.

Although the imamete educational system is a branch of a whole Islamic educational syeiem, it nevertheless has its own characteristics which distinguish it from all other Islamic educational branches.

Sharing the other Muslims in their belief that the text of holy Qur'an is complete, and that the Sunna of the Prophet Muhammad does not only explain it, but also complets it, the Imamete believe that the non-Imamete Muslims failed to get the true meanings of the two divine sources through qualifaied transmitters. The Imamete believe that their infalliable Imams begening with Imam' Ali and ending with Imam al-Mahdi, were the only qualified transmitters for those meanings.

The educational consequences of the above-mentioned belief are of great importance. The journey in quest of learning assumed. among the Imamites, an additional religious significance. The

The social position of the student was good; for he enjoyed not only the respect of the intelligentsia, but also of those who used to endow their money to religious purposes.

The fifth chapter deals with curricula and methods of teaching. Oral delivery by the Shaikhs or lecture method, was the most important teaching method. The study of Hadith (tradition) had precedence over all other subjects in Islamic educational system. Reading from a book by the shaikh or by another person in the Shaikh's presence is the second method of teachiing. The objections which have been raised against the latter method, were discussed in the text of the book. The third method of teaching may be performed when the Shaikh grants his student permission to transmit the former tradition. The above method is called Ijazah, according to the Islamic techn. terms. It may be pointed out here that the Ijazah was a personal licence or permission. It was not issued by an educational formal institute. The fourth method of teaching may be performed through the demonstration of the Shaikh's opinion. He could do that by giving his student a written material or a book of Hadith with permit for transmiting such material. The latter method is also, according to the Islamic techn. terms, called'Munawalah'. It may be pointed out that the last method, though recognized among the methods of teaching, was rarely used.

Elementary school teachers were not bound or limited by a curriculum dictated by any authority. The former used to choose the curriculum taught by them, while the latter were free to adopt different books dealing with different subjects. As a result of what has been stated above, the curriculum of higher education was not composed of different subjects, but, should be stated again, that it was rather composed of different books dealing with different subjects.

It became apparent that what characterizes the Imamete educational system, especially in its higher levels, viz the study of 'Ulum.

of the latter, teachers were [illegible] to accept gifts. Tuition fees, theoretically prohibited for the [illegible] by [illegible] were practically replaced by the obligatory gifts. Professors teaching other subjects,especially those of [illegible] like Shari'ah [illegible], except in rare cases,refused to charge fees for their tuition. I have referred to the means by which those unpaid teachers could earn their living.

The attitude of the community towards the teaching profession, was among the problems on which different writers had widely differed.

The public held but little respect for primary school teachers. Whereas professors were respected by all classes.

The fourth chapter deals with the ways of life as well as the problems of learners through their different academic stages of study. Certain obscure matters I have tackled were the age at which boys, as well as students start the course of education, and the duration of the course of study for the two categories of learners. Because of the lack of statistics, the conclusions reached are mainly based on available data. Thus the results. I have arrived at in this respect, are rather approximate than exact. In the light of the fact that there were, then, no specialized educational institutes in which students can be enrolled, the relationship between professors and students was based upon personal contact.

Believing that learning of divine knowledge was highly estimated by God (Fardh Kifayah), the majority of the students were noted for their seriousness and industry. Due to the silence of sources, our information on other aspects of the students' own life,except their seriousness, is scanty. Thus the results I have reached in this respect are also not exact but approximate.

Travelling wide and farfor the sake of knowledge was an established tradition kept by all Muslim students, including the Imamate.

advise the Shi'a to abondon, in the time of (al-Ghaibah) the military resistance against the contemporary rulers, but civil resistance was allowable for them. The Shi'a, furthermore' were allowed, on necessity, to refuge to what is called in Islamic techn. terms'al-Taqiyah' or 'Kitman'. 3-Funds were partly supplied by the Imams, and later after the elapse of their era, by their envoys, for the professors as well as the students who devoted themselves for the study of divine 'Ulum according to the Shi'i creed.

The second chapter deals with the Imamete educational institutions. The most important of these institutions were the Mosques,including the Imams shrines ,and the professors' own houses. There were other institutions, besides the abovementioned ones, such as public libraries and academies (Dur al'ilm) and these were partly used for educational purposes.

Due to the lack of freedom of thought in public mosques,special mention should be made for theteaching which took place in 'Ulama's houses.

The third chapter deals with the teachers' affairs. Elementary teaching in ordinary elementary schools(Kuttabs), was performed by the elemntary school teachers. Sons of notables, including those of the Imams, were taught by special non-professional teachers who were called (Mu'addibs. Higher courses were taught by either infallible Imams, Shaikhs or lecturers (Mudrrisin). It has been dealt with the role played by each of those educators, and I have found out that for political and geographical difficulties which hindered the intellectual activities of the Imams, these mens' educational contribution was less important than that of the Imami professors and lecturers.

Whether tuition fees were demanded or not , was one of the problems which I tackled. Different (Faqihs) held different views concerning this question. I have found out that primary school teachers demanded tuition fees for all the subjects they taught, except the teaching of the holy book(the Qur'an). For the teaching

The Emamite and that of their Forefathers Education From the time of al-Sadiq to that of al-Tusi

By

Abdullah Fayyad

B.A., M.A., Ph.D.(A.U.B.)

Associate Professor

Faculty of Arts of the University of Baghdad

Acting Dean of Usul al-Din College. Baghdad.

Submitted to the Department of History of the American University of Beirut in partial fulfillment for the requirements of the degree of Doctor of philosophy.

As'ad Press, Baghdad, 1972.

THE ABSTRACT

[illegible] Department of History of the American University of Beirut.

The dissertation deals with the history of education of the Shi'a Imamete and that of their forefathers from the time of al-Imam Sadiq to that of al-Sheikh al-Tusi.

The study consists of an introduction, six chapters, two appendices and [illegible] by Professor Muhammad Tawfiq Husain of the University of Baghdad.

The Introduction, defining the Shi'i sect of Imamete and their [illegible] used, gives an outline of the main characteristics of the sect, and sums up its most important creeds such as politico-religious headship (al-Imamah), infallibility ('Ismah), concealment or mysterious disappearance (Ghaibah) and other subordinate articles including (Taqiyah) or the (Kitman) according to Islamic technical terms. It has been likewise referred, in the introduction itself, to those minor differences between the Imamete sect and other subordinate Shi'i sects such as Zaidiyah and Isma'iliyah.

The first chapter deals with the factors which have influenced the Imamete education, and that of their forefathers. The most important of those factors are the following: 1-The Imamete believe that their infallible Imams had a thorough knowledge of divine literature ('Ulum Ilahiyah). The Prophet Muhammad had not only taught the Imams the divine knowledge, but he also induced them to communicate such knowledge to the Shi'a. In spite of the fact that the Imams were not inspired by God, and that they were merely truthful transmitters of the Prophet's utterances, their true traditions (Hadith) are obligatory to the Shi'a. 2- The political pressure to which the Imams and the Shi'a were subjected led the Imams

The Emamite and that of their Forefathers Education From the time of al-Sadiq to that of al-Tusi

By

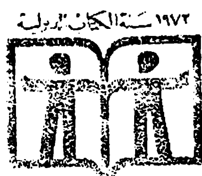
Abdullah Fayyad

B.A.,M.A.,Ph.D. (A.U.B.)

Associate Professor

Faculty of Arts of the University of Baghdad

Acting Dean of Usul al-Din College, Baghdad.



As'ad Press, Baghdad, 1972.